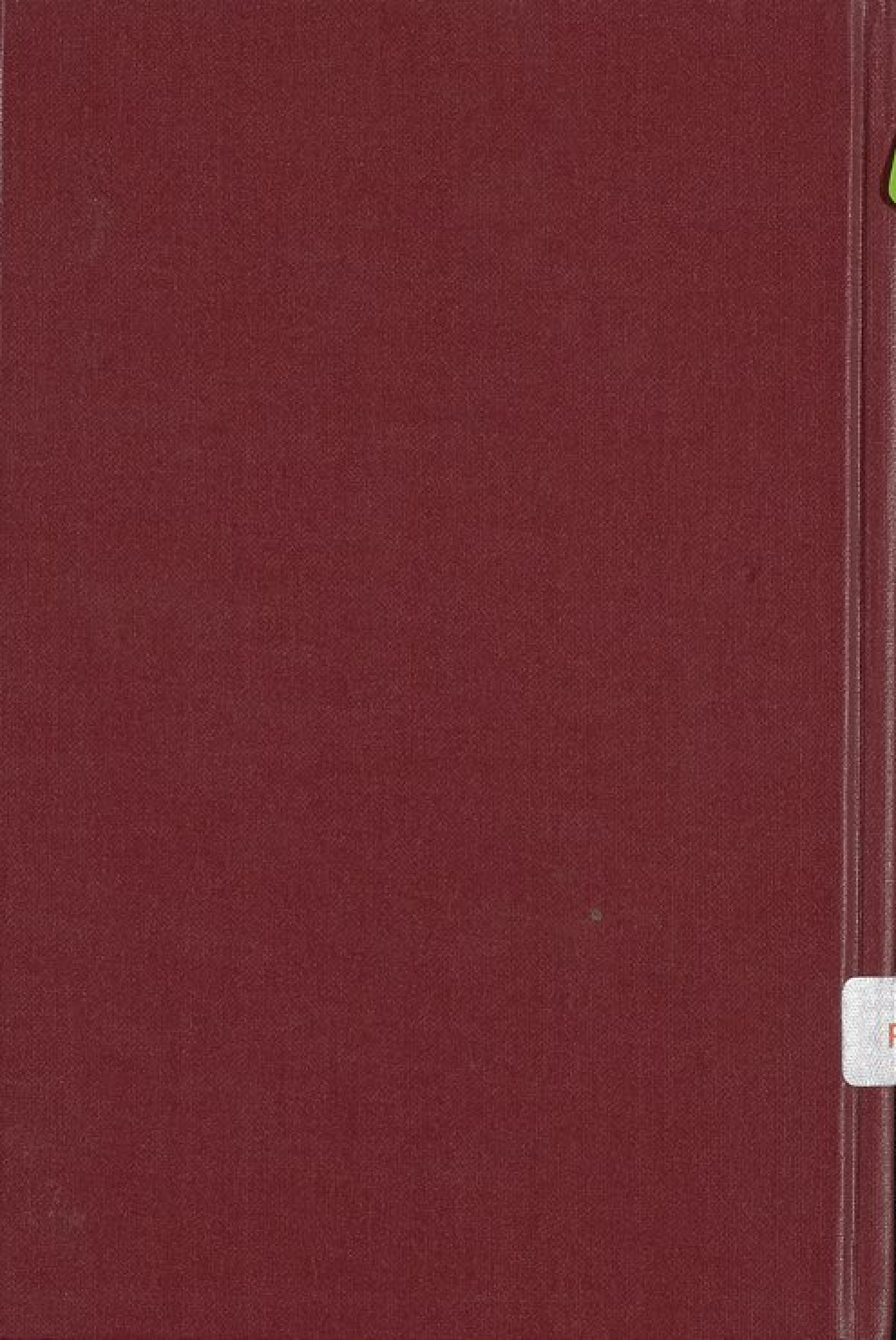
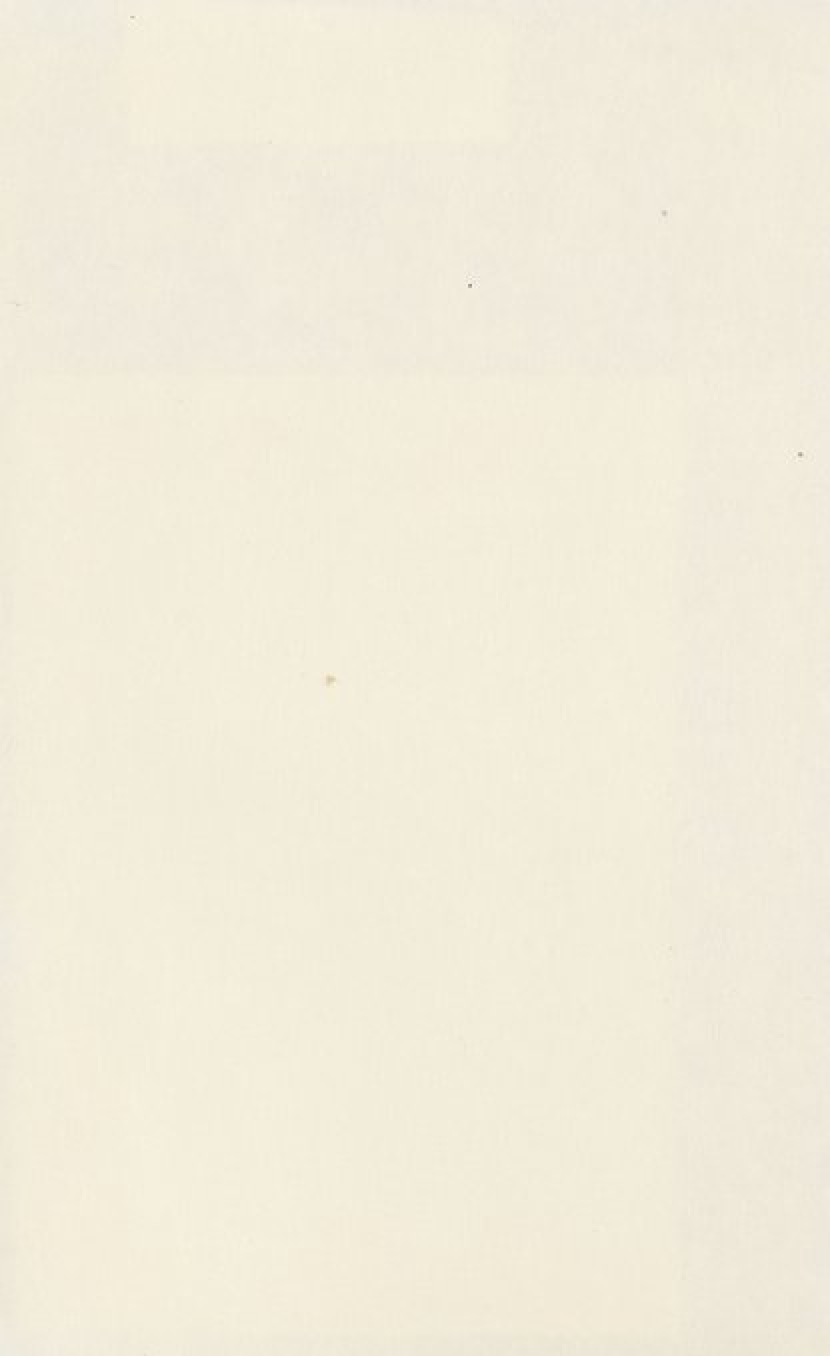





Princeton University Library
32101 058321835



تفسير الكتاب المقدس

لسفر

الجامعة

تعريب

جافظ داود

مطبعة اليقظة بشارع الفجالة نمرة ٤٨ بمصر



تفسير الكتاب المقدس

لمتى هنري

Matthew Henry's Commentary

تعريب

حافظ داود

أول يناير سنة ١٩٢٤

مطبعة رعمسيس بالفجاله بمصر

تفسير

(مع ملاحظات عملية)

اسفر الجامعة



مقدمة السنة الثالثة

حرى بنا ونحن قادمون على سنة جديدة ـ وهي السنة الثالثة لنا في هذا التفسير ـ ان نقدم وافر الشكر للعزة الالهية على ما أمدتنا من المعونة في السنتين الماضيتين رغم ماصادفنا من الصعوبات الجمة ومثبطات العزائم العديدة التي من ضمنها عدم ثقة الكثيرين باستمرارنا في هذا العمل العظيم الشاق نظراً لما يتطلبه من الوقت الطويل والمال الوافر والمجهودات الكثيرة . أما الآن وقد ترجمنا تفسير سفرين من أصعب أسفار الكتاب المقدس ـ رسالة بولس الرسول الى أهل رومية ونشيد الانشاد ـ لما يتضمنانه من « الاشياء الكثيرة العسرة الفهم » ٢ بط ٣:١٦ فنستطيع أن نقول مع صموئيل « الى هنا أعاننا الرب » ١ صم ٧:١٢

ولا ننسى أيضاً شكر جميع اخواننا الذين ساعدونا سواء باشتراكهم في الكتاب او ترويجه بين اخوانهم أو بأمدادنا ببعض المساعدات المالية من تلقاء أنفسهم علاوة على اشتراكاتهم السنوية أو بأي مساعدة اخرى . ونطلب من الله أن يتولى عنا مكافأتهم جميعاً وأن « يزيدهم كل نعمة لكي يكونوا ولهم كل اكتفاء كل حين في كل شيء يزدادون في كل عمل صالح » ٢ كو ٩:٨

ونحن نضرع لله أن يوالي علينا مساعداته لكي نستمر في هذه الخدمة المباركة التي أرجوه تعالى أن يجعلها واسطة لبركة حياة الكثيرين ونشر كلمته وتوسيع نطاق ملكوته في العالم ؟

حافظ داود

أول يناير سنة ١٩٢٤

مقدمة السفر

اننا نستطيع أن نعد أنفسنا من اولئك القوم السعداء الذين اعتادوا الوقوف أمام سليمان لسماع حكمته ، بل اننا نجرأ على القول بأننا افضل منهم لان اولئك كانوا يسمعون كلماته مرة واحدة فان أرادوا ترديدها مرة ثانية كانوا عرضة لنسيانها أو تحريفها فيشوهون جمالها أما نحن فقد نقلت الينا بوحي الهي درر منتقاة من حكمه كما هي وبذلك نستطيع ان نقرأها ونتمعن فيها ونكررها ونحفظها في ذاكرتنا الى ماشاء الله

ان الدور المحزن الذي مثله سليمان في روايته هو ما نقل الينا من خبر ابتعاده عن الله في المدة الاخيرة من حكمه (١مل ١١: ١). ولذلك فمن المرجح ان يكون قد كتب أمثاله في فجر عصره عند ما كان لايزال حافظاً لاستقامته ، ولكنه قد كتب هذا السفر الذي نحن بصدده في أيام شيخوخته ـ لانه يتكلم في الاصحاح الاخير عن متاعب الشيخوخة ـ عندما رجع وتاب عن ارتداده بمساعدة نعمة الله . انه قد دون ملاحظاته في سفر الامثال أما في سفر الجامعة فقد افضى الينا باختباراته التي لقنها له الدهر والتي خرج بها من معترك حياته الكثيرة الايام .

سنجد في العدد الاول اسم هذا السفر وكاتبه ولذلك نكتفي هنا بتدوين الثلاث الملاحظات الآتية : —

(الاولى) ان هذا السفر عظة ، عظة مكتوبة. وموضوع

هذه العظة هو « باطل الاباطيل الكل باطل » ص ١ : ٢ . ويمكن ان نقول أيضاً عن موضوع هذه العظة انه مذهب او تعليم . ولقد توسع سليمان في اقامة البرهان عليه بأن أورد كثيراً من الحجج الدامغة والاستنتاجات المعقولة ورد على اعتراضات شتى ضد هذا المذهب . وأخيراً نراه يلخص كلامه في بعض النصائح التي تتضمن في « ذكر خالقنا » و« تقواه » و« حفظ وصاياه » .

صحيح انه يوجد في هذا السفر أمور كثيرة غامضة وعسرة الفهم وبعض أمور « يحرفها فاسدو الاذهان لهلاك أنفسهم » ٢ بط ٣ : ١٦ لعدم تمييزهم بين حجج سليمان واعتراضات الملحدين ، ولكن فيه أموراً كثيرة سهلة وواضحة وكافية لاقناعنا ـ ان أردنا الاقتناع ـ ببطلان هذا العالم وعدم استطاعته مطلقاً على منحنا السعادة الحقيقية ، وبنجاسة الخطية وبان نتيجتها المؤكدة هي تعاستنا وشقاؤنا ، وأن الحكمة الحقيقية تنحصر في التدين ، وبأن الراحة الكاملة والتعزية الحقيقية لا نجدها الا في القيام بواجباتنا نحو الله والناس . هذه يجب ان تكون الغرض من كل عظة ، وما أبلغ العظة التي تنجح في اقناع سامعيها بهذه الحقائق .

(الثانية) انه عظة غرضها التوبة والندامة كبعض مزامير داود ، ففيها يكتئب الجامعة وينوح على غباوته في السماح لنفسه بالتنعم بأمور هذا العالم وارضاء شهواته الفاسدة التي وجدها الآن أمر من الموت . وان سقوطه مع رسوخ قدمه في الحكمة عالم يتفق ولن يتفق لشخص غيره برهان على ضعف الطبيعة

البشرية ، لانه ان كان سليمان وهو أحكم البشر قد سقط هذا السقوط المريع « فلا يفتخرن الحكيم بحكمته » ار ٩: ٢٣ ولا يقل اني لن أصير غبياً وأعمل هذا الامر أو ذاك ؛ وان كانت ثروة سليمان قد صارت شركا وفخاً له وأساءت اليه اكثر مما اساء فقر أيوب اليه « فلا يفتخر الغني بغناه » ار ٩: ٢٣ . وان رجوع سليمان وقيامه من سقوطه برهان على قوة نعمة الله فهي قادرة على رد النفس لله مهما كان ابتعادها عنه عظيما كما فعلت مع سليمان، وبرهان أيضاً على غنى رحمة الله في قبوله رغماً عن عظم شره وخطيته وفقاً لوعده لداود أبيه انه ان اخطأ ابنه وتعوج يؤدبه ويقومه ولا يتركه ولا ينزع رحمته منه ٢ صم ٧ : ١٤ و١٥ . « اذاً من يظن انه قائم فلينظر ان لا يسقط » ١ كو ١٠ : ١٢ ومن سقط فليسرع للقيام ثانية ولا ييأس من نيل مساعدة نعمة الله له أو قبوله اياه داخل حظيرته

(الثالث) وهو عظة عملية نافعة . فسليمان بعد أن تاب نراه يعزم كأبيه على ان « يعلم الاثمة طرقه » مز ٥١: ١٣ ويحذر الجميع من السقوط على الصخور التي وقع عليها هو فرضضته — وهذه حقاً كانت « اثماراً تليق بالتوبة » مت ٣: ٨ . ان الغلطة الرئيسية التي يسقط فيها كل بني البشر والتي هي أساس ابتعادهم عن الله هي نفس الغلطة التي سقط فيها أبوانا الاولان وهي رغبتهما في ان يكونا « كالله » باكلهما مما بدا لهما انه « جيد للاكل وشهي للنظر » ومنيل للحكمة تك ٣: ٥ و٦ . وفي هذا السفر نرى ان ذلك خطأ

محض وشر مستطير وان سعادتنا لا تتوقف على جعلنا الهة لا نفسنا نملك ما نريد ونعمل ما نشاء بل تتوقف على التصاقنا بمن خلقنا وصار الهاً لنا . لقد اختلف فلاسفة علم النفس والاخلاق في طرق توفير السعادة للانسان والخير العام للناس وذهبوا مذاهب شتى في توضيح كنهها ، أما سليمان فيفصل في الامر في هذا السفر ويثبت أن « تقوى الله وحفظ وصاياه هو الانسان كله » ص ١٢ : ١٣ . لأنه قد تزود بعبر الايام واختبر الحوادث وعرف مقدار مايناله الانسان من الراحة من ثروة هذا العالم والتمتع بملذاته وصرح أخيراً بهذه الحقيقة : « الكل باطل وقبض الريح » ، ولكن رغماً عن كل ذلك لايزال الكثيرون يرفضون قبول هذه الحقيقة ويسيرون في نفس هذا التيار الجارف فيسمون وراء حتفهم بأنفسهم .

في هذا السفر (١) يوضح سليمان بطلان الامور التي يتوهم الناس أن فيها سعادتهم كالعلم والشهوات البهيمية والكرامة والقوة والغنى والثروة (٢) وبعد ذلك يصف الدواء الشافي لكآبة القلب التي تلازم تلك الامور . فمع اننا لا نستطيع ان نخلي قلوبنا من غرورها وبطلانها الا اننا نستطيع ان نريح أنفسنا من أتعابها بعدم الاستسلام لها والانقياد الاعمى لملذاتها وابعاد أنفسنا عن الولوع بها والرضوخ لارادة الله في كل أمر من أمورنا وبنوع خاص بذكر خالقنا في أيام شبابنا والاستمرار في تقوى الله وخدمته كل أيامنا واضعين الدينونة العتيدة نصب أعيننا

الاصحاح الاول

في هذا الاصحاح نرى (١) عنوان هذا السفر ع ١

(٢) التعليم أو المذهب العام الذي يقرره سليمان عن بطلان كل المخلوقات ع ٢ وتفسيره ع ٣

(٣) ويبرهن على هذا المذهب باثبات (أولا) قصر الحياة البشرية وكثرة المواليد والوفيات في هذا العالم ع ٤ (ثانيا) تقلبات كل المخلوقات وتطورها المستمر وانحلالها ورجوعها لاصلها بعد الانحلال كالشمس والرياح والمياه ع ٥ـ٧ (ثالثاً) شدة تعب الانسان من الاتصال بهذه المخلوقات وعدم ارتضائه بها ع ٨ (رابعاً) عودة الاشياء العتيقة للظهور ثانية ع ٩ و ١٠ (خامساً) عرضة كل الاشياء للاندثار والطرح في زوايا النسيان ع ١١

(٤) وأول مثل لهذا البطلان هو بطلان معارف البشر وكل العلوم العالمية وبنوع أخص الفلسفة الطبيعية والفلسفة السياسية . وهنا لاحظ (أولا) التجربة التي اختبر بها سليمان هذه الامور ع ١٢ و ١٣ و ١٦ و ١٧ (ثانياً) حكمه عليها بأن « الكل باطل » ع ١٤ لان (ا) في الحصول على المعرفة عناء عظيم ع ١٣ (ب) وهي لا تأتي الا بفائدة جزئية ع ١٥ (ج) ولا شيء فيها من الراحة ع ١٨

فان كانت المعرفة باطلة وقبض الريح فالاولى جداً أن تكون كل الامور الاخرى في هذا العالم باطلة وقبض الريح لانها دونها في الكرامة والقيمة . فالعالم العظيم والفيلسوف الحصيف لا يمكن أن يكون سعيداً ان لم يكن قديساً حقيقياً

---

١ كلام الجامعة ابن داود الملك في اورشليم ـ ٢ باطل الاباطيل قال الجامعة . باطل الاباطيل الكل باطل ـ ٣ ما الفائدة للانسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس

في هذه الاعداد نرى : ـ

(اولا) وصف كاتب هذا السفر : انه هو سليمان لانه لم يكن من اولاد داود ملكاً على اورشليم سواه. ولكنه يخفي اسمه « سليمان » الذي معناه « في سلام » لانه بخطيته جلب الشقاء والتعب على نفسه وعلى مملكته ونقض سلامه مع الله وفقد سلام ضميره ولم يعد مستحقاً لهذا الاسم . فلسان حاله يقول : لا تدعوني سليمان بل ادعوني مراً لانه «هوذا للسلامة قد تحولت لي المرارة » اش ٣٨ : ١٧ . ولكنه يدعو نفسه : ـ

(١) « الجامعة » وهي تدل على صفته الحالية . وقد دعى بهذا الاسم لانه على ما يظهر كان يجمع الناس ليقوم بينهم خطيباً وواعظاً . ويظهر ان السبب في اطلاق هذا الاسم على نفسه بصيغة المؤنث هو لتوبيخ نفسه على ولوعه بالنساء وشغفه بهن الامر الذي كان اكبر العوامل لارتداده وابتعاده عن الله فهو لم يبن للالهة الغريبة الا ارضاء لزوجاته نح ١٣ : ٢٦ . او ربما كان السبب في تسميته بالجامعة لانه كان يمثل الحكمة وكلمة « حكمة » في كلتا اللغتين العربية والعبرية مؤنثة . او قد يكون معنى كلمة جامعة . ـــ

١ . ـ النفس المجموعة او التائبة ، اي النفس التي ظلت مدة طويلة ضالة وتائهة كالنعجة الضالة واما الان فقد جمعت الى مقرها وردت الى عملها . تلك النفس التى تشتتت بسبب ما ارتكبته من الامور الباطلة العديدة قد جمعت الان واستقرت في الله. فالنعمة

الالهية تستطيع ان ترد اشقى الخطاة وتغير حتى اولئك « الذين بعد ما عرفوا طريق البر يرتدون عنه » ٢ بط ٢ : ٢١ « وتشفى ارتدادهم » هو ١٤ : ٤ ولو كان ذلك من اصعب الامور . ان النفس التائبة فقط هي التي يقبلها الله ، والقلب المنكسر هو الذي يقبله الله وليس « الرأس المنحنية كالأسلة يوماً واحداً » اش ٥٨ : ٥ ، وتوبة داود هي التي يقبلها وليست توبة اخاب. والنفس المجموعة فقط هي النفس التائبة التي ترجع عن ضلالها ولا تعود « تفرق طرقها للغرباء » ار ٣ : ١٣ بل « توحد قلبها لخوف اسم الرب » مز ٨٦ : ١١

حقاً انه « من فضلة القلب يتكلم اللسان » ففي هذا السفر نرى كلمات سليمان التائب . ان كبار رجال الدين ان سقطوا في خطيئة مشينة تراهم يضطرون للاعتراف بتوبتهم جهراً لشدة حرصهم على مجد الله وتعويضاً للتلف العظيم الذي احدثوه لملكوته ورغبة منهم في تعريف الناس بالدواء بقدر اذاعتهم للمرض .

٢ . ـ النفس الجامعة أو الكارزة. انه اذ قد جمع هو نفسه الى مصاف القديسين الذين قد ابعد نفسه عنهم بخطيته واذ قد عاد الى احضان الكنيسة نراه يسعى ليجمع الاخرين الذين قد ضلوا مثله ويردهم اليها لانهم قد يكونون ابتعدوا عنها بسبب قدوته السيئة . فمن أتى أمراً يعثر اخاه عليه ان يعمل كل ما في استطاعته ليرده لحالته الاولى . ربما يكون قد تكلم سليمان بهذا الكلام على مسامع جمع عظيم دعاه خصيصاً لهذا الغرض كذلك

الجمع الذي دعاه عند تدشين الهيكل ١ مل ٨ : ٢. في ذلك الاجتماع تكلم سليمان لله ـ في الصلاة ـ على لسان كل الشعب ١ مل ٨ : ١٢. اما في هذا الاجتماع فيتكلم للشعب — في الكرازة والوعظ — على لسان الله. فالله قدجعله كارزاً دلالة على مصالحته اياه ومغفرته لخطيته . وهذا كما فعل المسيح مع بطرس فان تكليفه اياه بان يرعى خرافه دليل قاطع وبرهان ناطق على مغفرة خطيته .

(ملاحظة) ان التائبين يجب ان يكونوا كارزين ، لان اولئك الذين قد انذرهم الله فرجعوا وعاشوا يجب ان ينذروا غيرهم حتى لا يستمروا في ضلالهم ويموتوا . ولهذا قال الرب لبطرس «وانت متى رجعت ـ عن زلتك ـ ثبت اخوتك» لو ٢٢ : ٣٢. يجب ان يكون الوعاظ كارزين لانه لا يمكن ان يصل الى القلب الا ما يخرج من القلب ، فبولس «عبد الله بروحه في انجيل ابنه» رو ١ : ٩

(٢) «ابن داود» وتلقيب نفسه بهذا اللقب يدل على :—

١ . — انه يعتبره شرفاً عظيماً بان يكون ابناً لشخص طيب القلب كهذا .

٢ . — ان ارتكابه للخطية أمر شنيع ومضر جداً لانه ابن ذلك الرجل الصالح الذي رباه تربية صالحة وغرس فيه روحاً فاضلة . فكلما تأمل في خطيته وكم جلبت من العار والخزي على ذلك الاسم الصالح — داود — وعائلته كلما كان قلبه يذوب في داخله من شدة الحزن والالم . فخطية يهوياقيم قد ازدادت شناعة في نظر الله لانه كان ابن يوشيا ار ٢٢ : ١٥ — ١٩

٣ . — ان كونه ابن داود يشجعه على القيام من سقطته والتوبة وانتظار الرحمة من الله ، فان داود قد سقط في الخطية وتاب ولذلك قد اتخذه سليمان مثالا في التوبة فتاب ونال رحمة من الله كما نال داود . وليس ذلك فقط بل انه كان ابن داود ذلك الذي قال عنه الله انه ولو « افتقد معصيته بعصا . الا انه لا ينقض عهده معه » مز ٨٩ : ٣٢ و ٣٤

ولقد كان المسيح — وهو اعظم كارز — ابن داود

(٣) « الملك في أورشليم » وهو يذكر هذا الوصف :—

١ . — كأنه أمر يزيد في خطيته شناعة . فهو كان ملكا ، والله صنع معه احسانا عظيماً باجلاسه على العرش ، اما هو فقد تمرد عليه . كذلك قد جعله مركزه الرفيع قدوة سيئة بخطيته ، خصوصاً وقد كان ملك اورشليم ، تلك المدينة المقدسة التي فيها هيكل الله الذي بناه هو ، والمدينة التي فيها الكهنة خدام الله وانبياؤه الذين علموه التقوى والصلاح

٢ . — كأمر قد يعطي قوة لكلامه لانه « حيث تكون كلمة الملك فهناك سلطان » جا ٨ : ٤ . انه لم يعتبره امراً مشيناً او مزرياً ان يكون واعظاً وهو ملك ، على ان الناس تزداد في احترامه كواعظ لانه ملك ، فلو كرس العظماء انفسهم لعمل الخير لكان من وراء مجهوداتهم الخير الجزيل . وكم كان كلام سليمان من المنبر وهو يعظ عن بطلان العالم مقبولا ككلامه من عرشه وهو يحكم ويقضي لشعبه

ان التفسير الكلداني للعهد القديم يضيف عبارات كثيرة على هذا السفر لزيادة ايضاح معانيه . ومن ضمن هذه العبارات ما ذكر عن كتابة سليمان لهذا السفر : انه بروح النبوة سبق فرأى تمرد الاسباط العشرة على ابنه ثم خراب اورشليم والهيكل وسبي الشعب فقال بازاء كل ذلك « باطل الاباطيل الكل باطل »

(ثانياً) الغرض من هـذا السفر . ان الغرض الذي يصبو اليه سليمان هو ان ينزع منا حبنا للعالم وتعلقنا بالامور الدنيوية وذلك لـكي نصل الى طريق التدين الحقيقي العملي . ومن اجل ذلك فهو يبين لنا :ـ

(١) ان كل هذه الامور العالمية باطلة ع ٢ . ان القضية التي يضعها امامنا هنا ويقوم بالبرهان عليها هي هذه : « باطل الاباطيل الـكل باطل » لم يكن هـذا التعليم جديداً فداود ابوه تـكلم بمثله اكثر من مرة . ان الحقيقة التي يريد اثباتها هنا هي هذه : « الـكل باطل » اي كل شيء سوى الله ، وكل شيء بعيد عن الله ، كل الامور العالمية ، كل اعمال العالم وملذاته ، كل ما في العالم ، ١ يو ٢ : ١٦ ، كل ما يوافق طبائعنا واميالنا البشرية ، كل ما نشعر ان فيه لذة لانفسنا وعظمة لاشخاصنا . « الـكل باطل » ليس فقط في اساءتنا لاستعماله وتشويهه بخطية الانسان بل حتى في منفعته لنا وحسن استعمالنا له

ان الانسان نفسه لو قورن بهذه الامور لوجدنا انه باطل مز ٣٩ : ٥ و٦ ولو لم تكن هنالك حياة عتيدة ان تأتي بعد هذه

الحياة لكانت خلقة الانسان باطلة مز ٨٩ : ٤٧ ، كذلك لو قارنا هذه الامور بالانسان لوجدناها كلها باطلة مهما كانت في حد ذاتها . فهي لاتصل الى النفس ولا تمسها وهي لاتزيدها أو تنقصها شيئاً ، وهي لاتشبع مطالبها أو تحقق آمالها . وهي غير ثابتة أو دائمة بل لابد ان تتلاشى وتفنى وتزول . وهي طالما خدعت وخيبت امال من يتعلق بها ويضع فيها ثقته . فلنكف اذاً عن ان « نحب الباطل » مز ٤ :٢ أو « نحمل أنفسنا اليه » مز ٢٤ :٤ لئلا نتعب ونعي أنفسنا حب ٢ :١٣ .

ومما نلاحظه ان سليمان يعبر عن بطلان هذه الامور بتعبير صريح وقوي ، فهو لم يقل ان الكل لافائدة منه بل « الكل باطل » كأن البطلان نفسه يتخلل طبيعتها . وهي ليست « باطل » فقط بل « باطل الاباطيل » أي باطل كل البطلان ، باطل في أشد درجات البطلان ، لاشيء يرى فيها سوى البطلان وهو يكرر هذا التعبير المزدوج مرتين بل ثلاثا « باطل الاباطيل ... باطل الاباطيل .. . الكل باطل » لانه أمر محقق جداً لاذرة من الشك فيه .

وان ذلك لما يدل على ان قلب ذلك الرجل الحكيم ـ سليمان ـ كان ممتلئاً وعقله مقتنعاً بهذه الحقيقة ، وعلى انه كان يشتاق بأن يجعل الآخرين يحسون بنفس هذا الشعور الذي يتغلغل في أعماق نفسه ولكنه كان يرى ان أغلب الناس يرفضون تصديق هذا الامر اى ١٤ :٣٣ . وهو يدل أيضاً على اننا لانستطيع ان نعبر عن بطل هذا العالم .

ومن ذا الذي يقرر هذه الحقيقة يا ترى ؟ اهو شخص يتمسك بما يقول ولا يرفض الاعتراف به ؟ نعم ! فهو يسجل اسمه بجانبه « قال الجامعة ». اهو شخص مقتدر للحكم ؟ نعم ! فهو اكفأ من عرفه البشر للحكم بين الامور. كثيرون يتكلمون عن العالم باحتقار شديد لانهم نساك وزاهدون فيه لا يريدون الاستمتاع بلذاته او لانهم فقراء لا يملكونه شيئاً منه ، اما سليمان فقد عرفه وملكه . وقد غاص في اعماق الطبيعة ١ مل ٤ : ٣٣ ، وهو قد ملك من العالم مالم يملكه اي شخص آخر سواه ، كان عقله ممتلئاً بأفكار العالم و بطنه مملوءة بذخائره مز ١٧ : ١٤ ، وأخيراً نطق بهذا الحكم فيه . ولكن هل تكلم بهذا الكلام كمن له سلطان ؟ نعم لا لانه ملك فقط بل لانه ايضاً نبي وجامع ، فهو تكلم باسم الله وبارشاده ووحيه . ولكن ! هل قال ذلك في حيرة او تسرع او تحت تأثير اي الم بسبب اي ظرف من ظروف الحياة ومفشلاتها ، كلا ! فانه قد اصدر هذا الحكم بترو واقام الدليل والبرهان عليه ، وضعه كأساس و بنى عليه ضرورة التقوى والتدين الحقيقي . وكما يظن البعض ان القصد الوحيد الذي يريد ان يبينه هنا هو ان الملكوت الابدي الذي وعد به الله داود و نسله بواسطة ناثان لابد ان يكون من عالم آخر ، لان كل الامور في هذا العالم خاضعة للبطل ولذلك فلا يمكن ان يتحقق ويتم فيه هذا الوعد .

(٢) انها لا تستطيع ان تنيلنا السعادة . ولكي يبرهن على ذلك نراه يلجأ لضمائر البشر فيسألها « ما الفائدة للانسان من كل

تعبه الذي يتعبه ؟ » ع ٣ . لاحظ هنا . —

١ . ــ وصف مشاغل هذا العالم وأعماله : انها « تعب » ان العمل هو الذي يعي البشر ، وكل الاعمال العالمية يصحبها تعب مستمر . وهي « تعب . . تحت الشمس » وهذه عبارة لم تذكر سوى في هذا السفر حيث تكررت ثمانية وعشرين مرة . يوجد عالم فوق الشمس ، عالم لا يحتاج الى الشمس لان مجد الله هو نوره ، عالم فيه عمل بدون تعب بل بفائدة ولذة عظمى ــ ذلك هو عمل الملائكة . اما سليمان فهو يتكلم عن العمل الذي « تحت الشمس » أي تحت تأثير الشمس ـــ تحت تأثير نورها وحرارتها ؛ وكما نستفيد بنور النهار كذلك يجب ان نحتمل ثقل النهار وحره مت ٢٠ : ١٢ ؛ لذلك « يجب ان نأكل خبزنا بعرق وجهنا » تك ٣ : ١٩ . اما في القبر المظلم الرطب فيستريح التعابى

٢ . ــ منفعة هذه المشاغل والاعمال . « ما الفائدة للانسان من كل تعبه » . قال سليمان « في كل تعب منفعة » ام ١٤ : ٢٣ ومع كل ذلك فهنا ينكر بانه توجد أي منفعة . حقاً اننا من جهة حالتنا الحاضرة في هـذا العالم ننال من التعب « فائدة » فنحن « نأكل تعب ايدينا » مز ١٢٨ : ٢ ؛ ولـكن بما ان ثروة هذا العالم تسمى عادة مادة ــ مع انها ليست كذلك ام ٥٣ : ٥ ــ فهي تسمى « فائدة » . على ان المسألة التي نبحث عنها الان هي هذه هل يصح بأن تعتبر هذه الثروة فائدة ام لا . وهنا يجيبنا سليمان عن ذلك بالنفي ،يبين لنا انها ليست فائدة حقيقية ؛وليست فائدة

دائمة . وبالاختصار ان ثروة هذا العالم وملذاته ـ مهما عظم مقدار ما نحصل عليه منها ـ لا يمكن أن تنيلنا السعادة ولا يليق بأن نختارها نصيباً لنا .

(أ) فمن جهة الجسد ومن جهة حياتنا الحاضرة « ما الفائدة للانسان من كل تعبه ؟ » . ان الانسان « ليست حياته من أمواله » لو ١٢ : ١٥ . فكلما كثرت خيراتنا كلما كثر اهتمامنا بها « وكثر الذين يأكلونها » ص ٥ : ١١ ، وأي أمر صغير يلاشي بهجتها ويمرر حلاوتها ، لذلك « فما الفائدة للانسان من كل تعبه ؟ » .

(ب) ومن جهة النفس والحياة العتيدة نستطيع ان نقول بحق « ما الفائدة للانسان من كل تعبه » . فكل ما يحصل عليه منها لا يسد مطالب النفس ولا يشبع شهواتها ولا يكفر عن خطيتها ولا يشفي مرضها ولا يرد لها خسارتها . أي فائدة منها للنفس عند الموت ويوم الدينونة وفي الابدية ؟ ان ثمر تعبنا في الامور السماوية هو « الطعام الباقي للحياة الابدية » أما ثمر تعبنا في العالم فما هو الا « الطعام البائد » يو ٦ : ٢٧

٤ دور يمضي ودور يجيء والارض قائمة الى الابد ـ ٥ والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع الى موضعها حيث تشرق ـ ٦ الريح تذهب الى الجنوب وتدور الى الشمال . تذهب دائرة دوراناً والى مداراتها ترجع الريح ـ ٧ كل الانهار

تجري الى البحر والبحر ليس بملآن . الى المكان الذي جرت منه الانهار الى هناك تذهب راجعة ـ ٨ كل الكلام يقصر. لايستطيع الانسان أن يخبر بالكل . العين لاتشبع من النظر والاذن لاتمتليء من السمع

ان سليمان لكى يبرهن بطل كل الاشياء وعدم استطاعتها بأن تنيلنا السعادة يبين هنا : —

(١) ان وقت تمتعنا بهذه الاشياء قصير جداً كسرور الاجير الذي ينتهي بانتهاء يومه أي ١٤ : ٦ . نحن لا نبقى في العالم أكثر من دور (أو جيل) واحد ، وكل « دور يمضي » ليفسح مكاناً « لدور آخر يجيء » ، ونحن نمضي مع هذا الدور الذي يمضي . ن كل ما نمتلكه من متاع الدنيا قد ورثناه من أسلافنا من عهد قريب جداً ؛ وبعد عهد قريب جداً لابد أن نتركه لاعقابنا ، لذلك فكل شيء باطل لنا ، وهو لايمكن أن يكون ثابتاً أكثر من العالم الذي يرتكز عليه الذي قيل عنه بأنه « بخار يظهر قليلا ثم يضمحل » يع ٤ : ١٤ .

اننا ازاء تعاقب الادوار والاجيال لايسعنا الا تمجيد الله على ابقائها في الماضي واستعداده لابقائها في المستقبل ، ولا يسعنا كذلك الا الاعجاب بصبره وطول اناته لسماحه بابقاء هذا العالم الفاسد وبقوته وسلطانه على ابقاء هذا العالم الفاني . وان تعاقب

هذه الاجيال أيضاً لما يبعث فينا روح النشاط لنقضي جيلنا بكل أمانه وجد واجتهاد لانه سيزول سريعاً . وعلينا أن نراعي خير البشرية بوجه عام في تعاقب هذه الاجيال ، أما من جهة سعادتنا الشخصية فلا يصح بأن نتطلبها في دائرة محدودة كهذه بل في الراحة الابدية .

(٢) اننا عند ما نغادر هذا العالم نترك وراءنا « الارض قائمة الى الابد » حيث هي ، لذلك فالامور الارضية لا تفيدنا بشيء في المستقبل . خير للبشرية بوجه عام ان تبقى الارض الى الابد كما هي الى ان تحترق هي وكل ما عليها في اليوم الاخير ، ولكن ماذا تفيد الاشخاص بوجه خاص عند ما ينتقلون الى عالم الارواح ؟

(٣) ان حالة الانسان من هذه الوجهة اسوأ حتى من حالة المخلوقات الدنيئة : « فالارض قائمة الى الابد » اما الانسان فلا يقوم على الارض الا برهة قصيرة . صحيح ان الشمس تغرب كل مساء ولكنها تعود في الصباح التالي مشرقة كما كانت . والرياح ان تركت مكاناً حلت في غيره ، والمياه ان ارتفعت عن الارض هبطت اليها ثانية . اما « الانسان فيضطجع ولا يقوم » اي ١٤ : ٧ و ١٢

(٤) ان كل الاشياء في هذا العالم متغيرة ومتقلبة وخاضعة للاضطراب والعناء ولا تستقر على حال أبداً ولا تعرف للراحة سبيلا ، فالشمس ان اشرقت تسرع للغروب وان غربت تسرع

للشروق : « الشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع الى موضعها حيث تشرق » ع ٥ ولم تقف في موضعها الا مرة واحدة لوقت قصير يش ١٠ : ١٢ و١٣ ، والرياح متنقلة على الدوام من وقت لآخر ع ٦ والمياه تدور دورة مستمرة ع ٧ لانها ان وقفت في مكان واحد وفي حالة واحدة تفسد ويسوء المصير كالدم ان وقف في الجسم . وهل يستطيع الانسان ان يطلب راحة في عالم كل ما فيه مضطرب ع ٨ في بحر يزخر وتعج أمواجه وتعصف عواصفه ؟

(٥) انه ولو كانت كل الاشياء متنقلة الا انها لا تزال في موضعها ، فالشمس تغرب ولكنها تسرع الى موضعها ، والرياح تتنقل من مكانها ولكنها سرعان ما تعود اليه ، وكذلك المياه فانها لا محالة راجعة الى حيث خرجت . وهكذا الحال مع الانسان فانه بعد كل التعب والمشقات التي يتكبدها لكي يجد في الخليقة راحة أو سعادة لا بد ان يجد نفسه حيث هو ولا يزال بعيداً عما يتطلبه بعد الارض عن السماء . ان قلب الانسان لا يستقر في كل ما يطلبه وتطمح اليه نفسه كالشمس والرياح والمياه التي لا تستقر في حركاتها ، وليس ذلك فقط بل انه لا يمكن اشباعه أو ارضاؤه فكلما ازداد في تحصيل أمور العالم وثروته كلما ازداد رغبة فيها وطمعاً اليها ، على انه لن يمتلىء من هذه السعادة المزعومة كالبحر الذي « تجري اليه كل الانهار وليس بملآن » بل لا يزال كما هو « مضطرباً لا يستطيع ان يهدأ »

تاش ٥٧ : ٢٠

(٦) ان « كل شيء باق هكذا من بدء الخليقة » ٢بط ٣ : ٤ . فالارض باقية كما كانت والشمس والرياح والانهار لا تزال حافظة لمجراها الذي اتخذته منذ البدء ، ولذلك ان كانت لم تستطع في الماضي ان تهب اي سعادة للانسان فهي لن تستطيع ذلك في المستقبل لانها باقية وستبقى كما هي . من اجل هذا يجب علينا ان نتطلع الى ما فوق الشمس لطلب السعادة ولطلب عالم جديد

(٧) ان هذا العالم بكل ما فيه من سعادة وسرور ليس الا عالم شقاء : « فالكل باطل » لان « كل الامور متعبة » (١) لقد خضعت كل الخليقة لهذا البطل منذ حكم على الانسان بان « يأكل خبزه بعرق وجهه » . فان جلنا بنظرنا الى كل الخليقة رأيناها كلها منهمكة في عملها وليس لديها أي فرصة لتسعد الانسان ، صحيح انها كلها تعمل لخدمته ولكنها لم تبرهن ابداً على انه يوجد من بينها « معين نظير » له تك ٢ : ١٨. ان الانسان ليقصر عن ان يعبر عن مقدار ما يملأ العالم من التعب ، فهو يعجز عن ان يحصي التعابى وعن ان يقدر ما يتجشمونه من المتاعب

(٨) ان كل حواسنا لا تشبع وكل مطالبها لا تشبع . ان سليمان يخص بالذكر هنا الحواس التي تؤدي وظيفتها بكل سهولة بدون اقل تعب : « العين لا تشبع من النظر » بل تمل من رؤية نفس المناظر التي اعتادت رؤيتها وتريد تغيير المناظر والاشكال . « والاذن » ان كانت تتلذذ في باديء الامر لسماع نغمة شجية

(١) هذا هو النص العبراني للجزء الاول من ع ٨ « كل الكلام يقصر » انظر هامش الكتاب

أو اغنية مطربة ولكنها سرعان ما تسأم منها وتطلب غيرها.
فكلا هاتين الحاستين تمتلئان ولكن ليس الى درجة الشبع او
الاكتفاء، لان ما قد تلتذان منه برهة سرعان ما تسأمانه
وتملانه. فحب الاستقصاء ومعرفة كل شيء جديد غريزة لا يمكن
استئصالها من النفس

—

٩ ما كان فهو ما يكون والذي صنع فهو الذي يصنع فليس
تحت الشمس جديد - ١٠ ان وجد شيء يقال عنه انظر. هذا
جديد. فهو منذ زمان كان في الدهور التي كانت قبلنا - ١١ ليس
ذكر للاولين. والآخرون ايضاً الذين سيكونون لا يكون
لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم

يوجد أمران طالما ظننا ان فيهما راحة وسعادة عظمى وشرفاً
كبيراً لانفسنا. اما سليمان فيرينا هنا خطأنا في هذا الظن.

(١) غرائب الاختراع والظن بان الشيء المخترع لم يكن له
وجود قبلا. حسناً نفتكر انه لم يسبقنا شخص في التقدم في
المعرفة والتوصل الى الاختراعات الكثيرة بواسطة هذه المعرفة،
وانه لم يستطع أحد ان ينافسنا في توسيع التجارة وتنمية الثروة
والاستفادة بارباحها، وان كل مجهودات منافسينا ومساعيهم قد
ذهبت ادراج الرياح، وان نفتخر بالازياء الحديثة والافكار

والطرق العصرية والتعبيرات الجديدة التي تلاشي القديم ولا تبقي له أثراً . على ان سليمان يبين لنا ان ذلك كله خطأ محض: فما هو كائن وما سيكون هو نفس ما كان « ما كان فهو ما يكون» « والذي صنع فهو نفس الذي يصنع » ذلك لانه « ليس جديد تحت الشمس » ع ٩. وهو يكرر ذلك في ع ١٠ قائلا « ان وجد شيء يقال عنه انظر . هذا جديد » ان افتخر العلماء بالعلوم العصرية والمخترعون باختراعاتهم الحديثة — فليعلموا ان كل ذلك « منذ زمان كان في العصور التي كانت قبلنا »

أي شيء في عالم الطبيعة نستطيع ان نقول عنه « هذا جديد »؟ ان « الاعمال قد أكملت منذ تأسيس العالم » عب ٤: ٣ فالاشياء التي تبدو لنا جديدة — كما تبدو بعض الاشياء جديدة للاطفال — ليست كذلك في حد ذاتها . فالسماء كانت منذ القدم، والارض قائمة الى الابد ؛ وعوامل الطبيعة لا تزال كما كانت منذ البدء .

أما من جهة العالم الروحي فمع ان طرق العناية الالهية لا تتخذ مجرى خاصاً أو تسير على قواعد خاصة كما هو الحال في عالم الطبيعة ومع انها لا تسلك في أثر واحد الا انها بوجه عام لم تتغير ولن تتغير. فقلوب البشر وما يملأها من الرجاسات لا تزال كما هي ؛ وشهواتهم ومطامعهم وشكواهم لا تزال كما هي ، ومعاملات الله مع البشر هي بحسب الكتاب المقدس فهي لذلك لم ولن تتغير . فلا يليق بان ندهش مما قد نراه في نظرنا جديداً

أو غريباً لانه قد حدثت أمور مثله سابقاً ، فما قد نشاهده من تقدم غريب أو فشل مدهش ، وما قد نراه من تغييرات وانقلابات فجائية — قد حصلت لاناس آخرين قبلنا . وشقاء الحياة البشرية لم تبله مر الايام وكر العشي لان الانسان يدور في هذا العالم في دائرة متصلة الاطراف ، فمهما سار في هذه الدائرة لا بد ان يجد نفسه حيث هو ؛ وما مثله في ذلك الا مثل الشمس والرياح .

وقصد سليمان من كل ذلك : —

١. — ان يظهر غباوة بني البشر في التأثر بالاشياء الجديدة والظن بانهم قد اخترعوا هذه الاشياء وجهلهم في الافتخار بها. نحن ميالون بطبيعتنا ان نمل الاشياء القديمة ونسأم مما قد اعتدنا استعماله ورؤيته مدة طويلة كما سئم الاسرائيليون من المن عد ١١ : ٤—٦ ونشتاق ان نسمع او نتحدث عن كل جديد كالاثينيين اع ١٧ : ٢١ ونعجب بهذا الشيء الحديث او ذاك الجديد مع ان هذه كلها كانت في عالم الوجود قبل الآن . قال تتيانوس الاشوري مخاطباً اليونانيين الذين ادعوا العظمة والجاه بسبب فنونهم واختراعاتهم الكثيرة « يا للعار ! أ تدعون هذه اختراعات مع انكم لستم الا مقلدين وناقلين » واظهر لهم ان اصل هذه الاشياء جميعها يرجع الى تلك الامم والقبائل التي دعوها متوحشة .

٢. — ان ينزع عنا فكرة طلب السعادة من المخلوقات . لماذا نطلبها من المخلوقات بينما لم يجدها اي شخص فيها ؟ اي سبب

يحملنا على الاعتقاد بان العالم سيرق قلبه لنا ويكيل لنا بمكيال اكثر مما كال به للذين قبلنا طالما انه لم يطرأ عليه شيء جديد وبينما ان اباءنا قد نالوا من العالم كل ما يستطيع الانسان نواله منه ؟ « اباؤكم اكلوا المن ومع كل فقد ماتوا » يو ٦ : ٤٩. انظر ايضاً يو ٨ : ٨و٩.

٣ ـ ان يحيي فينا الرغبة لطلب البركات الروحية الابدية . لاننا ان كنا نفرح بالاشياء الجديدة فلنسع للوصول الى الامور الالهية للحصول على طبيعة جديدة وحينئذ « تمضي الاشياء العتيقة ويصير الكل جديداً » ٢ كو ٥ : ١٧ . ان الانجيل «يجعل في افواهنا ترنيمة جديدة» مز ٤٠ : ٣ ، وفي السماء سيصير « كل شيء جديداً » رؤ ٢١ : ٥ متبايناً تبايناً كلياً عن حالة الاشياء الحاضرة لان العالم سيصير جديداً يقيناً لو ٢ : ٣٥ ، كل شيء سيصير جديداً الى الابد لا يبليه القدم ولا يعتريه الفساد . كل هذه الاعتبارات ترغبنا في الموت لان كل ما في هذا العالم متكرر ابد الدهر ولاننا لا يمكننا ان ننتظر في هذا العالم شيئاً اكثر او احسن مما حصلنا

(٢) بقاء ذكر ما نأتيه من الاعمال وتحدث الناس عنه بعد مماتنا . يظن الكثيرون انهم يجدون راحة عظمى لدى التأمل في بقاء اسمائهم ابد الدهر في هذا العالم ، وسير الاجيال الاتية على ما نسجوه من الاعمال واختطوه من الطرق ، وتمتع ذريتهم بما تركوه من الغنى والامجاد، وبقاء «بيوتهم الى الابد» مز ٤٩ : ١١

ولكنهم بهذا يخدعون انفسهم . فكم من «الاولين» ـ سواء في ذلك الاشياء او الاشخاص ـ كانوا في هذا العالم وكانوا في عصرهم من اعظم الرجال وعملوا أجل الاعمال ، ومع كل ذلك «ليس ذكر» لهم بل قد طرحوا في زوايا النسيان . قد يكون من حسن حظ شخص عظيم او عمل جليل ان يدون في صحائف التاريخ ولكن قد يُغفل ذكر اسماء اشخاص آخرين لا يقلون عنه شهرة وعظمة، ومن ذلك نستنتج ان «الآخرين ايضاً الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر» لان ما نرجو ان يذكرنا به «الذين يكونون بعدنا» اما ان يترك في زوايا النسيان او يغفل عنه

---

١٢ انا الجامعة كنت ملكا على اسرائيل في اورشليم ـ ١٣ ووجهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات .هو عناء رديء جعلها الله لبني البشر ليعنوا فيه ـ ١٤ رأيت كل الاعمال التي عملت تحت الشمس فاذا الكل باطل وقبض الريح ـ ١٥ الاعوج لايمكن ان يقوم والنقص لايمكن ان يجبر ـ ١٦ أنا ناجيت قلبي قائلا هانذا قد عظمت وازددت حكمة اكثر من كل من كان قبلي على اورشليم وقد رأى قلبي كثيراً من الحكمة والمعرفة ـ ١٧ ووجهت قلبي

لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل. فعرفت ان هذا ايضاً
قبض الريح ـ ١٨ لان في كثرة الحكمة كثرة الغم والذي
يزيد علماً يزيد حزناً

بعد ان ذكر سليمان بوجه عام ان « الكل باطل » وبعد
أن دون بعض البراهين العامة عن هذه الحقيقية نراه هنا يدقق
البحث لاثباتها بأقوى البراهين والادلة . وقد أقام هنا على ذلك
برهانين (١) من اختباره الشخصي ، فهو قد اختبر كل الامور
فوجدها باطلة (٢) بذكر بعض أمور خاصة ،وقد بدأ هنا بأفضلها
وبما يتوهم الجميع ان فيه سعادة البشر وهو المعرفة والعلم. فان كان
هذان الامران باطلين تحتم أن يكون كل ما عداهما باطلا أيضاً .
والآن نرى : —

(أولا) ان سليمان يخبرنا هنا عن اختباره عن كل الامور
العالمية وانه لو كان فيها أي راحة أو سعادة لكان هو أولى الناس
بالتمتع بها نظراً لما كان لديه من الامتيازات النادرة المثال .

(١) فمركزه الرفيع أفسح له المجال للتقدم في سائر أنواع العلوم
وبنوع أخص في الامور السياسية وتدبير شئون الرعية ع ١٢.
فالجامعة هذا كان « ملكاً على اسرائيل » الذين أعجب بهم كل
من جاورهم من الامم واعتقدوا انهم « شعب حكيم وفطن »
تث ٤:٦. وكانت قاعدة كرسية « في اورشليم » التي فاقت أثينا

بعظمتها واستحقت ان تدعى « فخر كل العالم » . ان قلب الملك لايمكن الوصول اليه لفحصه ومعرفة ما يكنه من الاسرار ، على انه طالما كان « في شفتيه وحي » ام ١٦: ١٠. من واجبات الملك ومن الشرف له أن يفحص كل أمر ، وسليمان قد ساعده مركزه وعظمته وغناه على أن يجعل بلاطه مركزاً للعلم ومجتمعاً للعلماء ويجهزه بأنفس الكتب والاسفار ، وعلى ان يحادث ويراسل أحكم البشر وأرسخهم قدماً في الفلسفة . وبذلك كانوا يستفيدون هم منه ويستفيد هو منهم لان العلم كالتجارة لاتنال فائدته الا بالتبادل ، لاننا ان وجدنا في كلام الآخرين ما نستفيد منه لابد ان يجدوا هم أيضاً في كلامنا مايستفيدون منه .

قد لاحظ البعض ان سليمان يتكلم عن نفسه هنا بكل تواضع فهو لم يقل « انا الجامعة ملك » بل يقول « كنت ملكا » بصيغة الماضي كأن ملكه قد زال ، دلالة على سرعة زوال الامجاد العالمية.

(٢) وهو أقام نفسه للتوسع في الحصول على الحكمة فوجد انها لن تصير الانسان حكيماً مالم يعطها كل قلبه « وجهت قلبي للسؤال والتفتيش » (عن كل ما تهمني معرفته) بالحكمة » ع ١٣ . انه قد جعل شغله الشاغل معرفة « كل ما عمل تحت السماوات » (أو تحت الشمس . انظر هامش الكتاب) أي كل اعمال العناية الالهية وكل اعمال الحكمة البشرية . انه قد أقام نفسه ليدخل أعماق الفلسفة والرياضيات ، وليسبر غور الفلاحة والتجارة والصناعة ، وليقف على حقيقة اخبار الاجيال الغابرة واحوال

الممالك الاخرى الحاضرة وشرائعهم وعوائدهم وسياستهم ، وليلم بطباع الناس المختلفة وكفاءاتهم وطرق قيادتهم وتدبير شئونهم. انه لم يوجه قلبه « للسؤال » فقط عن هذه الامور بل « للتفتيش » عنها وتدقيق البحث فيها لان الالمام بكل أطرافها يتطلب دقة البحث والتنقيب

انه كان ملكاً ولكنه جعل نفسه خادماً للعلم وتحمل كل مشقاته وشرب مرارته . وهو لم يفعل كل ذلك لمجرد التبحر في العلم وسعة الاطلاع بل لكي يهيء نفسه لخدمة الله وشعبه ولكي يختبر بنفسه مقدار ماتكسبه كثرة العلم من الراحة للعقل .

(٣) وقد نجح في ابحاثه نجاحاً لم يره شخص قبله وألمّ بكل أنواع العلوم الماماً عجيباً . انه لم يذم العلم ولم يشجبه كما يفعل الكثيرون لعدم استطاعتهم الالمام بكل أطرافه والتغلب على كل صعوباته ، كلا ! فان ما كان يصوب جهوده نحوه قد فاز بالحصول عليه ، انه قد «رأى كل الاعمال التي عملت تحت الشمس» ع ١٤ أي اعمال الطبيعة في العالمين العلوي والسفلي ، كل منتجات الفنون وبنات القرائح الانسانية السامية في دائرة جهودها الشخصية والعامة. لقد كان مستريحاً ومسروراً جداً من نجاح ابحاثه ، ككل انسان ، فهو قد « ناجى قلبه » ع ١٦ ليعرف مقدار ماحصل عليه من العلم والمعرفة كما يحصى التاجر الغني مقدار ما في مخازنه من السلع وهو مسرور ومبتهج . انه استطاع ان يقول « هانذا قد

عظمت وازددت حكمة » لم أمتع نفسي فقط بما اقتنيته من الحكمة بل قد نشرتها في كل الارجاء « اكثر من كل من كان قبلي على أورشليم » . (ملاحظة) انه يليق بالعظماء ان يكدوا قرائحهم في الدرس والتنقيب ويمتعوا انفسهم بالمسرات العقلية . وان اعطى الله امتيازات عظمى وفرصاً كثيرة لتحصيل المعرفة فهو ينتظر منا انتهاز هذه الفرص للانتفاع بها وما اسعد ذلك الشعب الذي يتنافس أمراؤه وأشرافه مع نظرائهم في تحصيل الحكمة والمعرفة كما يتنافسون معاً في الثروة والعظمة لانهم بذلك يؤدون له خدمات جليلة في رفع مستوى العلم الامر الذي ليس في مقدور الفقراء الوصول اليه

لا شك في ان سليمان يُعتبر الحكم الفصل في هذا الامر لانه لم يحشُ عقله بنظريات عن تلك الحكمة بل كان قلبه ممتلئاً بها « وقد رأى (أو اختبر) قلبي كثيراً من الحكمة والمعرفة » انه لم يختبر لذتها وتسليتها فقط بل قوتها وفوائدها ايضاً ، لانه عرف كيف ينتفع بما قد عرفه « فالحكمة اذ دخلت قلبه لذت لنفسه » ام ٢ : ١٠ و١١ ، ٢٢ : ١٨

(٤) وهو قد حصر ابحاثه في أحد فروع العلم وهو أهمها واكثرها نفعاً للانسان ع ١٧ : « وجهت قلبي لمعرفة الحكمة » أي قوانينها ونواميسها وكيفية الوصول اليها ؛ « ولمعرفة الحماقة

والجهـال » وكيفية تجنبهما والتخلص منهما ، ولمعرفة فخاخهما وغواياتهما حتى اجتنبها واحذر منها . فحقاً قد أجهد سليمان نفسه وكد قريحتـه لتوسيـع مداركه حتى تعلم كثيراً ونال ارشادات لا حصر لها من حكمة الحـكماء ومن حماقة وغبـاوة الجهلاء ، من « حقل الـكسلان وحقل المجتهد » ام ٢٤ : ٣٠ ـ ٣٢

(ثانيا) بعد ذلك يخبرنا عن نتيجة هذا الاختبار لـكي يؤيد ما سبق ان قاله من ان « الـكل باطل »

(١) فهو أولاً وجد ان ابحاثه وراء المعرفة متعبة ومنهكة لا للقوة الجسدية فقط بل للقوى العقلية ايضاً ع ١٣ : « هو عناء رديء » تلك الصعوبات الجمـة التي تنجم من التفتيش عن الحق « جعلها الله لبني البشر ليعنوا فيها » قصاصاً لطمع أبوينا الاولين للحصول على المعرفة التي حرمت عليهم . فآدم قد حكم عليه ان « يأكل خبزه (خبز النفس والجسد) بعرق جبينه » ولو لم يخطيء لحصل على الاثنين بدون تعب ولا عناء

(٢) ووجد انه كلما رأى « الاعمال التي عملت تحت الشمس » كلما ازداد اقتناعاً بان « الـكل باطل وقبض الريح » ع ١٤ : « رأيت كل الاعمال » التي تعمل في عالم مملوء بالتعب والانشغالات الزائدة وتأملت فيها يعمل بنو البشر فاذ بي رأيت ان « الـكل باطل وقبض الريح » مهما اعتقد الناس في أعمالهم . انه قد صرح في ع ٢ ان « الـكل باطل » أي بلا داع وبدون جدوى ، اما

هنا فيضيف على ذلك بقوله « وقبض الريح » أو « مضايقة الروح » (حسب بعض الترجمات) او « رعى الريح » (كهامش الكتاب . انظر أيضاً هو ١٢ : ١) .

١ . — فالاعمال نفسها التي نراها تعمل هي باطلة ومتعبة لاولئك الذين يتممونها . فمجرد تفكيرنا في أعمالنا العالمية يتطلب مجهوداً فكرياً عظيماً ، واتمامنا لها يتطلب عناء لا يستهان به ، وفشلنا فيها يجر علينا آلاماً لا نحتمل ؛ ومن ذلك لا يمكننا الا ان نقول انها « مضايقة للروح » بوجه الاجمال .

٢ .ـ والشخص العاقل الحكيم لا يرى فيها سوى البطلان ومضايقة الروح . فكلما رأيناها كلما تحققنا مما تكسبنا اياه من عدم الراحة والجزع وتأكدنا صحة قول هرقل بان الانسان لا يرى كل ما في العالم الا بعينين باكيتين . وسليمان قد عرف بنوع خاص ان « معرفة الحكمة والجهل قبض الريح (او مضايقة الروح) » ع ١٧ ، لانه قد آلمه جداً وضايق روحه الطاهرة ان يرى الكثيرين من الحكماء لا يستعملون حكمتهم لينتفعوا بها ، والكثيرين من الجهلاء لا يجاهدون ضد حماقتهم وجهلهم . قد آلمه جداً ـ عند ما عرف الحكمة ـ ان يرى الحكمة بعيدة جداً عن بني البشر ، وان يرى الجهل ناشباً اظفاره في قلوبهم

(٣) ووجد ايضاً بانه عند ما حصل على المعرفة لم يستطع ان ينال منها راحة لنفسه او يستعين بها على اتمام ما كان ينتظره من الخير للاخرين ع ١٥ . فقد اتضح له بانها لم تجده أي نفع :—

١ . — في تخفيف هموم الحياة وأحزانها الكثيرة واصلاح كل ما اعوج فيها ، فسليمان ينادينا بأعلى الصوت قائلا : اني في النهاية وجدت ان « الاعوج لا يمكن ان يقوم » بل سيظل كما هو . ان المعرفة نفسها معوجة ومعقدة ، وان أردنا ان نلم بكل أطرافها طال بنا الطريق بلا جدوى ؛ لذلك ظن سليمان انه يستطيع ان يجد طريقاً أقصر للوصول اليها ولكن لم يفلح . وعقول البشر وطبائعهم معوجة وفاسدة ؛ لذلك توهم سليمان انه بحكمته وسلطانه يستطيع ان يقوّم كل ما اعوج في مملكته ولكن ذهبت مساعيه ادراج الرياح . فكل فلسفة وكل سياسة في العالم لا تستطيع ان ترد طبيعة الانسان الفاسدة الى صلاحها وبرارتها وطهارتها الاولى ، والعلم لا يستطيع ان يغير طبائع الناس الفطرية أو يخلصهم من نجاستهم .

٢ . — في تكميل كل ما نقص لتعزية الانسان . « والنقص لا يمكن ان يجبر » (أو يعد حسب هامش الكتاب) لا يمكن ان تكمله العلوم البشرية بل سيزال ناقصاً كما هو . فكل ما توهمناه من السعادة في هذه الحياة لا نستطيع ان نجعله كاملاً بل سيظل أبد الدهر ناقصاً . « والنقص » في المعرفة والحكمة كثير جداً لدرجة انه « لا يمكن ان يعد » . وكلما ازددنا معرفة كلما ازداد جهلنا وضوحاً . «السهوات من يشعر بها» (أو «من يستطيع ان يعرف سيئاته » حسب الترجمة الانكليزية) مز ١٩ : ١٢

(٤) ولذلك فهو يستنتج بوجه الاجمال ان أعظم الفلاسفة

وأدقهم بحثاً وراء المعرفة انما يسعون وراء الهموم والاحزان : «لان في كثرة الحكمة كثرة الغم» ع ١٨ فالحصول عليها يسبب آلاماً طائلة والاحتفاظ بها يستلزم انشغال بال زائد ، وكلما حصلنا عليها كلما شعرنا بانه ينقصنا الكثير منها ـ فيظهر لنا بأجلى وضوح ان عملنا ناقص على الدوام — وكلما ظهرت امام أعيننا نقائصنا الماضية وزلاتنا السابقة ، وذلك طبعاً يسبب لنا « كثرة الغم » . اننا كلما رأينا مشاعر الناس وآراءهم المختلفة — وهي ما يصبو نحوها أغلب العلم — كلما ازدادت حيرتنا لمعرفة أيها الاصح « والذين يزيدون علماً » أي يزدادون معرفة وادراكاً لمصائب هذه الحياة ، لانهم ان وجدوا أمراً واحداً يسرهم قد يرون عشرة تؤلمهم وبذلك « يزيدون حزناً » .على اننا لا يليق بنا ان نمتنع بسبب ذلك عن السعي وراء الحصول على المعرفة النافعة بل لنتغلب على أحزانها بالصبر ؛ لكن ايانا وانتظار السعادة الحقيقية من هـذه المعرفة ، بل علينا ان نتطلبها من معرفة الله ومن تأدية واجباتنا من نحوه ، لان الذي يزيد حكمة سماوية ومعرفة حقيقية لقوة الحياة الروحية وسعادتها يزيد فرحاً بل سيكمل ذلك الفرح بالفرح الابدي

الاصحاح الثاني

ان سليمان اذ صرح في الاصحاح الماضي بان «الكل باطل» وخص بالذكر «العلم والمعرفة لانه لم يستطع ان يجد لنفسه فيهما سعادة وسروراً بل بالعكس وجد انه كلما زاد تعمقاً فيهما كلما ازداد حزنه وغمه ، نراه في هذا الاصحاح يستمر ليبين الاسباب التي جعلته يئن من العالم ويكرهه هو وأغلب الناس (١) فأولا يظهر انه لا سعادة حقيقية في الافراح والمسرات العالمية والتنعمات الجسدية ع ١ — ١١ (٢) وهو يعيد النظر والتأمل في الحكمة فيجد انها حقاً نافعة وسامية الشأن جداً ولكنه يرى ان النقص يتغلغل فيها فهي لذلك لا تكفي ان تنيل الانسان السعادة الحقيقية ع ١٢ — ١٦ (٣) وهو يتتبع آثار كل اعمال الحياة ونتائجها ليعرف الى أي حد تجعل الانسان سعيداً فيستنتج من اختباره بأن كل الذين يضعون قلوبهم عليها لا بد ان يجدوها « باطلة وقبض الريح » ع١٧ — ٢٣ اما ان كان فيها أي خير فلا يتمتع به الا الذين يفرغون قلوبهم منها ع ٢٤ — ٢٦

١ قلت أنا في قلبي هلم أمتحنك بالفرح فترى خيراً واذا هذا أيضاً باطل — ٢ للضحك قلت مجنون والفرح ماذا يفعل — ٣ افتكرت في قلبي ان اتلل جسدي بالخمر . وقلبي يلهج بالحكمة وان آخذ بالحماقة حتى أرى ما هو الخير لبني البشر حتى يفعلوه تحت السماوات مدة أيام حياتهم —

٤ فعظمت عملي . بنيت لنفسي بيوتاً غرست لنفسي كروماً — ٥ عملت لنفسي جنات وفراديس وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر — ٦ عملت لنفسي برك مياه تسقى بها المغارس المنبتة الشجر — ٧ قنيت عبيداً وجواري وكان لي ولدان البيت . وكانت لي أيضاً قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا في اورشليم قبلي — ٨ جمعت لنفسي أيضاً فضة وذهباً وخصوصيات الملوك والبلدان . اتخذت لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات — ٩ فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلي في اورشليم وبقيت أيضاً حكمتي معي — ١٠ ومهما اشتهته عيناي لم امسكه عنهما . لم امنع قلبي من كل فرح . لان قلبي فرح بكل تعبي وهذا كان نصيبي من كل تعبي — ١١ ثم التفت أنا الى كل أعمالي التي عملتها يداي والى التعب الذي تعبته في عمله فاذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس .

في هذه الاعداد نرى سليمان يتتبع آثار سعادة الانسان ويفتش عنها في ابحاثه ومجلداته ومعامله ومصانعه ؛ في حدائقه

ومنتزهاته ، ويتنقل بين الفلاسفة والعظماء وبين الابطال والنابغين في الحكمة والذكاء ، ويستبدل حاشيته بغيرها عله يعثر بينها على راحة أو سعادة حقيقية ، ولكن قد ذهبت كل مساعيه ادراج الرياح . ومما نلاحظه عنه هنا انه بعد ان ارتفع الى السماك الاعزل في ابحاثه اضطر ان ينزل الى الحضيض الاسفل ، فهو بعد ان بحث ونقب في المسرات واللذات العقلية السامية الشريفة هبط الى اللذات البهيمية والشهوات الجسدانية السافلة الدنيئة ، على انه رأى انه لا بد له من السلوك في هذا الطريق الوعر ان أراد ان يبحث بحثاً مستفيضاً ويحصل على نتيجة مرضية ، لان اغلب البشر يتوهمون انهم قد حصلوا على ما كان ينشده هو

(أولا) انه عزم على ان يجرب الافراح والمسرات العالمية ولذة العلم والذكاء وماذا يكون فعلها في الانسان ، وعلى ان يختبر مقدار ما يناله من السعادة ان قضى شطراً عظيماً من أوقاته في الهزل والمجون والضحك والتسلية بالتحدث أو سماع القصص والاخبار السارة والنكات الهزلية

(١) فهو عمل هذه التجربة ع ١ لانه وجد « ان في كثرة الحكمة كثرة الغم » ص ١ : ١٨ وان الذين يقضون كل أوقاتهم في الجديات يميلون دائماً للكآبة والسويداء ، لذلك « قلت أنا في قلبي هلم أمتحنك بالفرح » لارى هل يستطيع ذلك أن ينيلك راحة . انه لاشيء في طبعه الداخلي أو ظروفه الخارجية يمنعه من أن يكون سعيداً ولذلك عزم على ان يخلى عنه كل اهتمام وانشغال

بال ويعيش سعيداً « ليرى خيراً ». لانه قد يعيش الانسان سعيداً ويتمتع بالخير الجزيل وهو لا يملك من حطام الدنيا ما يلتذ به نفسه اذ لاشك في ان أغلب الفقراء سعداء . ان الافراح الناشئة من تلذذ قوى الانسان العقلية لا فضل بكثير من تلك الناشئة من أشباع شهواته البهيمية واهوائه الجسدية . حتى ان البعض يميز الانسان على الحيوان لا بأنه حيوان ناطق عاقل بل بأنه حيوان يضحك، لذا فذاك الذي قال لنفسه «استريحي وكلي واشربي» كان له الحق أن يقول بعد ذلك «وافرحي » لو ١٢: ١٩ لانه لهذا يأكل ويشرب. ومن أجل ذلك يأمرنا سليمان بأن نضحك لنسر أنفسنا.

(٢) حكمه على هذه التجربة : « واذا هذا أيضاً باطل » كباقي الامور لانه لا يهب الانسان سعادة حقيقية ع ٢ . « للضحك قلت مجنون » (أو أنت مجنون) لذلك فلا شأن لي بك ، « والفرح (أي كل أنواع التسليات والملاهي) ماذا يفعل » (أو ماذا تفعل) . ان الافراح الخالية من كل شائبة لو استعملت بتعقل ووقار واعتدال تصير أمراً حسناً وتعين الانسان على متابعة أعماله وتروح عن نفسه كل متاعب وهموم الحياة البشرية، ولكن ان زادت عن حد الاعتدال وخرجت عن حدود اللياقة لا تصير غير منتجة فقط بل مضرة أيضاً .

١ . _ فأولا لا يكون من ورائها أي نفع : « ماذا تفعل »؟ انها لا تهدىء ضميراً مذنباً ، ولا تريح نفساً أضناها الحزن والغم لانه لا شيء أسخف وأثقل من ان « تغني أغاني لقلب كئيب »

أم ٢٥ : ٢٠ . فكل ذلك لايشبع النفس ولا يرضيها ، لانه لايعتبر الا مسكنا لالام الزمان الحاضر. فالضحك الكثير ينتهي عادة بالحزن الكثير

٢ . ـ وفوق ذلك فهي ينجم عنها الضرر البليغ : «مجنون» أي انها تصير الانسان مجنونا ، تحمله لارتكاب كثير من الشرور التي تنافي عقليته وديانته . فان كان ينغمس في مثل هذه الشرور ويبتعد قلبه عن الله وعن كل أمر طاهر الايحسب في عداد المجانين. ان الذين يحبون الفرح ينبذون الجديات، فانهم ان «حملوا الدف والعود وطربوا بصوت المزمار يقولون لله ابعد عنا » اى ٢١ :١٢ و١٤ .

اننا نستطيع كسليمان أن نمتحن أنفسنا بالفرح لنحكم على حالة نفوسنا بموقفها فيه ومقدار تأثرنا به ، ولنعرف انستطيع ان نكون فرحين وحكماء في نفس الوقت ؟ انحن نستعمل الفرح كالفاكهة في الطعام أم كالطعام نفسه ؟ على انه لاحاجة لنا لهذا الامتحان لان سليمان قد أغنانا مؤونة التعب ، فلنأخذ حكمه النهائي كقضية مسلمة وهو ان « الضحك مجنون ، والفرح ماذا يفعل » . قال السير ويليم تمبل ان الضحك والسرور أمران يختلفان عن بعضهما تمام الاختلاف وينبعثان عن عاطفتين مختلفتين لانه كما ان الناس لايضحكون على أي امر يسرون منه كذلك هم لايسرون من اي امر يضحكون عليه.

(ثانياً) وهو اذ لم يجد أي سعادة في اللذات العقلية عزم على ان يجرب اللذات المذاقية ع ٣، لانه ان كانت معرفة المخلوقات

لم تفده فقد أراد ان يعرف ماذا يكون من أمر استعمالها : « افتكرت ان اعلل جسدي بالخمر » أي بالطعام الشهي والشراب الجيد . ان الكثيرين يتمادون في استعمال هذه الاشياء بدون افتكار ولا روية غير ناظرين الا لاشباع شهواتهم الجسدية ، اما سليمان فنراه لم يستعملها الا بعد ان « فكر في قلبه » أولا كشخص عاقل يتبصر في عواقب الامور قبل فعلها لاحظ هنا:ـ

(١) انه لم يسمح لنفسه بالتمتع باللذات الجسدية الا بعد ان أجهد نفسه في مباحثه الدقيقة . فهو لم « يفكر ان يعلل جسده بالخمر » الا بعد ان اختبر ان « في كثرة الحكمة كثرة الغم » .عندما تفنى قوانا في عمل الخير ويضنينا التعب يحق لنا ان ننعش أنفسنا بالتمتع بخيرات الله لنروح عنا عناء التعب . فان استعملت تلك اللذات الجسدية في وقت الحاجة اليها فقط كما رأيناها هنا كما نستعمل المنبهات فلا مانع من ذلك ، وحسبنا دليلا على ذلك تيموثاوس فانه شرب الخمر بسبب اعتلال صحته ١ تى ٥ : ٢٣ .وردت عبارة « اعلل جسدي بالخمر » في بعض الترجمات هكذا « اقرب أو أجذب جسدي للخمر » فكل الاشخاص المولعين بالخمر قد ضغطوا على عواطفهم فى أول الامر وجذبوا أجسادهم اليها بالعنف ، ولكن ليتذكروا الى أي تعاسة وشقاء قد جذبوا أنفسهم

(٢) بعد ذلك نظر اليها بانها حماقة واظهر بانه لم يقرب اليها الا بعد كل اباء واحجام، وما مثله في ذلك الا مثل بولس الذي عندما أراد ان يمدح نفسه وصف نفسه بالغباوة ٢ كو ١١ : ١ . انه قد فكر

«ان يأخذ بالحماقة» (أو يمسك بها) ليعرف الى أي حد تصير هذه الحماقة الانسان سعيداً ، ولكن ما كان احوجه للابتعاد عن هذا الطريق . انه عزم على ان لا تأخذه الحماقة (أي تمسك به) او تسود عليه بل على ان يأخذ هو بها (اي يمسك بها) لكي يحفظها بعيدة عن نفسه ، ولكن رغم كل ذلك لم يفلح في هذه التجربة .

(٣) وفي نفس الوقت اهتم بان « يلهج بالحكمة » أي بان يكون حكيماً في استعمال ملذاته حتى لا تسبب له أي ضرر او تؤثر عليه فلا يعطي عنها حكماً عادلا نزيهاً . ففى الوقت الذي « علل جسده بالخمر جعل قلبه يلهج بالحكمة » أي استمر في طلب المعرفة ،ولم يسلك بغباوة ، ولم يجعل نفسه مستعبداً لملذاته . كان يسعى في ان يجمع بين ابحاثه وراء الحكمة وبين ملذاته وولائمه ليرى هل يستطيع ان يجد فيهما — مجتمعين — تلك السعادة التي لم يجدها فيهما متفرقين . هذا ما قد توهمه سليمان ولكنه وجده زعماً باطلا، لان الذين يريدون ان يعللوا اجسادهم بالخمر وفي الوقت نفسه يجعلون قلوبهم تلهج بالحكمة يخدعون أنفسهم كاولئك الذين يظنون انهم يستطيعون ان يعبدوا الله والمال. ان «الخمر مستهزئة» ام ٢٠ : ١ ومضللة ولذلك فلن يستطيع الانسان ان يقول انه سيقتصر على ان يعلل جسده بها فقط دون ان تؤثر عليه اي تأثير آخر

(٤) ان غرضه من كل ذلك لم يكن لاشباع شهوته بل البحث وراء سعادة الانسان ، وقد اضطر ان يسلك هذا السبيل لان

الناس ادعوا ان فيه سعادتهم. لاحظ هنا ما يصف به سعادة الانسان:
« الخير لبني البشر حتى يفعلوه تحت السماوات مدة ايام حياتهم »

١. — فالذي يتحتم علينا الاهتمام به والسعي وراءه ليس هو الخير الذي يجب ان نحصل عليه — لان هذا يحسن بنا ان نتركه لله — بل الخير الذي يجب ان « نفعله ». فلنطلب من الله مع ذاك الذي سأله قائلاً « أيها المعلم الصالح أي صلاح (او خير) اعمل لتكون لي الحياة الابدية » مت ١٩ :١٦. فسعادتنا تنحصر لا في الكسل بل في العمل، في العمل بجد واستقامة، في عمل الخير والصلاح. فان « فعلنا الصلاح » لا شك في ان « يكون لنا مدح منه » رو ١٣:٣

٢. — هذا الخير يجب ان نفعله « تحت السماوات » أي طالما كنا في هذا العالم، وطالما كان نهار، وطالما وجدت لنا الفرصة للعمل. هذا العالم عالم التعب والعمل والخدمة أما في العالم الآتي فيجب ان ننتظر المجازاة، اذ هناك « اعمالنا تتبعنا » رؤ ١٤:١٣

٣. — ويجب ان نفعله « مدة أيام حياتنا ». ان الخير الذي يتحتم علينا فعله يجب ان نستمر فيه الى النهاية، طالما بقي لدينا وقت للعمل. « عدد أيام حياتهم » (حسب هامش الكتاب) ان

عدد أيام حياتنا محصى لدى الله الذي « في يده آجالنا » مز ٣١ :١٥ فهي كلها تقضي حسب ارشاده ولكن كون الانسان يعلل جسده بالخمر ليهتدي الى أحسن السبل للسلوك في هذا العالم ان هو الا ضرب من الجنون ومن أجله نرى سليمان يوبخ نفسه بعنف. أمن المعقول ان يكون هذا هو الخير الذي يجب ان يعمله الانسان؟

كلا ! فهو واضح بانه من أردأ الامور

(ثالثاً) واذ شعر في الحال بانه من الحماقة ان يعالج الامر بولوج باب الخمر عزم على ان يجرب أفخر الملذات ومسرات الملوك والامراء والعظماء . لقد كان مورد ثروته عظيماً جداً على انه انفقه كله في ارضاء مزاجه وسد مطامعه واميال حتى تظهر عظمته وجاهه

(١) انه قد وجه اهتمامه لبناء الابنية الكثيرة سواء في المدن أو القرى : « بنيت لنفسي بيوتاً » ع ٤ . فهو اذ بدأ حكمه ببناء بيت نخم لله صار له الحق في بناء بيوت لنفسه ارضاء لمزاجه لانه عرف كيف يبدأ عمله على الوجه الحسن مت ٦ : ٣٣ وليس كالناس الذين « سكنوا في بيوتهم المغشاة وتركوا بيت الرب خراباً » حج ١ : ٤ ، ولذلك افلح في عمله . ومما نلاحظه عن سليمان انه كان يستخدم الفقراء في البناء ليحسن اليهم . عند ما تقرأ عن ابنية سليمان (١مل ٩ : ١٥ — ١٩) نجدها كلها أعمالا عظيمة كما يقول هو « عظمت عملي » فقد كانت موضوع اهتمامه الوحيد وكان يعتقد انها ستنطق بمجده وعظمته . فغلطته كانت تنحصر في انه سعى في طلب « الخير الذي يجب ان يفعله » ع ٣ فقاده سعيه هذا الى ان « يعظم عمله » . صحيح ان كل اعمال الخير تعد أعمالا عظيمة ولكن لا يمكن ان تعد كل الاعمال العظيمة أعمال خير ولا الاعمال العجيبة أعمالا صالحة مت ٧ : ٢٢ و ٢٣

(٢) وهو انشغل بحب الحدائق والجنات التي تسحر لب البعض كحب البناء . « غرست لنفسي كروماً » وهي ما تنبتها ارض

كنعان ويساعد على نموها طقسها الجميل . انه « عمـل لنفسه جنات وفراديس » ع ٥ وقد لا تقل صناعة الحدائق والجنات في ذاك الوقت عما هي عليه الآن . انه لم يكن لدى سليمان الغابات ذات الاشجار العالية فقط التي تستعمل في البناء بل أيضاً « اشجار من كل نوع ثمر » غرسها هو بنفسه ، وحقاً انه لو وجد في هذا العالم عمل يفيل الانسان سعادة لكان هذا هو ما كلف بعمله آدم في حالة برارته

(٣) وهو قد انفق أموالا طائلة في عمل البرك والمجاري لا للزينة والتسلية بل « ليسقي بها المغارس المنبتة الشجر » ع ٦ . انه لم يغرس فقط بل سقى وترك لله الانماء ١ كو ٣: ٧. ان ينابيع الماء بركة عظيمة يش ١٥ : ١٩ وحيثما أوجدتها الطبيعة يجب ان يحولها الانسان الى أي جهة شاء لاستخدامها في منفعته ام ٢١: ١

(٤) وهو اكثر عدد عائلته . عنـد ما عزم على ان « يعظم عمله » رأى انه من الضروري ان يستخدم أياد كثيرة فاقتنى « عبيداً وجواري » اشتراهم بأمواله ، ومن هؤلاء « كان له ولدان البيت » ع ٧ . وبهذه الطريقة ازدادت حاشيته فظهرت عظمته . انظر عز ٢: ٥٨

(٥) وهو لم يغفل عن الاعمال القروية بل كان يسلي نفسه بها أيضاً ولم تحوله عنها ابحاثه الكثيرة وراء الحكمة والمعرفة ولا ملذاته الاخرى . « فكانت له أيضاً قنية بقر وغنم » كما كان أبوه

من قبله ١ أي ٢٧ : ٢٩ و ٣١ ولم ينس ان اباه كان في أول أيامه حارساً للغنم. فليعتبر بذلك المشتغلون بالمواشي حتى لا يحتقروا عملهم أو يملوه ذاكرين ان سليمان يعد اقتناء البقر والغنم من ضمن أعماله العظيمة ولذاته

(٦) على ان ما بناه من القصور الشامخة والابنية الفخمة وما غرسه من الفراديس والجنات لم يؤثر على ثروته كالكثيرين بل كانت رغم كل ذلك تنمو وتزداد. فهو كان «يفرق فيزداد» ام ١١ : ٢٤ . انه ملأ خزانته «فضة وذهباً» على انهما لم يستقرا هنالك بل كانا ينتشران في كل ارجاء مملكته، وبذلك «جعل الفضة في اورشليم مثل الحجارة» ١مل ١٠ : ٢٧ . بل انه قد حصل أيضاً على «خصوصيات الملوك والبلدان» وهذه كانت أثمن بكثير من الفضة والذهب، فالملوك المجاورون له والبلدان النائية كانت ترسل اليه أنفس الهدايا لترضاه وتستعطف وجهه وتنال منه قسطاً من حكمته

(٧) وقد توفر لديه أيضاً كل ما يسحر الالباب ويشرح الافئدة، كل أنواع الموسيقى والغناء، «مغنين ومغنيات» أحسن ما وجد في ذاك الوقت من الاصوات وأرخم ما عرف من الآلات الموسيقية. لقد نبغ أبوه في فن الموسيقى، على انه كان يستعملها في العبادة خلافاً لابنه الذي كان يستعملها للطرب وارضاء مزاجه. وقد أطلق على هذه «تنعمات بني البشر» لان ارضاء الشهوات هو ما يصبو نحوه عامة البشر ويبتهجوا به أشد الابتهاج. ان

تنعمات بني الله تختلف عن تلك التنعمات اختلافاً بيّناً، فهي طاهرة وروحية وسماوية ، هي تنعمات الملائكة .

(٨) وهو قد تمتع أكثر من غيره باللذات العقلية والجسدية في وقت واحد . فهو من هذه الوجهة قد « عظم وازداد أكثر من جميع الذين كانوا قبله » لانه قد احتفظ بحكمته وهو منهمك في ملذاته التي تفوق الحصر. من الغريب جداً ومما لم يتفق حصوله أبداً ما رأيناه في سليمان

١ . — فان ملذاته وتنعماته الكثيرة لم تعوج حكمه وقضاءه ولم تدنس ضميره.ففي وسط كل هذه الملذات« بقيت حكمته معه » ع ٩ ، في وسط كل هذه التصرفات الصبيانية بقيت روحه في حالة الرجولية ، ملك زمام نفسه وكبح جماح شهواته الجسدية. فمقدار ما حصل عليه من الحكمة كان وافراً جداً حتى انه لم ينفد في معترك هذه الحياة كما يحصل لحكمة الكثيرين .ولكن ليحذر كل شخص من ان يتخذ ما أتاه سليمان حجة مسلمة واهماً بانه يستطيع ان يحتفظ بحكمته وسط تنعماته وملذاته كسليمان ، لانه مهما بلغت حكمته من القوة فهي لم ولن تبلغ قوة حكمة سليمان، بل ان سليمان قد انخدع وضل الطريق لانه كيف تكون قد «بقيت حكمته معه» عند ماابتعد قلبه عن الله وبنى مذابح للآلهة الغريبة ارضاء لزوجاته الاجنبيات ؟

على ان حكمته قد بقيت معه الى هذا الحد فقط وهو انه لم يستعبد لشهواته وملذاته بل استطاع ان يملك زمامها ويحكم عليها

حكماً عادلا . فهو لم يتجول في أرض الاعداء هرباً بل ليتجسسها ويرى عورتها تك ٤٢ : ٩ ؛ يش ٢ : ١

٢ . — على ان ضميره وحكمه الذي اصدره عن هذه الملذات والتنعمات لم يمنعانه من التمتع بها ومن استخلاص زبدتها وخلاصتها ع ١٠ . قد يعترض البعض قائلين انه ان كانت قد « بقيت حكمته معه » فالظروف لم تمكنه ولم تكن له الحرية الكافية للتعمق في معرفة تلك الملذات واختبارها اختباراً دقيقاً ، اما هو فيجيب عليهم بقوله : نعم ! فقد تركت لنفسي مطلق الحرية لتعمل ماتشاء لانه « مهما اشتهته عيناي لم امسكه عنهما » ان كان الوصول اليه بطريقة شرعية مهما كلفني ذلك من المشقات والنفقات. وكما اني لم امنع من قلبي أي فرح اشتهاه كذلك « لم امنع قلبي من كل فرح » بل اطلقت لنفسي العنان للتمتع بكل ما اشتهته من الملذات في حدود الحكمة ، على انه لم يكن في ظروفه أو خلقه مايعكر صفو هذه الملذات أو يفسدها او يعكر صفوه هو عند التمتع بها .

وبالاختصار فهو (أولا) قد أبهج وأسعد نفسه في عمله : « قلبي فرح بكل تعبي » ولم يكن لما لاقيته من التعب وانهاك القوى تأثير على ملذاتي ومسراتي (ثانياً) لم يخسر شيئاً من ارباح عمله . فلم يصادف أي أمر يثبط عزائمه وتخور منه قواه : « وهذا كان نصيبي من كل تعبي » ففضلا عن تمتعه بتلك اللذات وجد أيضاً بأنها لم تمنعه من أن يأكل من تعب يديه ، وهذا

طبعاً كل ما كان ينتظره من أتعابه . ومن كل ذلك نرى ان أعماله قد تكللت بالنجاح وتنعماته تعظمت لانها كانت ثمار أعماله، وبوجه الاجمال ان العالم قد أسعده أكثر من أي شخص في عالم الوجود (٩) وأخيراً نراه يعطينا حكماً عادلا عن كل ذلك ع ١١ .عند ما أكمل الخالق كل أعماله العظيمة أعاد عليها النظر « فاذا الكل حسن جداً » تك ١ : ٣١ وسر منها كلها ، أما سليمان فعندما أعاد نظره « والتفت الى كل أعماله التي عملتها يداه » وكلفته النفقات الطائلة والمجهودات العظيمة « والى التعب الذي تعبه » ليربح ويسعد نفسه « فاذا الكل باطل وقبض الريح » لم يجد فيها شيئاً يحقق آماله، لم يحصل منها على اي راحة أو منفعة « لامنفعة تحت الشمس » لا في اعمال هذه الحياة ولا في ملذاتها

---

١٢ — ثم التفت لانظر الحكمة والحماقة والجهل . فما الانسان الذي يأتي وراء الملك الذي قد نصبوه منذ زمان — ١٣ فرأيت ان للحكمة منفعة اكثر من الجهل كما ان للنور منفعة اكثر من الظلمة — ١٤ الحكيم عيناه في رأسه .اما الجاهل فيسلك في الظلام . وعرفت أنا ايضاً ان حادثة واحدة تحدث لكليهما — ١٥ قلت في قلبي كما يحدث للجاهل كذلك يحدث ايضاً لي انا . واذ ذاك فلماذا انا اوفر حكمة .

فقلت في قلبي هذا ايضاً باطل ـ ١٦ لانه ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل الى الابد . كما منذ زمان كذا الايام الآتية الكل ينسى . وكيف يموت الحكيم ؟ كالجاهل.

بعد ان اختبر سليمان وعرف مقدار ما يحصل عليه الانسان من السعادة عن طريق العلم أولا ثم عن طريق اللذات الجسدية ، وبعد ان جمع بينهما معاً في وقت واحد ، نراه هنا يقارن كليهما بالآخر ويصدر عليهما حكماً عادلا .

(اولا) يقيم نفسه للتأمل في الحكمة والجهل . رأينا في ص ١ : ١٧ انه سبق له النظر فيهما ؛ ولكن لئلا يظن انه قد تسرع في الحكم عليهما نراه هنا يعيد البحث والتفكير فيهما علّه يجد فيهما راحة أكثر مما وجد في الماضي . انه قد تعب من ملذاته وسئمها ولذلك نراه يتحول عنها ويعود لتأملاته السابقة . فان وجدنا بعد تكرار مساعيه واختباراته ان حكمه لم يتغير لتأكدنا بان هذا هو الحكم الفاصل لانه « ما الانسان الذي يأتي وراء الملك » (أوماذا يستطيع ان يعمل الانسان الخ)

خصوصاً وراء ملك كهذا مَلَك من الدنيا ما يكفي لتعمقه في البحث والاختبار ومن الحكمة ما يكفي ليقرن بها كل اختباراته وابحاثه . ان المساعي والاختبارات التي لا تنجح لا حاجة لتكرارها . لا يستطيع احد ان يحصل على أي شيء من هذا العالم اكثر مما حصل عليه سليمان ، ولا يمكنه ان ينال فكراً

ثاقباً ودراية تامة بالمبادىء الاخلاقية كسليمان ، لانه مهما عمل الناس فهذا هو « الذي قد عملوه (١) منذزمان »

فلنتعلم من ذلك (١) بان لا نغتر بانفسنا واهمين اننا نستطيع ان نصلح ما قد عمل من قبلنا بل لنحسب بعضنا بعضاً أفضل من انفسنا في ٢ : ٣ ، ولنعتقد عدم مقدرتنا على اصلاح ما عمله سلفنا من ذوي العقول الراجحة والكفاءة النادرة ؛ ولنعرف باننا مدينون لفضلهم وأتعابهم الكثيرة يو ٤ : ٣٧و٣٨ (٢) ان ندعن لحكم سليمان على أمور هذا العالم ولا نحاول بان نفكر في اعادة التجربة لاننا لن نحلم بان تخدمنا الظروف بمقدار ما خدمت سليمان أو نحصل على ما حصل عليه من الامتيازات التي مكنته من التعمق في اختباراته من غير ان يلحقه منها أي ضرر

(ثانيا) وهو يفضل الحكمة عن الجهل . فلا يليق بان يسيء الناس الظن في سليمان أو يتوهموا بانه عندما يقرر بطلان العلوم والحكمة والمعرفة يقصد ان يمدح الجهل ويثني عليه . كلا ! فان مما نلاحظه عنه انه يحترس على الدوام لئلا يسيء الناس الظن فيه لانه يقرر حقائق مقدسة . فهو يقول : اني « رأيت للحكمة منفعة اكثر من الجهل كما ان للنور منفعة اكثر من الظلمة »

ان ملذات الحكمة ولو لم تكف لاسعاد الانسان الا انها تفوق بكثير ملذات الخمر . فالحكمة تنير النفس وتكشف لها الطريق

(١) حسب النص العبراني . انظر هامش الكتاب .

الكبح جماحها وقيادة زمامها ، اما الشهوات الجسدية — وهي المقصودة بالجهل هنا — فتسدل حجبها الكثيفة على العقل فيصبح في ظلام دامس وتضع غشاوة على العينين فيتعثر الانسان في سيره أو يضل الطريق.

أو — بمعنى آخر — ان كانت الحكمة والمعرفة لا تستطيعان اسعاد الانسان (وبولس الرسول « يرينا طريقاً أفضل » من المواهب وهو طريق النعمة ١ كو ١٢ : ٣١) الا انه خير له الحصول عليهما نظراً لما يحصل عليه بواسطتهما من السلامة والتعزية والفوائد الجمة لان « الحكيم عيناه في رأسه » ع ١٤ حيث يجب ان يكونا ، فيسهل عليه رؤية الاخطار ليتجنبها والصالحات فينتفع بها . الحكيم ان عرض عليه امر لا يحتاج لفحصه أو البحث فيه بل سرعان ما يرى الطريق الذي يسلكه والطريق الذي يتجنبه ، « اما الجاهل فيسلك في الظلام » ان سلك سبيلا اما ان يقف فيه حائراً مرتبكا لا يعرف الى أي جهة يسير ولا يستطيع التقدم الي الامام خطوة واحدة لشدة اختبال عقله ، أو يسقط في هاوية سحيقة لا قرار لها . فالعاقل يسير في كل أعماله بحزم ونزاهة واستقامة ولا يناله أي أذى وما مثله الا كمثل الذين يسلكون بالنهار ، اما الجاهل الغبي فيقوم من عثرة ويسقط في أخرى ، كل أعماله بطياشة وأفكاره فاسدة ومشروعاته خائبة . لذلك « اقتن الحكمة اقتن الفهم » ام ٤ : ٥

(ثالثا) على انه لا يزال يقرر بان حكمة هذا العالم لا تفيد

الا فائدة جزئية من جهة السعادة الدائمة والراحة التي لا يعتريها أي شائبة .

(١) لان الحكماء والجهلاء يستوون في نصيبهم من هذا العالم .

صحيح ان الحكيم ينتفع بحكمته اكثر من الجاهل نظراً لما يتمتع به من بعد النظر ودقة البحث ، ولكن طالما طاشت سهام الجميع في كثير من الاحوال حتى اني «عرفت أنا» بعد كثرة اختباري « ان حادثة واحدة تحدث لكليهما » ع ١٤ ، فأولئك الشديدو الحرص على صحتهم سرعان ما تصيبهم الامراض كما تصيب الذين لا يوجهون الى انفسهم أقل عناية صحية ، لان كثيري التشكك هم الذين ينخدعون . ولقد لاحظ داود ان « الحكماء يموتون » وينجرفون في تيار الموت مع الجهال والبلداء على السواء مز ٤٩ : ١٠ انظر ايضاً ص ٩ : ١١ . نعم فقد تلاحظ منذ قديم الايام ان «الحظ يخدم الجهلاء (١) » وان متوسطي الذكاء يفلحون في كل طرقهم اكثر من الجهابذة والنبغاء . الحكيم والجاهل يصيبهما مرض واحد ويبتلعهما موت واحد .

وهنا (في ع ١٥) نرى سليمان يطبق هذه الحقيقة المؤلمة على نفسه كي لا يفتخر بحكمته ولو كان حكيماً ار ٩ : ٢٣ : « قلت في قلبي » (أو لقلبي) عند ما بدأ يتعظم ويفتخر « كما يحدث للجاهل كذلك يحدث ايضاً لي أنا » أو لي أنا نفسي بحسب النص الاصلي دلالة على شدة التأكيد . ان كنت أنا غنياً فكم من

(١) هذا مثل انكليزي نصه Fortune favours fools

الاغبياء والحمقى يمتلكون من ثروة هذا العالم بقدر ما امتلك . وان كانت الامراض والمصائب تحل بالجهال فكهذا « يحدث ايضاً لي أنا » ولا تنفعني ثروتي أو تخلصني حكمتي . « واذ ذاك فلماذا أنا أوفر حكمة » لماذا أكلف نفسي مشقات كثيرة للحصول على الحكمة ان كانت لا تجديني الا نفعاً قليلا في هذا العالم . « فقلت في قلبي هذا ايضاً باطل » يظن البعض ان القصد من ذلك تصحيح لما سبق ان قاله داود في مز ٧٧ : ١٠ « فقلت هذا ما يعلني » أي من الحماقة ان اعتقد ان الحكماء والجهلاء يستوون . ولكن الحقيقة انهم كذلك من وجهة ما يصيبهم من الحوادث ، ولذلك فهذا تأييد لما سبق اذ قرره من ان الانسان قد يكون فيلسوفاً عظيماً أو سياسياً محنكا ولكن لا يكون سعيداً

(٢) لان الحكماء والجهلاء يُنسى ذكرهم على السواء ع ١٦ : «ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل الى الابد» لقد وعد الصديقون ان « يكونوا لذكر أبدي » ، وان يكون « ذكرهم للبركة » مز ١١٢ : ٦ ، ام ١٠ : ٧ ، وانهم سيضيئون قريباً كالكواكب الى أبد الدهور دا ١٢ : ٣ ، على انه لا يوجد وعد كهذا من جهة حكمة هذا العالم لتبقي ذكر اسماء الناس فيه ، لان الاسماء التي تدوم هي فقط المكتوبة في السماء ، اما اسماء حكماء هذا العالم فهي مكتوبة مع اسماء جهلائه في التراب

«كما منذ زمان كذا الايام الاتية . الكل ينسى» فما كان يتحدث

عنه كثيراً في جيلهم لايكون له ذكر في الجيل الذي بعده كأنه لم يكن . فالاشياء الجديدة والاشخاص العصريون يمحون ذكر ما ومن مضى لانهم بعد قليل ينظر اليهم بغاية الاحتقار وبعد قليل ايضاً يطرحون في زوايا النسيان . «أين الحكيم ؟أين مباحث هذا الدهر ؟» ١ كو ١ : ٢٠ . ولاجل هذا السبب يسأل هذا السؤال ويجيبه « كيف يموت الحكيم ؟ كالجاهل» . يوجد فرق شاسع بين موت الصالح وموت الشرير ؛ ولكن لافرق بين موت الحكيم وموت الجاهل ، فالجاهل يدفن فينسى ص ٨ : ١٠ و« المسكين الحكيم الذي ينجي المدنية بحكمته لا احد يذكره» ص ٩ : ١٥ ، اذ القبر هو « أرض النسيان» لكليهما ، فاذا مكث فيه الحكيم والعالم قليلا واختفيا عن الابصار يمحى ذكرهما من العقول تدريجياً حتى يأتي جيل آخر لا يعرفهما

---

١٧ فكرهت الحيوة ـ لانه رديء عندي العمل الذي عمل تحت الشمس لان الكل باطل وقبض الريح ـ ١٨ فكرهت كل تعبي الذي تعبت فيه تحت الشمس حيث أتركه للانسان الذي يكون بعدي ـ ١٩ ومن يعلم هل يكون حكيماً أو جاهلا ويستولى على كل تعبي الذي تعبت فيه وأظهرت فيه حكمتي تحت الشمس . هذا أيضاً باطل ـ ٢٠ فتحولت لكي أجعل

قلبي بيئس من كل التعب الذي تعبت فيه تحت الشمس ـ ٢١
لانه قد يكون انسان تعبه بالحكمة والمعرفة وبالفلاح فيتركه
نصيباً لانسان لم يتعب فيه . هذا أيضاً باطل وشر عظيم ـ ٢٢
لانه ماذا للانسان من كل تعبه ومن اجتهاد قلبه الذي تعب
فيه تحت الشمس ـ ٢٣ لان كل أيامه أحزان وعمله غم ، أيضاً
بالليل لايستريح قلبه ، هذا أيضاً باطل هو

٢٤ ليس للانسان خير من أن يأكل ويشرب ويرى
نفسه خيراً في تعبه ، رأيت هذا أيضاً انه من يد الله ـ ٢٥
لانه من يأكل ومن يلتذ غيري ـ ٢٦ لانه يؤتى الانسان
الصالح قدامه حكمة ومعرفة وفرحاً ، أما الخاطيء فيعطيه
شغل الجمع والتكويم ليعطي للصالح قدام الله ، هذا أيضاً
باطل وقبض الريح

ان العقلاء يجدون لذة عظيمة في العمل ، فاذ وجدوا أمامهم
نطاق العمل متسعاً استراحت نفوسهم لانهم يشعرون انهم لهذا
خلقوا ، وان فرغوا من العمل كثر أنينهم وشكواهم . صحيح انهم
في بعض الاحيان يتعبون من العمل ولكنهم لن يملونه ولن
يحاولوا أو يفكروا في تركه . ولذلك قد يكون من المنتظر ان
يدلنا سليمان هنا عن الخير الذي يجب للناس أن يفعلوه . على انه

قد جرب هذا الطريق أيضاً ، فانه بعد أن قضى شطراً عظيماً من حياته في التأملات والابحاث العقلية الكثيرة وبعد أن اردف ذلك بأن عاش عيشة الترف والتنعم أراد ان يجرب حياة العمل ولكنه لم يجد فيها أي راحة أكثر مما وجد في غيرها وما زال يتحقق بأن « الكل باطل وقبض الريح » كما يبرهن ذلك في هذه الاعداد حيث نلاحظ :ـ

(أولا) ماهو العمل الذي جربه ـ انه « العمل الذي تحت الشمس » ع ١٧ ـ ٢٠ أي الامور العالمية كالغنى والكرامة والملذات الحاضرة وغيرها من أعمال الملوك . يوجد عمل « فوق الشمس » عمل دائم ذو بركة دائمة ، فكل ما نعمله من نوع هذا العمل ـ أي اتمام مشيئة الله على الارض كما في السماء ـ وتتبعاً لآثار تلك البركة سيعود علينا بالخير الجزيل لذلك فلن نتعب أو نيأس منه . ولكن « العمل الذي تحت الشمس » العمل لاجل « الطعام البائد » يو ٦ : ٢٧ ؛ اش ٥٥ : ٢ هو الذي يتكلم عنه سليمان هنا بشيء من الضجر . انه قد تعب من أرقى وأشرف أنواع العمل ، لا من « احتطاب الحطب واستقاء الماء » تث ٢٩ : ١١ ـ لانه ليس من الغريب ان يتعب الناس من هذا العمل ـ بل من « الحكمة والمعرفة والفلاح » ع ٢١ ، من العمل الذي يعزى اليه كل السبب في حكم مملكته وتوسيع نطاقها ، من العمل الذي أملته عليه الحكمة والمعرفة والحق ، من العمل الذي « أظهر

فيه حكمته » ع ١٩ والذي يسمو جداً عن العمل الذي يظهر فيه الناس قوتهم بقدر ما يسمو العقل على الجسد ، لاننا بالعقل نشترك مع الملائكة اما بالجسد فنشترك مع البهائم . فالامر الوحيد الذي يضعه أغلب البشر نصب اعينهم في اتمام كل اعمالهم العالمية هو ان « يظهروا حكمتهم » لينالوا استحسان عظماء الرجال وعقلائهم

(ثانياً) فشله في هذا العمل . انه تعب منه في الحال

(١) فهو قد « كره كل تعبه » ع ١٨ لانه لم يجد فيه الراحة التي كان ينتظرها . انه بعد ان بنى لنفسه قصوراً فخمة وغرس جنات وفراديس غناء وأشجاراً باسقه وتمتع بها قليلاً سئم منها في الحال وبدأ ينظر اليها بعين الاحتقار كما يفعل الاطفال حينما يشتاقون الى لعبة في مبدأ الامر ولكن حالما يحصلون عليها ويلهون بها قليلاً يملونها ويضربون بها عرض الحائط ويلحون في طلب غيرها . ان هذه الجملة لا تعبر عن كراهة مقدسة لتلك الاشياء الامر الذي يتحتم علينا اتمامه كي لانحب هذه الاشياء اكثر من الله لو ١٤ : ٢٦ ، ولا تعبر عن كراهة شريرة لها الامر الذي يدل على غباوتنا كأن نكره المكان (اي العالم) الذي أقامنا الله فيه والعمل الذي وضع لنا فيه لنعمله ؛ بل تعبر عن كراهة طبيعية لها ناشئة من السآمة منها والفشل فيها

(٢) وهو « جعل قلبه ييأس من كل التعب الذي تعب فيه » ع ٢٠ . انه قد تعب في اقناع نفسه ببطلان كل الاعمال العالمية لانها لم تنله الراحة التي كان ينتظرها . فقلوبنا تميل دائماً لا نتظار

الامور العظيمة من المخلوقات ؛ ولكن علينا ان نبذل جهد استطاعتنا ونفرغ كل جعبتنا لاقناعها بالعدول عن هذا الطريق . ألم نشعر وقتاً ما ونحن نتطلب الراحة من هذا العالم ان قوانا قد خارت وعزائمنا تضعضعت دون أن نحصل على شيء من تلك الراحة مطلقاً فيئسنا أخيراً من وجودها وخلينا عنا كل اهتمام بها.

(٣) وكانت النتيجة أخيراً انه « كره الحياة » نفسها ع ١٧ لانها معرضة لكل هذه المتاعب والمشقات ولا يصادف فيها الانسان الا كل فشل وخيبة أمل . لقد منّ الله على سليمان بقلب واسع جداً وعقل راجح حتى استطاع ان يختبر انه لا راحة ولا سعادة في كل أمور هذا العالم . ان الحياة نفسها ان كانت ثمينة في نظر الانسان وبركة عظمى للصالحين ولكنها قد تكون عبئاً ثقيلا على نفس صاحب الاعمال .

(ثالثاً) اما أسباب كراهته لحياته ولعمله فاثنان :ـ

(١) ان عمله كان عبئاً ثقيلا على نفسه . « فالعمل الذي عمل تحت الشمس كان رديئاً عنده » ع ١٧. لان تأملاته فيه وانشغال باله واهتماماته الزائدة به قد اتعبته واثقلت كاهله خصوصاً في أيام شيخوخته . كل هذه المتاعب والآلام والمشقات التي تكبدها لم تأت الا نتيجة اللعنة التي جابتها خطية آدم علينا وعلى كل ما نعمل ؛ فقد قيل عن عملنا بانه هو « تعب أيدينا من قبل (أو بسبب) الارض التي لعنها الرب » تك ٥ : ٢٩ ، ونتيجة ضعف قوانا التي نعمل بها ، ونتيجة الحكم الذي حكم به الله علينا بان

« نأكل خبزنا بعرق جبيننا » . وقد قيل ايضاً عن عملنا بانه هو « اجتهاد القلب » ع ٢٢ لان اغلب الذين يعملون يضغطون على عواطفهم للاندفاع في العمل ، وما ذلك الا لسبب ميل القلب الى الراحة .

وقد وُصف رجل العمل بالتعب في دخوله وفي خروجه ع ٢٣

١ . ـ لانه يحرم من تنعمه بالنهار « فكل أيامه احزان » ليست محزنة فقط بل هي نفسها الاحزان ، أحزان متنوعة ، متاعب ومشقات . ان رجال الاعمال يلتقون في طريقهم في كل آونة واخري ما يكدر ضمائرهم ويضايقهم ، ومن ذلك تتسبب لهم الاحزان الكثيرة . وان الذين يميلون للسوداء ومن طبعهم الحدة والغضب سرعان ما يستشيطون غيظاً من أقل مؤثر من مؤثرات هذا العالم . والعالم ليس الا « وادي الدموع » حتى لاولئك الذين قد امتلكوا منه الشيء الكثير . ولقد قال المسيح عن « المتعبين » بانهم « ثقيلو الاحمال » ولذلك دعاهم اليه للراحة مت ١١ : ٢٨

٢ . ـ ولانه يعدم الراحة بالليل « بالليل لا يستريح قلبه » فعند ما يحني ظهره من حمل اعباء النهار وينتظر ان يجد بعض الراحة حينما يضع رأسه على وسادته بالليل تخيب آماله وتذهب أدراج الرياح ، لان اهتماماته الكثيرة « تمسك اجفان عينه » عن النوم مز ٧٧ : ٤ . وان اتفق انه نام فقلبه يظل مستيقظاً وبذلك « لا يستريح » فما أعظم حماقة اولئك الذين يسلمون ذواتهم

للعالم ليستعبدهم ، ولا يجعلون الله راحتهم ، ويبقون بالليل والنهار معذبين .

ومن كل ذلك نستنتج بان « الكل باطل » بوجه عام ع ١٧ وبان « هذا ايضاً باطل » بوجه خاص ع ١٩ و٢٣ بل انه « باطل وشر عظيم » ع ٢١. انه « شر عظيم » لان مرتكبه يسبب اهانة عظيمة لله وضرراً بليغاً لنفسه . انه باطل ان « يبكر الانسان الى القيام ويؤخر الجلوس » لطلب أي خير من هذا العالم مز ١٢٧: ٢: لانه لا شيء فيه من الخير الذي وضعه لنا الله .

(٢) وان كل ثمار عمله لا بد ان يتركها لغيره. ان البواعث التي تدفع الناس للعمل هي ما يرجونه من المنفعة ، فان خاب الامل خارت العزيمة . ولذلك نرى سليمان يشكو مر الشكوى من كل أعماله العظيمة التي تممها لانه لم يجد لنفسه فيها اي منفعة مستمرة وثمرة دائمة .

١ . — فهو لا بد ان يترك كل منافعها وثمارها ،لانه ان مات لا يستطيع ان يحملها معه الى القبر كما انه لا يرجع اليها اي ٧: ١٠ ولا ينتفع من ذكراها لو ١٦: ٢٥ ،بل لا بد ان « اتركه للانسان الذي يكون بعدي » ع ١٨ للجيل الذي سيحل محلي . فكما انه أتى قبلنا الكثيرون الذين بنوا البيوت التي نقطنها والذين قد دخلنا على اتعابهم كذلك لا بد ان يأتي بعدنا الكثيرون الذين يسكنون البيوت التي نشيدها ويتمتعون بثمار اتعابنا . لاننا لم نسمع ان ثروة عدمت وارثاً . ان النفوس الصالحة لا ترى في ذلك

اي مضايقة اوغضاضة لانها لا تريد ان تحرم غيرها من اخذ دورها للتمتع بملذات هذا العالم ، بل انها ترتاح لتمتع خلفها بمزايا افضل مما تمتعت هي به ويحصدوا ثمار حكمتها واتعابها . اما الطبيعة البشرية التي لا تطلب الا سعادتها الشخصية فتتألم اشد التألم عند ما ترى انها ستترك وراءها كل ثروتها التي حصرت فيها كل محبتها.

٢ . ـ ولا بد ان يتركها لمن لم يكلف نفسه أقل مجهود للحصول عليها . فمن خلف المال لم يحصل عليه الا « بتعبه بالحكمة والمعرفة وبالفلاح » اما من يتمتع به وينفقه « فلم يتعب فيه » ع ٢١ ، بل والاكثر من ذلك انه لن يتعب فيه ، فالنملة تتعب لتعول ذكرها . وان تركت هذه الثروة له بهذا الحال لتكون « نصيباً له » يصير شركاً له لانه يعتمد على ذلك ويخلى عنه كل اهتمام ويكف عن عمل أي مجهود أو مسعى فتصبح حالته تعسة فان لم تأته هذه الثروة بهذه السهولة قد يكون مجداً وتقياً . على اننا يجب ان نحسن استعمال كل ما يصل لايدينا .

٣ . ـ وهو لا يعرف من سيتركها له أو على الاقل لا « يعلم هل يكون حكيماً أو جاهلا » ع ١٩ ، هل يكون حكيماً فينميها أو جاهلا فيبددها ، وسواء كان هذا أم ذاك فهو « سيستولى على كل تعبي » ويتصرف بجهل فيما اقتناه آباؤه بالحكمة ومن المحتمل ان يكون سليمان قد كتب هذه الكلمات لشعوره بما كان سيعمله ابنه رحبعام وشدة خوفه من سوء تصرفه

قال احد المفسرين عند تفسيره لهذه الاعداد ان سليمان قصد ان يتكلم عن الكتب النفيسة التي كتبها التي « اظهر فيها حكمته » ولكنه لم يعرف في أيدي من ستقع هذه الكتب اذ ربما وقعت في أيدي الجهلاء فيسيئوا استعمالها بسبب فساد قلوبهم ولذلك فهو أخيراً يسأل هذا السؤال بوجه الاجمال « ماذا للانسان من كل تعبه » ع ٢٢ . ماذا يستفيده لنفسه ، ماذا يأخذه معه في العالم الآتي ؟

(رابعاً) ولذلك فأحسن طريقة لاستعمال ثروة هذا العالم ان ينتفع ببهجتها ويستخدمها في عمل الخير ع ٢٤ - ٢٦ . وبهذه يختم هذا الاصحاح . انه لا توجد سعادة حقيقية في هذه الامور فهي كلها باطلة ، وان انتظر الانسان منها سعادة كانت خيبة آماله « كقبض الريح » : على ان سليمان يرينا هنا أفضل طريق للانتفاع بها والابتعاد عن مضايقاتها وآلامها التي صادفته هو . علينا ان لا نحمل انفسنا فوق ما تستطيع طلباً للحصول على المزيد من هذا العالم لاننا بذلك نحرم انفسنا من لذة ما حصلنا عليه في ايدينا ، وفي الوقت نفسه علينا ان لا ندخر للمستقبل اكثر من اللازم لاننا بذلك نكنزه لغيرنا ونحرم انفسنا من لذته ، بل لنمتع انفسنا به اولا . لاحظ هنا : —

(١) ما هو ذلك الخير الذي يوصينا به هنا ، وما هي أحسن السبل للانتفاع من الاعمال العالمية واستخلاص كل ثمارها والتخلص من كل بطلانها ومضايقاتها .

١ . ـ فعلينا ان نتمم كل واجباتنا من نحوها وفي الوقت نفسه نهتم أشد الاهتمام بالانتفاع من ثروتنا ـ لان هـذه هي الغاية التي من أجلها اؤتمنا عليها ـ أكثر من اهتمامنا باعالتها وزيادتها. وهذه نفهمها ضمناً من ع ٢٦ حيث نرى ان الذين يتمتعون بهذه الحياة هم فقط « الصالحون قدام الله » اي الصالحون بالحق كنوح الذي « رآه الله باراً لديه » تك ٧ : ١ . يجب ان نضع الله نصب أعيننا ونقوم بكل أعمالنا بجد ونشاط لنزكي أنفسنا قدامه . ويفسر التفسير الكلداني هذه الآية على هذا الوجه : « يجب على الانسان ان يمتع نفسه بالخير بحفظ وصايا الله والسلوك أمامه في طريق الحق » . ويفسر ع ٢٥ بالقول انه « يجب على الانسان ان يدرس كلام الناموس ويهتم بيوم الدينونة العظيمة العتيدة ان تأتي »

٢ . ـ وأن ننتفع بفوائدها . هذه الاشياء لا يوجد فيها اي سعادة للنفس ، وكل ما نستطيع ان نستخلصه من الخير منها لا يمس الى الجسد ، فان استطعنا ان نفيد الجسد بها ليتمكن من خدمة النفس واعانتها في عبادة الله عادت علينا بالخير الجزيل . ولذلك « فليس للانسان خير » ـ من جهة هذه الاشياء ـ من ان يسمح لنفسه بالتمتع بها بتعقل حسبما تقتضيه حالته ومركزه ؛ ان ينال منها طعاماً وشراباً لنفسه ولعائلته ولاخوانه وبذلك يمتع « ويرى نفسه خيراً » اي كل ما يمكن الحصول عليه من الخير منها ، ولا يليق بأن يضيع هذا طمعاً في الحصول على ما لا يستطيع

اي بشر الحصول عليه من هذه الاشياء .

على اننا يجب ان نلاحظ ان سليمان لا يريد بأن نكف عن عملنا ونستريح « ونأكل ونشرب » ، كلا ! بل يجب ان « نرى انفسنا خيراً في تعبنا » ، يجب ان لا تكون هذه الامور سبباً في تكاسلنا بل باعثاً على نشاطنا وسرورنا في اعمالنا العالمية

٣ . ـ وأن نعترف بالله في هذه عالمين « انه من يد الله » أي (اولا) الخير نفسه الذي نتمتع به هو من يد الله . وليست خيراته العامة فقط بل الخصوصية ايضاً . وما أبهج تلك الاشياء والذها لنفوسنا عند ما نتناولها من يد الله كأب ، ونتأمل في حكمته التي اعطتنا انسب الاشياء لنا ، ونقبلها منه بيد الشكر والامتنان والرضى ، ونذوق فيها لذة محبته وصلاحه (ثانياً) والقلب الذي نتمتع به بهذه الاشياء هو من يد الله ، وهذا هو عطية نعمة الله . فما لم يمنحنا الله حكمة لنحسن استعمال ما لدينا وما لم يكن لنا سلام الضمير لنرى به محبة الله لنا متجلية في مصائب العالم لا نستطيع « ان نرى انفسنا اي خير » في هذه الاشياء

(٢) لماذا يجب علينا ان نضع كل ذلك نصب اعيننا في اعمالنا العالمية .

١ . ـ لان سليمان نفسه بكل ممتلكاته لم يطمع في اكثر من ذلك « لان من يأكل ومن يلتذ غيري » هذا هو كل ما كنت اطمع فيه ولم اطلب شيئاً غيره ، فكل الذين قد حصلوا حتى على اقل مما حصلت أنا لا بد ان يتوصلوا لهذه النتيجة بانهم يقتنعون

بما قد حصلوا عليه ويمتعون انفسهم بلذته . على ان سليمان لم يحصل على ما قد حصل عليه بحكمته وحدها دون عناية الله الخاصة ، فمن ذلك نتعلم بان ننتظر كل خير « من يد الله » ونطلبه منه

٢ . ـ لان الثروة اما ان تكون بركة او لعنة للانسان وذلك يتوقف على مقدار استعداد قلبه لاستعمالها

(ا) فالله يعطيها للانسان الصالح كبركة وجزاء حسن ان اعطاه معها « حكمة ومعرفة وفرحاً » ليتمتع بها هو نفسه ببهجة وفرح وليحسن بها الى الآخرين بمحبة وكرم نفس . يقول التفسير الكلداني لهذه العبارة : ان « الصالح قدام الله » النقي القلب والمخلص الامين الذي يخشى الله ويهتم بكل البشرية يؤتيه الله حكمة ومعرفة في هذا الدهر وفرحاً في الدهر الاتي . او قد نقول بمعنى آخر ان الله يؤتي الصالح حكمة ومعرفة في الامور الاخلاقية والسياسية والروحية ، وهذان يكونان له فرحاً مستمراً

(ب) وهو يعطيها للانسان الشرير كقصاص ان لم يعطه قلباً يتمتع بلذتها ، لانها في هذه الحالة تعذبه برجائها الكاذب وتسحق نفسه بظلمها وعدوانها : « اما الخاطيء فيعطيه شغلا » (تعباً) بتركه لنفسه ولافكاره الفاسدة الشريرة « لجمع وتكويم » ما لا يثقل كاهله فقط حب ٢ : ٥ و٦ بل « يكون شاهداً عليه ويأكل لحمه كنار » يع ٥ : ٣ مع ان قصد الله من هذه الثروة التي يتعب في جمعها وتكويمها ان يعطيها « للصالح قدامه » ذلك لان « ثروة

الخاطىء تذخر للصديق » ام ١٣: ٢٢ و « تجمع لمن يرحم الفقراء »
ام ٢٨ : ٨

ملاحظات . — (١) ان « التقوى مع القناعة تجارة (او ربح) عظيمة » ١ تي ٦ : ٦ ، والصالحون قدام الله الذين يحصلون على ثروتهم من الله وفي الله هم فقط الذين ينالون الفرح الحقيق (٢) اما عدم التقوى فقصاصها عادة عدم القناعة والشره والجشع وهذه من الخطايا التي ينال مرتكبوها قصاصها من نفسها (٣) ان الله اذا اعطى الاشرار ثروة فما القصد من ذلك الا حفظها في ايديهم لاولاده حتى يضطروا للتخلي عنها لهم في الوقت المناسب كما فعل الكنعانيون فانهم بقوا مستولين على الارض التى تفيض لبناً وعسلا حتى جاء الوقت المعين الذى فيه دخلها الاسرائيليون .

(ج) وقرار تلك الاغنيـة لا يزال كما هو لم يتغير « هذا ايضاً باطل وقبض الريح » فكل الامور العالمية باطلة حتى

في اسمى حالاتها ومظاهرها بل حتى ان امتلك بناصيتها الصالحون. فهم ان امتلكوا ما قد جمعه وكومه الاشرار لا يسعدهم ان لم يكن مقروناً بشيء آخر . والاشرار ان رأوا ان ما قد تعبوا في جمعه قد وصل لايدى « الصالحين قدام الله » كان ذلك « قبض الريح » (او مضايقة للروح) لهم .

فمهما غيرت وبدلت فى تلك الامور العالمية لا بد ان تجد النتيجة واحدة وثابتة « الكل باطل وقبض الريح »

الاصحاح الثالث

بعد ان اظهر سليمان بطلان العلوم والفلسفة والملذات والعمل ، واوضح بان السعادة لن تنال من حكمة العلماء ولا من الجنات والفراديس الفناء ، نراه فى هذا الاصحاح يستمر فى اثبات هذه التعاليم وتلك النتيجة التى استخلصها منها وهي اننا يجب بسبب ذلك ان نقنع بما يعطينا الله ونلذذ انفسنا باستعماله. وهو يتوصل لهذه الغاية باظهار ثلاث حقائق {١} تغير كل احوال بني البشر ع ١ - ١٠ {٢} عدم تغير المشورة الالهية من نحو هذه الاحوال . وعدم استطاعة الانسان فحص هذه المشورة ع ١١ - ١٥ {٣} بطلان كل كرامة عالية وسلطان زمني ، لان البشر ان لم يحسنوا استعمالهما بخشية الله اساءوا التصرف بهما واستخدموهما لاجراء الظلم والجور ع ١٦ . ولكي يصد الظالمين ويوقفهم عند حدهم ويريهم بطلانهم نراه يذكرهم (اولا) انهم سوف يعطون حساباً عن ظلمهم فى العالم الآتي ع ١٧ (ثانياً) وبانهم في هذا العالم لا يمتازون عن البهائم فى شيء ع ١٨ - ٢١ . واخيراً يختم الاصحاح باظهار انه من الحكمة ان ننتفع بما اوتينا من قوة وسلطان ولا نستخدمه في ظلم الاخرين ع ٢٢

oooooo

١ لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت ـ ٢ للولادة وقت وللموت وقت . للغرس وقت ولقلع المغروس وقت ـ ٣ للقتل وقت وللشفاء وقت . للهدم وقت وللبناء وقت ـ ٤ للبكاء وقت وللضحك وقت . للنوح وقت

وللرقص وقت ـ ٥ لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت . للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت ـ ٦ للكسب وقت وللخسارة وقت . للصيانة وقت وللطرح وقت ـ ٧ للتمزيق وقت وللتخييط وقت . للسكوت وقت وللتكلم وقت ـ ٨ للحب وقت وللبغضة وقت . للحرب وقت وللصلح وقت ـ ٩ فأي منفعة لمن يتعب مما يتعب به ـ ١٠ قد رأيت الشغل الذي أعطاه الله بني البشر ليشتغلوا به

....

ان الغرض من هذه الاعداد ان يظهر لنا (١) اننا نعيش فى عالم متقلب ، فحوادث الايام المختلفة واحوال الحياة البشرية المتعددة تختلف عن بعضها اختلافاً بيناً ومع ذلك فهى تمر مختلطة ببعضها لا نستطيع تمييزها . ان « دائرة الكون » يع ٣ : ٦ وهى تسرع الدوران لابد ان تستمر فيها أبد الدهر الارتفاعات والانخفاضات ، المد والجزر ، الزيادة والنقصان ، لان « هيئة هذا العالم » ١ كو ٧ : ٣١ طالما اعتراها ويعتريها التغيير من الازل والى الابد . (٢) ان كل التغييرات التى تتعلق بنا محددة بقوة علوية ولذلك فعلينا ان نقبل كل ما يأتينا كما هو لانه ليس فى مقدورنا تغيير ما قد تحدد لنا . وقد أتى الينا سليمان بهذه الحقيقة

ليبين لنا باننا ان كنا ناجحين في طرقنا فيجب بان لا نأمن لهذا الدهر المتقلب او نتوهم بان « الغد سيكون كهذا اليوم » اش ٥٦ : ١٢ فالسهول المنخفضة سرعان ما ارتفعت وناطحت السماء. على اننا في الوقت نفسه يجب ان نسر انفسنا كنصيحته التي أفضى الينا بها في ص ٢ : ٢٤ « لنري انفسنا خيراً في تعبنا » ، وان نخضع لارادة الله واحكامه بكل اتضاع ، ولا نتشامخ بسبب آمالنا او نيأس بسبب مخاوفنا ، بل لنتوقع كل انواع الحوادث.

في هذه الاعداد نرى : —

(أولا) ان سليمان يضع لنا قضية عامة : « لكل شيء زمان» ع ١.

(١) فالاشياء التي تختلف عن بعضها تمام الاختلاف سيلعب كل منها دوره ويظهر في العالم بحسب تطوراته المستمرة. فالنهار لا بد ان يفسح مجالا لليل والليل مجالا للنهار ثانية ؛ والصيف ان حل لا بد ان يعقبه الشتاء ، والشتاء لا محالة يعقبه الصيف بعد قليل. « فلكل امر تحت السموات وقته ». والجو الصافي لا بد ان يتلبد بالغيوم فالمثل اللاتيني يقول « ان الافراح لا بد ان يعقبها الاحزان » ، وان تلبد بالغيوم لا بد ان يصفو بعد قليل اذ يقول المثل اللاتيني ايضاً « ان الشمس ستبزغ من وراء السحب ».

(٢) والاشياء التي نظن انها تحدث عرضاً هي محددة من الله

بسابق علمه وتدبيره ، ونفس وقت حصولها محدد ايضاً فلا تستطيع ان تتعداه لحظة واحدة

(ثانيا) بعد ذلك يدلي الينا بالبرهان على هذه القضية والامثلة الكثيرة التي توضحها . وقد ذكر من هذه الامثلة ثمانية وعشرين وهي بمقدار ايام أوجه القمر المختلفة التي فيها يتغير تغيراً مستمراً ويلازم الازدياد او النقصان للوصول الى حديه الاقصى والادنى (أي البدر والمحاق) . ان بعض التغييرات التي تحصل في هذه الامثلة يعزى كل السبب فيها لله والبعض الآخر ينسب بعض الفضل فيها لارادة الانسان ، على انها كلها محددة بالمشورة الالهية . فكل شيء «تحت السماوات» قابل للتغيير اما في السماوات فتوجد حالة لا تتغير ومشورة لا تتغير من نحو هذه الاشياء

(١) «للولادة وقت وللموت وقت» وهذان الامران محددان بالمشورة الالهية ، فكما اننا قد ولدنا في وقت محدد كذلك ينبغي أن نموت في وقت محدد اع ١٧ : ٢٦ . ولقد لاحظ البعض هنا ان سليمان قال « للولادة وقت وللموت وقت » ولكن لم يذكر بان للحياة وقتاً ، فكأن قصر الحياة لايستدعي ذكرها لاننا حالما نولد نبتديء نموت . ولكن لنعلم بانه كما ان « للولادة وقت وللموت وقت » فكذلك سيكون للقيامة من الاموات وقت ، وقت معين فيه يتذكر الله الراقدين في القبور اي ١٤ : ١٣

(٢) « للغرس وقت ولقلع المغروس وقت » يوجد لله وقت لغرس الأمم كما غرس الامة الاسرائيلية فى كنعان ، ووقت لقلع المغروس كما فعل بالسبع أمم التى كانت مغروسة هنالك ليخلي السبيل لامته ، وقد وجد وقت أيضاً فيه تكلم الله عن اسرائيل «بالقلع والهدم والاهلاك » ار ١٨ : ٧و٩ . ويوجد للناس وقت للغرس — وقت من السنة ووقت من حياتهم — ولكن ان وجد المغروس بلا فائدة وعديم الثمر يحين الوقت لقلعه

(٣) « للقتل وقت وللشفاء وقت » يوجد لله وقت للقتل عند ما ينسى الناس كل أحكامه ويطرحونها وراء ظهورهم ، ولكن ان عاد برحمته فقد حان وقت شفاء من افترسهم هو ٦ : ١ و٢ ، ليعزيهم بعد ما أذلهم مز ٩٠ : ١٥ . قد يأتي وقت يرى الحكام انه من الحكمة أن يسلكوا طرقاً صارمة ويسنوا قوانيناً قاسية ، ولكن يأتي عليهم وقت آخر يرون انه من الحكمة أيضاً ان يستعملوا الرقة واللطف بدل الشدة والقسوة

(٤) « للهدم وقت وللبناء وقت » يوجد وقت لهدم عائلة أو عشيرة أو مملكة عند ماتعد نفسها للهلاك ، ولكنها اذ رجعت وتابت يأتي الوقت ليعود الله فيبنيها . يوجد وقت وميعاد ليعود الرب فيبني صهيون مز ١٠٢ : ١٣ و١٦ . يوجد للناس وقت للسطو على المنازل واتلاف المرافق التجارية لهدمها ، فعلى أولئك المهتمين ببنائها ان يتوقعوا ذلك ويستعدوا له .

(٥) « للبكاء وقت وللضحك وقت. للنوح وقت وللرقص وقت »

يوجد وقت تنادى فيه أعمال العناية الالهية « بالبكاء والنوح » فيضطر العقلاء لاجابة النداء ويبكوا وينوحوا كوقت حلول المصائب العامة والاخطار ، ومن الحماقة والجهل ان يلجأ الناس « للضحك والرقص » والفرح في هذه الاوقات (انظر اشعيا ٢٢:١٢و٣ ؛ حز٢١:١٠) . على انه من الوجهة الأخرى يوجد وقت ينادي فيه الله بالفرح والابتهاج ؛ « بالضحك والرقص » ، وفى ذاك الوقت ينتظر منا ان « نعبده بفرح وبطيبة قلب » تث ٢٨ : ٤٧ . ولنلاحظ بان سليمان يقدم وقت البكاء والنوح عن وقت الضحك والرقص ، ذلك لاننا ينبغى أولا ان « نزرع بالدموع » وبعد ذلك « نحصد بالابتهاج » مز ١٢٦:٥

(٦) « لتفريق الحجارة وقت » عند ما يأذن الله بالصلح والسلام وابطال الحروب فتهدم الحصون لعدم الحاجة اليها بعد ، ولكن يأتي « وقت لجمع الحجارة » لبناء الحصون ع ٥ . يأتي وقت لسقوط الابراج القديمة كذلك البرج الذي في سلوام لو ١٣ : ٤ ولهدم الهيكل نفسه وتخريبه « فلا يبقى فيه حجر على حجر » ، ولكن يأتي وقت أيضاً تبنى فيه الابراج والقلاع وتقام علامات النصر عند ما تتحسن الاحوال الداخلية في المملكة

(٧) « للمعانقة وقت » أي معانقة الصديق ان وجد أميناً ومخلصاً ، ولكن يأتي « وقت للانفصال عن المعانقة » ان

شككنا في اخلاصه أو نزاهته . ومن الحكمة في هذه الحالة ان نلازم الحياد والابتعاد عنه قليلا . وهذه يطبقونها عادة على المعانقة الزيجية حيث نرى ايضاحاً لذلك في ١ كو ٧ : ٣ — ٥ ويوئيل ٢ : ١٦

(٨) « للكسب وقت » (أو للطلب . انظر هامش الكتاب) لطلب الثروة والمناصب الرفيعة والغنى والكرامة . طالما أقام الله الانسان في العالم ووهبه عائلة كبيرة . وطالما كان في عنفوان قوته واتسعت امامه ابواب الاعمال فحينئذ يكون لديه وقت للكفاح والجهاد . يحين الوقت للانسان لطلب الحكمة والمعرفة والنعمة ان كان في استطاعته دفع ماتتطلبه من النفقات . على انه سيأتي « وقت للخسارة » فيه يتبدد كل ماقد جمع ولا يستطيع الانسان الاحتفاظ به .

(٩) « للصيانة وقت » ان كنا ننتفع بما حصلنا عليه ونستطيع ان نحتفظ به دون ان يكون له اى تأثير سيء على سلامة ضمائرنا . ولكن قد يأتي « وقت للطرح » عندما تضطرنا محبتنا لله ان نطرح كل ما حصلنا عليه لان الاحتفاظ به انكار للمسيح وايلام لضمائرنا مت ١٠ : ٣٧ و٣٨ مفضلين تضحية كل شيء عن تضحية الايمان ؛ بل عندما تضطرنا محبتنا لانفسنا أن نطرحه لان في ذلك خلاص انفسنا كما فعل البحارة عندما « طرحوا الامتعة التى فى السفينة (التى كان فيها يونان) الى البحر » يونان ١ : ٥

(١٠) « للتمزيق وقت » اى تمزيق الثياب كما يحصل فى وقت الاحزان الشديدة ، « وللتخييط وقت » اى تخييطها ثانية علامة على انتهاء الاحزان . يأتي وقت لاتلاف ما عملناه ، ويأتى وقت لاصلاح ما قد اتلفناه . ويطبق احد المفسرين هذه العبارة على تمزيق الكنيسة اليهودية وبناء الكنيسة المسيحية على انقاضها

(١١) « للسكوت وقت » يأتى وقت لا يليق بنا فيه الا السكوت ويكون من الحكمة ومن الواجب علينا الصمت، وذلك عندما يكون الزمن رديئاً عاموس ٥ :١٣ ، وعندما يكون تكلمنا « كطرح الدرر قدام الخنازير » مت ٧ : ٦ ، وعند ما نخشى ارتكاب متن الشطط ان تكلمنا مز ٣٩ : ٢ . على انه يوجد أيضاً « وقت للتكلم » لمجد الله وبنيان الاخرين عندما يكون السكوت مضللا لعقول الاخرين ومخفياً لحق الله ، وعندما يعترف بالفم للخلاص رو ١٠ : ١٠. وانه لمن الحكمة المسيحية أن نعرف متى نتكلم ومتى نصمت

(١٢) « للحب وقت » لاظهار انفسنا باشين ومحبين. وما ابهج ذلك الوقت الذى نظهر فيه بهذا المظهر . ولكن قد يأتى « وقت للبغضة » فيه نضطر لقطع كل علاقة ودية والابتعاد قليلا عن بعض اشخاص قد تعلقت نفوسنا بهم لاننا وجدنا مجالا للشك والريبة فى صداقتهم

(١٣) « للحرب وقت » عند مايسل الله سيف الانتقام والغضب

ويسمح له بالتهام نفوس الكثيرين ، وعندما يشهر البشر سيف العدل ورد الحق الى نصابه ، وعندما يوجد بين الامم ميل للحروب. ولكن لنا ان نرجو « للصلح وقتا » عندما يرد سيف الرب الى غمده ويسكن الحروب مز ٤٦ : ٩ ، وعندما تحصل الامة المتحاربة على غايتها ، وعندما يوجد بين الامم المتحاربة ميل للصلح والسلام.

فهكذا قد جعل الله كل هذه التغييرات متعاقبة الواحد منها يتلو الاخر حتى نفرح وكأننا لا نفرح، ونبكي وكأننا لا نبكي ١كو ٧ : ٣٠

(ثالثا) الاستنتاجات التي يستخلصها من هذه الملاحظة. ان كانت حالتنا الحاضرة عرضة لكل هذه التقلبات :—

(١) فعلينا ان لا ننتظر او نتطلب منها أي نصيب لانفسنا لانه لا شيء فيها من الخير ، وان وجد فيها اي خير فهو الى وقت قصير ع ٩ : « اى منفعة لمن يتعب » ؟ ماذا يستطيع الانسان ان ينتظره مما يغرسه من الجنات ويبنيه من القصور ان كان ما يظن انه قد كمل سيقلع ويهدم سريعا؟ ان كل اتعابنا واهتماماتنا لن تستطيع تغيير طبيعة الاشياء المتقلبة او ارادة الله الثابتة من نحوها.

(٢) وعلينا ان نمتحن انفسنا بهذه التقلبات. حقاً انه لامنفعة « مما نتعب به » فالاشياء نفسها التي نحصل عليها لا تفيدنا الا فائدة جزئية ؛ ولكن ان احسنا استعمال تصرفات الله من نحو هذ. الاشياء استفدنا كل الفائدة ع ١٠ : « رأيت الشغل الذي

اعطاه الله بني البشر » لا ليحصلوا منه على اي سعادة بل « ليشتغلوا به » ليشغلوا (أو يمرنوا) مواهبهم المختلفة في تقلبات الدهر المختلفة ، وليختبروا مقدار اتكالهم على الله في كل من هذه التغييرات ، وليدربوا أنفسهم عليها ، وليتعلموا كيف « يشبعون وكيف يجوعون ، كيف يستفضلون وكيف ينقصون » في ٤ : ١٢

ملاحظات . — (١) ان بني البشر يزحون تحت اتعاب ومشقات لاحصر لها ، فالعالم مملوء بالاتعاب والاحزان (٢) ان هذه المشقات والاتعاب قد خص بها الله بني البشر ، فهو لم يقصد ان يكون العالم موضع راحة لهم ولذلك لم يقصد ان ينالوا راحتهم فيه . (٣) قد تكون هذه المشقات للكثيرين هبة لهم . فيكون الله قد وهبها لهم كما يقدم الطبيب الدواء للمريض لفائدته . هذه المشقات تعطى لنا لكى نزداد كراهة للعالم وحباً للراحة الابدية ، ولكى نستمر في اعمالنا لان الله لم يضعنا فى العالم لنقضى حياتنا فى الكسل

oooooo

١١ صنع الكل حسناً في وقته وأيضا جعل الابدية فى قلبهم التى بلاها لا يدرك الانسان العمل الذى يعمله الله من البداية الى النهاية — ١٢ عرفت انه ليس لهم خير الا ان يفرحوا ويفعلوا خيراً فى حياتهم — ١٣ وأيضاً أن يأكل كل انسان ويشرب ويري خيرا من كل تعبه فهو عطية الله

١٤ قد عرفت ان كل ما يعمله الله انه يكون الى الابد . لا شيء يزاد عليه ولا شيء ينقص منه وان الله عمله حتى يخافوا امامه ـ ١٥ ما كان فمن القدم هو . وما يكون فمن القدم قد كان . والله يطلب ما قد مضى

قد رأينا مقدار ما يملأ العالم من التغييرات واننا يجب ان لا ننتظر ان يثبت لنا على حالة واحدة خلافاً لما كان عليه مع الآخرين ، والآن نرى سليمان يظهر يد الله فى كل تلك التغييرات وانه هو الذى يسير كل الامور بحالتها التى نراها ، ولذلك وجب علينا بان تتجه انظارنا نحوه على الدوام

(اولا) يجب ان ننتفع بقدر استطاعتنا مما هو كائن ونعتقد بانه هو أنسب شيء لنا فى الوقت الحاضر ونلائم ظروفنا بحسبه . «صنع الكل حسناً في وقته» ع ١١ ، فعلينا ان نرضى به بل نسر

بهجته وجماله ولذته طالما بقى بين ايدينا

ملاحظات . — (١) ان كل شيء يأتينا كما وضعه الله وبحسب قصده في وضعه وليس بحسب الظاهر لنا (٢) ان ماقد يظهر في نظرنا رديئاً وضاراً هو من أحسن الأمور وأنفعها عند ما يجيء في وقته المناسب . فقشعريرة البرد مناسبة جداً في الشتاء كزمهرير الحرارة في الصيف ، وظلام الليل جميل في وقته كضياء

النهار في وقته (٣) يوجد تناسب عجيب في أعمال العناية الالهية وتصرفاتها ، فالانسان لدى تأمله في كل ماتجريه تلك العناية من الحوادث وفى كل ظروفها ومناسباتها لا بد ان يجدها كلها تؤول لمجد الله وعزاء جميع الذين يتكلون عليه . وان كنا لا نستطيع أن نرى كل جمال العناية الالهية الآن الا اننا سنراه عند ما يكشف الستار عن سر الله ، وعندئذ يتضح لنا ان كل شيء قد عمل في وقته المناسب ، ويكون ذلك موضوع اعجاب الابدية تث ٣٢ : ٤ ، حز ١ : ٢٨

(ثانيا)　وعلينا ان ننتظر بصبر حتى يتضح لدينا تمام الوضوح كل ماغمض عنا معترفين باننا « لا ندرك العمل الذي يعمله الله من البداية الى النهاية » ولذلك فلا ينبغى ان نحكم في شيء قبل الوقت ١ كو ٤ : ٥ . ينبغى ان نعتقد ان الله قد جعل كل شيء حسناً . وكما ان كل شيء قد وجد منذ الخليقة حسناً فكل ماتجريه العناية الالهية حسن أيضاً ، وسنرى ذلك في نهاية هذا العالم ، أما قبل ذلك فلن نستطيع ان نرى حسنه وجماله . لانه طالما كان المصور مشتغلا فى تنسيق صورته والمعماري في بناء بيته فلن يبدو جمال هذا أو تلك ، ولكن ان أتم كل منهما عمله فحينئذ يظهر كل شيء في أبدع رونق وأتم الجمال والكمال . فنحن الآن لا نرى أعمال الله الا من منتصفها ، لا من مبدأها (والا لكنا رأينا جمال وسمو الخطط التى رسمتها المشورة الالهية) ولا في نهايتها (حيث

سنراها كلها مكللة بالمجد الفائق، فعلينا بالانتظار حتى ينشق الحجاب وعدم الاعتراض على أعمال الله أو الحكم عليها بتسرع لان السرائر ليست لنا تث ٢٩ : ٢٩

لقد اختلف المفسرون في معنى هذه العبارة « جعل الابدية (أو العالم) فى قلبهم » (١) فالبعض يقول انها ترينا ان البشر قد يستطيعون انماء معرفتهم باعمال الله، لان الله لم يترك أعماله و نظامها البديع بلا شاهد بل قد دونها في سفر « العالم »، وجعل هذا العالم « في قلبهم » أي جعل فيهم رغبة شديدة ومنحهم سلطاناً عظيما لتفهم تاريخ الطبيعة ومجرى الشئون البشرية، ولذلك فان وجهوا عناية شديدة للتأمل فى ما يحيط بهم من الاشياء لاستطاعوا ان يروا في معظمها نظاماً عجيباً ومهارة فائقة (٢) والبعض يقولون انها ترينا اننا لا نستطيع معرفة كل ما نريد معرفته عن اعمال الله، فالعالم يملأ قلوبنا والاهتمامات والمشاغل العالمية تتزاحم فى عقولنا فلا تترك لنا مجالا أو وقتاً لننظر الى يد الله فى أعماله. والعالم لا يتملك على القلب فقط بل يسدل عليه حجباً كثيفة كي لا ترى جمال أعمال الله.

(ثالثا) وعلينا أن نقنع بما يعطينا الله من أشياء هذا العالم ونقبله منه بيد الشكر والسرور ونرضخ لارادته من نحونا. حقاً انه « ليس خير » في هذه الاشياء، أى لا شيء فيها من الخير الحقيقي أو الدائم. على ان سليمان يخبرنا (في عددي ١٢ و١٣)

عما يستطيع الانسان أن يجده من الخير فيها . وهو ان يحسن استعمالها :—

(١) لخير الآخرين . انها ليس فيها شيء من الخير الا بان يفيد بها الانسان عائلته وقريبه ويحسن بها الى الفقير ويستخدمها لخير البشرية دينياً ومدنياً . لانه لماذا قد وجدنا في هـذا العالم ولاي غرض أعطينا كل ما نملك من ثروة ومواهب أخرى الا لـكي نخدم بها جيلنا ؟ اننا نخطيء كل الخطأ ان ظننا اننا قد خلقنا لانفسنا . فاننا قد خلقنا « لنفعل الخير » ، ففي فعل الخير اللذة الحقيقية والسعادة الـكاملة . لاحظ بان المطلوب من الناس « ان يفعلوا الخير فى حياتهم » وهى مدة قصيرة وغير محدودة ، فان كنا لم نعط سوى وقتاً قصيراً لنفعل فيه الخير تحتم علينا أن نفتدي الوقت . وفعل الخير محصور أيضاً « في هذه الحياة [١] » فنحن في هذه الحياة نجوز فرصة اختبار وامتحان ليرى الله ان كنا نليق لحياة أخرى أم لا . فحياة كل انسان انما هى فرصة أعطيها ليعمل فيها ما يوصله للحياة الابدية .

(٢) لخير انفسنا . فليرح كل انسان نفسه و « ليفرح ويرى خيراً من كل تعبه » لان هذه هى « عطية الله » ، وبذلك نتمتع بالله ونذوق محبته ـ حيث نراها متجسمة في كل ما يعطينا ـ ونقدم له واجب الشكر والتسبيح ونجعله موضوع فرحنا « فنأ كل

---

(١) هكذا قرئت في بعض الترجمات

ونشرب » لمجده « ونعبده بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شيء »
تث ٢٨ : ٤٧ . ان كانت كل أمور هذه الحياة غير ثابتة بل قابلة للزوال والفناء فمن الحماقة والجهل ان يبخل الناس على أنفسهم فى الحاضر ليذخروا كل شيء للمستقبل ، ومن الحكمة ان نمتع ونفرح انفسنابماحصلنا عليه الآن وندع الغديهتم بما انفسه مت ٦:٣٤ . فان تصرفنا هكذا عد «عطية من الله » بل أكبر المطايا الالهية ورأسها

(رابعا) وعلينا ان نوضح وضوحاً تاماً لكل تصرفات العناية الالهية في الامور الخاصة والعامة ، لان الله فى جميع هذه التصرفات لاينفذ الا ماهو معين لنا ولا يعمل الا بحسب مشورة ارادته . وهنا يخبرنا سليمان

(١) ان تلك المشورة لا يمكن ان تتغير ولذلك فمن الحكمة ان نخضع لها.فكل شيء لايحصل الا بحسب ارادة الله «قدعرفت (وكذلك عرف كل من له المام بأعمال الله) ان كل مايعمله الله انه يكون الى الابد » ع ١٤. «أماهو فوحده[1] فمن يرده ونفسه تشتهى فيفعل » اي ٢٣:١٣ . ان مشورته لم تبطل منذ الأزل ولن تتغير الى الأبد؛ بل لا يمكن أن يحصل الا مادبره هو ،ولن يستطيع العالم بكل مافيه من العوامل القوية ان يغير هذا

(١) ترجمة النص الانكليزي لهذه العبارة « أما هو فذو رأي واحد ».

الناموس . فيليق بنا حينئذ ان نقول « هو الرب ما يحسن فى عينيه يفعل » لان كل مشوراته مؤسسة على حكمته مهما كانت ضد رغائبنا أو مقاصدنا أو لا تتفق مع مصالحنا

(٢) ان تلك المشورة لاتحتاج الى تغيير لانه لاينقصها شيء ولا يشوبها أي عيب . اننا ان أتيح لنا النظر الى كل مشورات الله لرأيناها كلها كاملة « لاشيء يزاد عليها » لانها لايتخللها أي نقص « ولا شيء ينقص منها » لانه لا شيء فيها عديم الفائدة . ان أعمال الله كـكلامه كلها كاملة ، وانه ليس لنا ان نزيد عليها أو ننقص منها أي شيء تث ٤: ٢ . ولذلك فمن الواجب علينا ومن مصلحتنا أن نخضع ارادتنا ورغائبنا لارادة الله ومشيئته .

(خامسا) وعلينا ان نسعى لتحقيق غاية الله من كل أعمال عنايته ، وهى بوجه عام أن نـكون أتقياء . « ان الله يعمل (كل شيء) حتى يخاف (البشر) أمامه » ليقنعهم بانه يوجد اله فوقهم له سلطان عليهم ، وانهم جميعاً هم وكل أعمالهم وطرقهم تحت تصرفه ، وان في يديه آجالهم وكل مايصيبهم من الحوادث، وانهم لذلك يجب ان يوجهوا اليه أنظارهم على الدوام ويعبدوه ويعترفوا به في كل طرقهم وأعمالهم ويبذلوا قصارى جهدهم لارضائه وعدم اغضابه في أى أمر من الامور . وهكذا فان الله ان غير أعماله ولـكن لن يغير مشورته، وذلك لا ليوقعنا في اليأس بل ليعلمنا واجبنا من نحوه ويرينا الطريق لاتمام ذلك الواجب . وبوجه الاجمال ان

مقاصد الله فى ادارة العالم هى قيام الديانة ونشرها بين البشر

(سادسا) اننا يجب ان نعترف بثبات المشورة الالهية مهما رأينا من التغييرات في هذا العالم . فالشمس تشرق وتغرب والقمر يزيد وينقص ومع ذلك فهما لا يزالان حيث كانا، وما تطوراتهما الا بحسب نظام ثابت منذ البدء خاضع « لسنن السماوات » اى ٣٨ : ٣٣ ، وهكذا الحال ايضاً مع أعمال العناية الالهية ع ١٥ : « ما كان فمن القدم هو » لان الله لم يسر على طريقته الحالية منذ زمن حديث فقط . كلا ! فان الاشياء كانت منذ الازل خاضعة للانقلاب والتطور كما هى الآن وكما ستكون بعد الآن . « وما يكون فمن القدم قد كان » ولذلك فما أعظمنا جهلا وما أكثر طياشتنا ان كنا نقول ما اعتاد الناس قوله كل حين « حقاً ان العالم لم يكشر عن نابه لقوم آخرين مثلنا » أو « لاشك في انه لم يلاق أحد من مصائب الدهر مالاقيناه نحن » أو « ان أحوالنا لن تستقيم الى الابد » كلا فانه قد يتبدل الضيق فرجاً والحزن فرحاً ، ولكن هذا الفرح وذاك الفرج لا يزالان خاضعين لناموس التغيير وسنة التبديل . فالعالم كان ولا يزال وسيظل أبد الدهر مستمراً فى الانقلاب والتغيير لان « الله يطلب ما قد مضى » أي يكرر ما قد فعله سابقاً ويعاملنا كما عامل غيرنا ممن سبقونا لانه « هل لاجلنا تخلى الارض أو يزحزح الصخر من مكانه » اى ١٨ : ٤ . اننا ان كانت قد حلت بنا بعض المصائب أو اصابتنا

بعض التجارب فليست هذه كلها الا بشرية ١ كو ١٠ : ١٣ . فلا يليق بنا ان نطمئن او نفتخر في حالة السرور والنجاح لان الله قد يعيد علينا ضيقة ماضية فتبطل افراحنا من ٦ : ٣٠ و ٧ و ١١ ، ولا يليق بان نيأس في حالة الشدة لان الله قد يعيد لنا تعزياته الماضية كما فعل لايوب . ويمكننا ان نطبق هذا على كل ما يحل بنا من التغييرات سواء في ظروفنا الخارجية أو الداخلية . ان الله سيحاسبنا « عما قد مضى » ولذلك يجب علينا ان تغيرنا الى حالة جديدة ان ندقق البحث في حالتنا — وبنوع اخص في خطايانا — السابقة .

oooooo

١٦ وأيضاً رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم وموضع العدل هناك الجور — ١٧ فقلت في قلبي الله يدين الصديق والشرير . لان لكل أمر ولكل عمل وقتاً هناك — ١٨ قلت في قلبي من جهة أمور بني البشر ان الله يمتحنهم ليريهم انه كما البهيمة هكذا هم — ١٩ لان ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم . موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للانسان مزية على البهيمة لان كليهما باطل — ٢٠ يذهب كلاهما الى مكان

الى مكان واحد . كان كلاهما من التراب والى التراب يعود كلاهما _ ٢١ من يعلم روح بني البشر هل هى تصعد الى فوق وروح البهيمة هل هى تنزل الى أسفل الى الارض _ ٢٢ فرأيت انه لاشيء خير من ان يفرح الانسان باعماله لان ذلك نصيبه . لان مَن يأتي به ليرى ما سيكون بعده .

لا يزال سليمان يظهر هنا ان كل شيء فى هذا العالم باطل ان لم يكن مقرونا بالتقوى وخوف الله . جرد العالم من الديانة لا تجد فيه شيئاً ذا قيمة حقيقية ولا يجد فيه الحكماء شيئاً يستحق ان يعيشون فيه من اجله . في هذه الاعداد رينا ان القوة (وهى اسمى ما يطمح اليه الناس) بل ان الحياة نفسها (وهى أعز ما يحب الانسان) لا شيء ان لم يتخللهما خوف الله .

(أولا) هنا نجد بطلان الانسان فى قوته ، وفى أحسن حالاته واسمى مظاهره ، وهو على عرش المملكة حيث يخضع الناس لسلطانه ، وعلى كرسي القضاء حيث يحتمى الناس فى حكمته وعدله بل حيث يعمل كوكيل لله على الارض ان سار بحسب قوانينه وناموسه ، نعم فانه من ضمن اولئك الذين قال لهم الله انكم آلهة مز ٨٢ : ٦ ، اما بدون خوف الله فهو باطل ، لان

العالم ان تجرد منه : —

(١) لما حكم القاضي بالعدل ، ولما احسن استعمال ما منح من سلطان ، بل استخدمه للشر والاذى بدلا من استخدامه للخير والمنفعة ، وبذا لا يصبح باطلا فقط بل ايضاً كاذباً لانه يخدع نفسه وكل من حوله ع ١٦ . لقد لاحظ سليمان مما قرأه من اخبار العصور السالفة وما سمعه عن اخبار البلاد المجاورة وما رآه فى بعض القضاة الفاسدين حتى فى مملكة اسرائيل — رغماً عن شديد حرصه بان لا يبقى فى خدمة بلاده سوى أفضل الرجال — ان فى « موضع الحق هناك الظلم » . انه لم ير ذلك فوق الشمس لانه حاشا لله ان يخطىء او يغير الحق ، ولكنه رآه « تحت الشمس » حيث طالما لقى المظلومون الابرياء الظلم والجور ممن كانوا يتطلبون منهم العدل والانصاف . « فالانسان الذى فى الكرامة ولا يفهم — ماذا ينبغى ان يفعل — يشبه البهائم التي تباد » مز ٤٩ : ٢٠

على ان الظلم لا يأتي من الاشخاص الذين يجلسون على كراسي الحكم والقضاء فقط بل ان نفس « مواضع الحق . . . . ومواضع العدل » أي نفس الاماكن التي أقيمت لاجراء الحق والعدل والتي ينتظر منها جميع الناس الانصاف « هناك الظلم . . . وهناك الجور » فكم من الناس لقى اشد المساوىء والمظالم من تلك الاماكن التي التجأوا اليها لطلب العدل .

فهذا باطل وقبض الريح (اولا) لانه كان خيراً للبشر ان

لا يكون عندهم قضاة وحكام مطلقاً من ان يكون لديهم اشخاص هـذه صفاتهم (ثانياً) وكان خيراً للقضاة ان لا يعطوا سلطاناً مطلقاً من ان يعطوه ويسيئوا استعماله بهذا الشكل ، وهذا نفس ما سيقولونه فى ذلك اليوم الاخير

(٢) ولحوكم القاضى لعدم حكمه بالعدل . عند ما رأى سليمان ان القضاة والحكام قد افسدوا الحكم بين الناس تطلع الى الحاكم الاعظم وهو الله وطلب منه سرعة مجىء يوم انتقامه ودينونته ع ١٧ : « فقلت فى قلبى » ان هذا الحكم الفاسد ليس هو الحكم الفصل والنهائي كما يظن كل من الطرفين المتحاكمين لانه سيعاد النظر فيه فى محكمة الاستئناف « فالله سيدين الصديق والشرير » ويقضى بينهما ، سيقضى للصديق ويقيم له حقه ولو ليس فى هذا العالم ، ويقضى ضد الاشرار ويدينهم على « قضاياهم الباطلة وجورهم الذى سجلوه » اش ١٠ : ١ . فبعين الايمان نستطيع ان نرى قصاص الاشرار ودينونة الظالمين من اجل ظلمهم وكبريائهم مز ٩٢ : ٧ ، ويا لعظم عزاء المظلومين حينما يرون ان قضاياهم سيعاد النظر فيها . فلينتظروا بصبر عالمين ان هنالك قاض آخر (ديان) واقف قدام الباب يع ٥ : ٩ . ومهما طالت ايام الشدائد الا انه « لكل امر ولكل عمل وقتاً » معيناً للنظر فيه . ان الوقت الحاضر هو يوم البشر اما يوم الله فآت مز ٣٧ : ١٣ . ان لله وقتاً لاعادة النظر فى مظلمات البشر وتخفيف احزانهم وانصافهم

مما ألم بهم من جور واجحاف ولو اننا لا نراه هنا أي ٢٤ : ١

(ثانيا) وهنا نجد بطلان الانسان كشخص فان . ان سليمان يتكلم الان بوجه عام « من جهة امور بنى البشر » فى هذا العالم ، من جهة حياتهم ووجودهم على الارض ، ويريهم ان وجودهم فى هذا العالم بدون خوف الله لايميزهم عن البهائم . وهنا نلاحظ : ـ

(١) ماذا يقصد من وصف حالة الانسان هذه :

١ . ـ اكرام الله وتبريره وتمجيده . « قلت فى قلبى من جهة امور بني البشر لكي يبرروا الله (١) » حتى ان قضى بعضهم حياته فى التعب والشقاء فى هذا العالم لا يعزوا سبب ذلك لله بل لا نفسهم . فليبرروا الله ولا يظنوا انه خلق العالم سجناً لهم او جعل الحياة لهم قصاصاً . كلا فان الله خلق الانسان ـ سواء من جهة الكرامة او الراحة ـ انقص قليلا من الملائكة مز ٨ : ٥ ، فان كان وضيعاً او شقياً فليس الذنب الا ذنبه .

او بمعنى اخر « قلت فى قلبي من جهة امور بني البشر ان الله يمتحنهم » أي ان كلمة الله تمتحنهم وتكشف لهم الستار عن انفسهم وتظهر بانها « حية وفعالة » عب ٤ : ١٢ ومحك لاخلاق البشر

٢ . ـ اخضاع البشر والحط من كبريائه : « ليريهم انه كما

---

(١) هكذا وردت في هامش بعض الترجمات

البهيمة هكذا هم » . ليس من الامر الهين اقناع المتكبرين بانهم ان هم الا بشر مز ٩ : ٢٠ ، واصعب من هـذا اقناع الاشرار بانهم يستوون مع البهائم وانهم « كالبهائم التي تباد ، وكفرس او بغل بلا فهم » بسبب تجردهم من التقوى مز ٣٢: ٩ . « المتسلط الشرير والظالم كأسد زائر ودب ثائر » ام ٢٨: ١٥ . نعم فـكل من يهتم بجسـده فقط ويتغافل عن روحه يجعل نفسـه فى درجة البهائم ويتمنى لو يموت موتها

(٢) الطريقة التي بها يثبت هـذا الوصف . ان الامر الذى يريد اثباته هنا هو ان الشخص العالمى والجسدى « ليس له مزية على البهيمة » لان كل ما تتجه اليه انظاره ويصبو اليه قلبه وكل مايضع عليه اتكاله وينتظر منه السعادة «باطل» ع ١٩ . يظن البعض ان هـذه هى لهجة الملحدين الذين يبررون انفسهم فى شرورهم ع ١٦ والذين لا يعتقدون بالدينونة ويتجنبون ذكرها وكل حديث عنها ع ١٧ لزعمهم بانه لا توجد حياة أخرى بعد هذه الحياة وان كل شيء ينتهى بموت الانسان ولذلك يحق له ان يعمل كما يهوى ويشاء طالما كان فى هذا العالم . ولـكن البعض الاخرين يظنون ان سليمان يتكلم هنا بما يعتقده ، وان معنى ما قاله هنا كمعنى ما قاله ابوه « مثل الغنم يساقون للهاوية » (او يوضعون فى القبر) مز ٤٩ : ١٤ ، وانه يقصـد ان يبرهن بطلان هـذا العالم من جهة ثروته وكل أمجاده ويتوصل لهـذا

البرهان باظهار وجه الشبه بين الانسان والحيوان من الوجهة الجسدية فقط .

١ . — فما يحدث لكليهما متساو تمام المساواة ع ١٩ . « ما يحدث لبني البشر (هو نفس ما) يحدث للبهيمة » ، فكل الذين يريدون درس جسم الانسان يحصلون على أغلب معلوماتهم عن هذا الدرس بواسطة تشريح جسم الحيوان . وعند ما أغرق الله العالم بالطوفان قديماً بادت البهائم مع بني البشر . والخيل تقتل مع بني البشر على السواء فى ميادين الحروب

٢ . — ونهاية كليهما تظهر للعين البشرية واحدة « نسمة واحدة للكل » فكلاهما يتنفس هواء واحداً ، وكلاهما ينطبق عليه ذلك الوصف الواحد العام ان « فى أنفه نسمة روح حيوة » تك ٧ : ٢٢ ولذلك « فموت هذا كموت ذاك » لا فرق بينهما وقت الموت ، وفوق ذلك فما يحدثه الموت من التغيير فى جسد الواحد هو نفس ما يحدثه في الآخر .

(١) فالتغيير من جهة الجسد واحد الا فيما يختص بما يؤدى لاحدهما من الاكرام من خلفه . فالانسان ان كان « يدفن دفن حمار » ار ٢٢ : ١٩ فأية « مزية له على البهيمة ؟ » . بل ان الشريعة الموسوية كانت تقضى بان الاقتراب من جثة انسان ينجس اكثر من الاقتراب من جثة نفس البهائم او الطيور النجسة . وسليمان يلاحظ هنا ان « كليهما يذهب الى مكان واحد»

فجثتاهما تتعفنان بشكل واحد ، و « كلاهما من التراب » نشأا « والى التراب يعود كلاهما » بعد الفساد . فان كانت اجسادنا لا تسرع الى القبر فقط بل تشترك فيه ايضاً مع البهائم وتتحد معها في تراب واحد فلماذا نفتخر باجسادنا وبكل اعمالنا الجسدية؟

(ب) واما من جهة الروح فالفرق شاسع جداً على انه ليس منظوراً ع ٢١ . صحيح ان « روح بني البشر تصعد » عند الموت، لانها ترتفع « الى فوق » عند ابي الارواح الذي جبلها، والى عالم الارواح الذي تتصل به ، فهى لا تموت مع الجسد بل « تفدى من يد (سلطة) الهاوية » مز ٤٩ : ١٥ . انها « تصعد الى فوق » للمحاسبة وتقرير المصير الى حالة لاتتغير . اما« روح البهيمة فمن المؤكد انها تنزل الى اسفل الى الارض»انها تموت مع الجسد وتتلاشى عند الموت ، ان نفس البهيمة عند الموت تشبه الشمعة ان انطفأت ، اما نفس الانسان فتشبه عند الموت شمعة نزعت من مصباح مظلم فتركته عديم الفائدة اما هى فازدادت اشتمالا .

هذا هو الفرق الشاسع بين روح الانسان وروح البهيمة . وهـذا هو السبب الذي من أجله يجب ان « نهتم بما فوق » كو ٣ : ٢ ونرفع اليه نفوسنا ولا نهتم « بما على الارض » او نحط اليه نفوسنا كأنها نفوس البهائم . ولـكن « من يعلم » هـذا الفرق؟نحن لانستطيع ان نرى باعيننا البشرية صعود نفس الواحد

أو هبوط نفس الآخر ، ولذلك فكل من يعيش بحسب الجسد ولا يرفع أنظاره الى مستوى أرفع من مستوى الجسد « ليست له مزية على البهيمة » . « من يعلم » أي من يتأمل هذا ويراعيه في قلبه ؟ اش ٥٣ : ١ ما أقلهم . فلو راعى ذلك الكثيرون لكان العالم في حالة أسمى من تلك بكثير من كل الوجوه ، ولكن من موجبات الحزن والاسف ان الناس يعيشون كأنهم سيخلدون فى هذا العالم ، او كأنهم سينتهي كل أمرهم عند موتهم . ولذلك فليس من الغريب ان يعيش كالبهائم كل من اعتقد انه سيموت كالبهائم .

(٣) الاستنتاج الذي يستخلصه من ذلك ع ٢٢ . « فرأيت انه لاشيء خير » في هذا العالم من جهة ثروته وامجاده « من ان يفرح الانسان باعماله » اي

١ . — يحفظ ضميره طاهراً ولا يسمح مطلقاً بان يكون « هنالك الظلم موضع الحق » . « ليمتحن كل واحد عمله » ويزكي نفسه امام الله « وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط » غل ٦ : ٤ . وليمتنع عن عمل مالا يستطيع ان يفتخر ويفرح به . انظر ٢ كو ١ : ١٢

٢ . — ويعيش حياة مسرة بهجة . فان كان الله قد خصنا بعمل ايدينا حق علينا ان نفرح به ونتمتع ببهجته ولا ندعه عبئاً ثقيلا على كواهلنا ونترك بهجته للآخرين « لان ذلك نصيبنا »

ليس نصيب أرواحنا (لانه ما أشقى اولئك الذين ينالون نصيبهم في هذا العالم مز ١٧: ١٤ وما اغنى اولئك الذين يطلبون نصيبهم فى هذا العالم لو ١٢: ١٩و٢٠) بل نصيب الجسد . فما نتمتع به هو كل ما نستطيع نواله من هذا العالم ، والسبب في ذلك انه لن يستطيع احد ان « يرينا ما سيكون بعدنا » . فمن البديهى اننا ان غادرنا هذا العالم لا نعرف ماسيكون بعدنا، لانه ليست هنالك صلة بين هذا العالم والعالم الآخر اي ١٤: ٢١ . لان الذين ينتقلون لذلك العالم الآخر لا ينشغلون الا بما فيه ولذلك لا يهمهم ان يروا ما يحصل فى هـذا العالم ، وطالما كنا هنا فلن نستطيع ان « نرى ما سـيكون بعدنا » سواء كان من جهة عائلاتنا او من جهة البشرية بوجه عام . انه لم يعط « لنا ان نعرف الازمنة والاوقات » التى تأتي بعدنا ا ع ١ : ٧ ولهذا فعلينا ان لا نهتم بهذا العالم بل لنوجه كل اهتمامنا للعالم الآخر .

فان كان الموت هو وداع نهائي لهذا العالم فلنبحث قبل ان نغادره عن عالم آخر .



الاصحاح الرابع

بعد ان بين سليمان بطلان هذا العالم من وجهة ميل الحكام والقضاة لظلم رعاياهم نراه يبين هنا (١) ميل المظلومين للانين وشكواهم المتواصلة ع ١ ـ ٣ (٢) ميل الكسلان للراحة والاهمال فى اعماله خوفاً من حسد الناس له ع ٤ - ٦ (٣) غباوة الذين يجمعون الثروة العالمية الطائلة ويكنزونها ع ٧ و ٨ (٤) علاجاً لتلك الغباوة وهو مراعاة خير البشرية العام ووجوب التعضيد المتبادل ع ٩ - ١٢ (٥) عرضة كل مجد عالمى للفناء حتى امجاد الملوك ، ليس فقط بسبب غباوتهم ع ١٣ و ١٤ بل ايضاً بسبب تقلب الشعوب الذين يحكمونهم مهما كانت حكمتهم عظيمة ع ١٥ و ١٦ .

فان كان الملوك انفسهم لا يخرجون عن دائرة هذا البطلان فلا يليق بان ينتظر اى شخص آخر ان يتخلص منه

١ ثم رجعت ورأيت كل المظالم التى تجرى تحت الشمس فهوذا دموع المظلومين ولا معز لهم ومن يد ظالميهم قهر . أما هم فلا معز لهم ـ ٢ فغبطت انا الاموات الذين قد ماتوا منذ زمان اكثر من الاحياء الذين هم عائشون بعد ـ ٣ وخير من كليهما الذي لم يولد بعد الذي لم ير العمل

الردىء الذي عمل تحت الشمس

لقد أعطى سليمان قلباً رحباً (١ مل ٤ : ٢٩) ، ومما جاء في هذه الاعداد وكثير غيرها يتضح لنا انه كان فوق ذلك رقيق القلب جداً نحو البائسين من بنى البشر ويرثى لاحزانهم ومصائبهم. فى ص ٣ : ١٦ و ١٧ نراه يوبخ الظالمين ويذكرهم بالديونة العتيدة ليوقفهم عند حدهم ، وهنا نراه يأخذ دوره مع المظلومين انفسهم. ولا شك في ان قصده من الاهتمام بهم كملك هو انصافهم من خصمائهم لانه كان يخاف الله ويهاب الناس لو ١٨ : ٢ و ٣ ؛ على انه يعالج امرهم هنا لا كملك بل كواعظ ، كالجامعة ، ويبين لنا :—

(اولا) متاعبهم وضيقاتهم الشديدة ع ١ ، وهو يتكلم عن هذه بكل رقة واشفاق وحنو . لقد آلمه . ــ

(١) ان يرى القوة تسود على الحق ، ان يرى « كل هذه المظالم التى تجرى تحت الشمس » ، ان يرى العبيد والصناع والعمال يظلمون من ساداتهم ورؤسائهم الذين ينتهزون فرصة فقرهم واحتياجهم اليهم ليفرضوا عليهم اى شروط تهواها نفوسهم ، ان يرى المدينين يظلمون من دائنيهم لشدة قساوتهم والدائنين يظلمون من مدينيهم لشدة خيانتهم ؛ ان يرى الفلاحين يظلمون من اصحاب الاراضى الجشعين ؛ واليتامى يظلمون من الاوصياء عليهم الخائنين ، واشد ما آلمه ان يرى الشعوب يظلمون من

حكامهم المستبدين وقضاتهم الظالمين . « كل هـذه المظالم تجرى تحت الشمس » اما فوق الشمس فيملك البر والحق الى الابد . والعقلاء هم الذين « يرون هذه المظالم » ويسعون لاغاثة المظلومين وانصافهم . « فطوبى للذى ينظر الى المسكين » مز ٤١ : ١

(٢) وان يرى كيف ان الذين قد أسيء اليهم يزحون ويئنون تحت المظالم التى لحقتهم . انه قد رأى «دموع المظلومين»

وربما لم يتمالك نفسه بل اشترك معهم في البكاء . ان العالم مقر للباكين ، فمها جلنا الطرف لابد ان تعترض ابصارنا المناظر الكثيرة المؤلمة ، لابد نرى كثيراً من «دموع المظلومين» بالمظالم المختلفة . فهم يحزنون ويكتئبون في قلوبهم كأيوب لانهم يرون ان الشكوى والصراخ بلاجدوى (اي ١٦ : ٢٠ ، ٣٠ : ٢٨). على ان الله لم يتركهم عند هذا الحد بل وعدهم بالبركة والعزاء قائلا « طوبى للحزانى لانهم يتعزون » مت ٥: ٤

(٣) وان يراهم لايستطيعون اعانة انفسهم . «ومن يدظالميهم قهر » (أو وفي يد ظالميهم القوة والسلطان) فان أجروا مظلمة عززوها ونفذوها بقوتهم وسلطانهم وحمل المسكين والضعيف في تيارهم الجارف وعجز عن مقاومته أو التخلص من نيرهم القاسي . فمن المؤلم جداً أن تستعمل القوة في غير محلها ، وان يستعمل الناس مواهبهم لفعل الشر في حين انها لم تعط لهم الا لفعل الخير .

(٤) وان يرى كل من حولهم يستهزىء بهم ويستخف بمصائبهم. فهم كانوا يبكون ويئنون ولذا كانوا يحتاجون لمعز ولكن لم يوجد من يفعل معهم تلك الرحمة : « لامعز لهم » . كان ظالموهم أقوياء ويتهددونهم بالخطر « أما هم فلا معز لهم » . فاولئك الذين كان يجب عليهم تعزيتهم لم يجسروا أن يفعلوا ذلك اما خوفاً من اغضاب ظالميهم او خوفاً من أن يظنوا فيهم انهم شركاءهم ان رأوهم واقفين بجانبهم معزين . فياله من أمر مؤلم أن نرى الانسانية تعدم من بين الناس .

(ثانيا) التجارب التى عرضتهم لها حالتهم هذه. فهم بسبب كل هذه المظالم كانوا في خطر من أن يجربوا بكراهة الحياة واحتقارها وحسد اولئك الذين ماتوا واستراحت عظامهم في قبورهم، وأن يتمنوا لو لم يولدوا ويروا هذه الحياة برهة واحدة ع ٢ و ٣ . وممن يوافقهم على ذلك سليمان لانه بهذا يتحقق مايريد اثباته هو وهو ان « الكل باطل وقبض الريح » . وحقاً اننا لو احتقرنا العالم لا لشيء آخر سوى لكى نتمتع بحضرة الله كما فعل بولس الرسول (اع ٢٠ : ٢٤ ؛ في ١ : ٢٣) لكان ذلك فخراً لنا ، ولكن ان احتقرناه لمجرد مايعتريه من المصائب والاحزان لكان ذلك ضعفاً منا ولعد ذلك حكماً حسب الجسد كما فعل ايوب (ص ٣) وايليا (١ مل ١٩ : ٤)

(١) ان سليمان هنا يغبط الذين قد فارقوا هـذا العالم المملوء بالمشقات والاحزان ، الذين قد لعبوا دورهم في هـذه الحياة . « فغبطت انا الاموات الذين قد ماتوا منذ زمان » الذين قد أسرعوا الرحيل من هذا العالم ، واختصروا الطريق في عبور بحر هذا العالم . ولو علمت انهم أتوا ذلك باختيارهم لاثنيت على حكمتهم لانهم قد اكتفوا بان ينظروا العالم برهة قصيرة ويمروا فيه مر الخيال اذ لم يجدوا به مايحببهم فيه .

فاستخلصت من ذلك بانهم أفضل بكثير « من الاحياء الذين هم عائشون بعد » الذين يعانون مصائب الحياة ويتجرعون كؤوسها المرة كل يوم بل كل لحظة . ان هذه لا نشبهها بما جاء في اى ٣ : ٢٠ و٢١ (وهو « لم يعطى لشقى نور وحيوة لمري النفس . الذين ينتظرون الموت وليس هو ويحفرون عليه أكثر من الـكنوز ») بل بما جاء في رؤ ١٤ : ١٣ حيث لا يقول روح . الانسان البشرى بل روح الله القدوس في أزمنة الاضطهاد التي يصفها سليمان هنا ـ « طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن »

(ملاحظة) ان حالة القديسين الذين قد ماتوا وذهبوا لراحتهم عند الله أفضل بكثير من أغلب الوجوه من حالة القديسين الاحياء الذين لا يزالون يجاهدون ويعانون المتاعب والمشقات

(٢) وهو يغبط الذين لم يروا الحياة مطلقاً ويظن انهم أسعد

الجميع « وخير من كليهما الذين لم يولد بعد » نخير للانسان لو لم يولد من ان يولد « ويرى العمل الردىء الذى يعمل تحت الشمس» ويرى الآثام الكثيرة التى ترتكب والمظالم العديدة التي تجرى، ولا يقف به الحد عند عدم استطاعته على ايقاف كل هذه الشرور بل انه فوق ذلك يتألم جداً في عمل الخير . ان الاتقياء مهما اشتدت بهم المصائب فى هذه الحياة لايجدون أي مبرر ليتمنوا لو لم يولدوا طالما كانوا يمجدون الله حتى في النيران المشتعلة وطالما كانت سعادتهم في هذه الحياة لا يمكن ان تمس بسوء. بل لايليق باي انسان ان يتمنى ذلك طالما كان حياً ، لانه طالما بقيت الحياة فالرجاء باق ، ولان الانسان لايمكن ان يقال عنه انه قد هلك الا اذا وصلت قدماه حافة الجحيم .

ooOOOoo

٤ ورأيت كل التعب وكل فلاح عمل انه حسد الانسان من قريبه . وهذا أيضاً باطل وقبض الريح ـ ٥ الكسلان يأكل لحمه وهو طاو يديه ـ ٦ حفنة راحة خير من حفنتي تعب وقبض الريح

هنا يعود سليمان للتأمل فى البطلان الذي يتخلل أعمال الحياة الذى تكلم عنه في ص ٢ : ١١

(اولا) فان كان الانسان ذكياً وحاذقاً وناجحاً في عمله لاينال الا « الحسد من قريبه » ع ٤ . فرغماً عما يتكبده من المشقات ويعانيه من « كل التعب » ، ورغماً عن انه لايحصل على ثروته بسهولة بل كثيراً ما كلفته نفقات طائلة ، ورغماً عن انه لايحصل عليها بطرق غير شريفة فهو لايظلم أحداً ولا يخدع انساناً، بل « بكل فلاح عمل » (أو بكل عمل قويم) بسلوك كل طريق مستقيم والسير في أعماله بنزاهة وعدل ـ رغماً عن كل ذلك تراه يحسد من قريبه ، بل والاكثر من ذلك انه يحسد على ما ناله من الشهرة والصيت بسبب نزاهته وأمانته . ومن ذلك نرى : —

(١) ان ضمائر بعض الناس قد تكون فاسدة بل ميتة حتى انهم يحقدون على جار لهم ويسيئون اليه اما بالكلام أو بالعمل لا لذنب عمله سوى لانه اكثر منهم حكمة وذكاء ونشاطاً ونال قسطاً أوفر من بركات السماء . فقايين حسد هابيل ، وعيسو حسد يعقوب ، وشاول حسد داود ليس لسبب آخر سوى « لفلاح عملهم » (أو لاعمالهم القويمة) . هذه كلها أعمال شيطانية محضة

(٢) ان الاشخاص العقلاء والنافعين يليق بهم ان لاينتظروا الا القليل جداً من التعزية في هذا العالم . فمها سلكوا بحذر واحتراس لايمكن ان يتحاشوا حسد الناس لهم ، ومن يستطيع الوقوف قدام الحسد ام ٢٧ : ٤ . وكلما ازداد الناس في الفضيلة كلما ازدادوا كراهة ممن يزدادون في الرذيلة ، الامر الذي لايجب

بان يكون سبباً للفشل في عمل الخير بل يجب ان يبعثنا على انتظار المدح والجزاء لا من الناس بل من الله وعلى عدم انتظار أي راحة أو سعادة فى الخليقة ، لانه ان كان قد ثبت لنا ان « كل فلاح عمل (أو كل الاعمال القويمة) باطل وقبض الريح » فلن نجد عملا آخر تحت الشمس خارجاً عن هذه الدائرة. على ان الانسان سيجد نعمة فى عيني الله من أجل كل فلاح عمل ، ولذلك فلا موجب له بان يهتم بحسد الناس له، بل ليكن هذا باعثاً على ازدياد احتقاره للعالم .

(ثانيا) وان كان الانسان غنياً وجاهلا وغير مفلح في عمله فهو يسيء الى نفسه ع ٥ : « الكسلان » الذى يسلك في عمله كأنه « طاو يديه » الذى يتمم كل أعماله باهمال وتراخ ، الذى يفضل الراحة على العمل ويطوى يديه لتخبئتهما من البرودة لانهما يرفضان العمل ـ هـذا « يأ كل لحمه » يعمل على هلاك نفسه ، يجلب على نفسه الفقر المدقع فلا يجد ما يأ كله سـوى جسده ، والمصائب الشديدة حتى يكاد يأ كل جسده من شدة الغيظ والغضب. وما مثله الا مثل الكلاب الذين يحبون الراحة والجوع. انه يعمل كل شر ويسلك طرق الفساد لانه يرى ان العاملين المجدين يحسدون من أقرانهم . (ملاحظة) ان الكسل هو من الخطايا التى ينال الانسان قصاصها من نفسها

أما ماجاء في ع ٦ « حفنة راحة خير من حفنتي تعب وقبض الريح »

(١) فاما ان يكون احتجاج الكسلان عن نفسه ليبرر كسله فهو « يطوي يديه » ويبرر عمله هذا بالارتكان على حقيقة ولكنه يعكسها ، اذ يظن (او يدعى) ان القليل مع الكسل خير من الكثير مع العمل الشريف لان « لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام » ام ١٧ : ١ وبذلك فهو « أوفر حكمة في عيني نفسه » ام ٢٦ : ١٦

(٢) على ان الارجح انه نصيحة يقدمها لنا سليمان لنتوسط بين الامرين ، بين التعب الذي يجعل الانسان محسوداً من اقرانه وبين الكسل الذى يجعله يأكل لحمه . فلنجد فى عملنا ولنسلك أشرف الطرق حتى نمسك حفنة واحدة فقط تسد أعوازنا في هذه الحياة ، أما ان ملأنا حفنتينا فلا تسببان لنا سوى «قبض الريح» (أو تعب ومضايقة الروح) ؛ فخير الامور الوسط سواء فى الراحة أو فى النصب . قد ينال الانسان « حفنة » واحدة من هذا العالم ويلتذ بها ويتمتع « براحة » عظيمة ، براحة الفكر وسلام الضمير ومحبة الآخرين ، بينما ان أغلب الذين ملأوا كلتا أيديهما ونالوا « حفنتين » وحصلوا على أكثر من حاجات القلب فلا يجدون منها سوى التعب والشقاء . ان الذين لا يستطيعون ان يعيشوا بالقليل يعرضون انفسهم لخطر الجشع وعدم الاكتفاء

....

٧ ثم عدت ورأيت باطلا تحت الشمس ـ ٨ يوجد واحد ولا ثانى له وليس له ابن ولا أخ ولا نهاية لكل تعبه ولا تشبع عينه من الغنى . فلمن أتعب أنا وأحرم نفسى الخير . هذا أيضاً باطل وأمر ردىء هو ـ ٩ اثنان خير من واحد لان لهما أجرة لتعبهما صالحة ـ ١٠ لانه ان وقع أحدهما يقيمه رفيقه . وويل لمن هو وحده ان وقع اذ ليس ثان ليقيمه ـ ١١ أيضاً ان اضطجع اثنان يكون لهما دفء . أما الواحد فكيف يدفأ ـ ١٢ وان غلب أحد على الواحد يقف مقابله الاثنان ، والخيط المثلوث لا ينقطع سريعاً

في هـذه الاعداد يبين لنا سليمان مظهراً آخر من مظاهر بطلان هذا العالم ألا وهو ان الناس كلما ازدادوا في الحصول على الاشياء العالمية كلما ازدادوا طمعاً فيها

(أولا) ان محبة الذات هي أصل هـذا الشر ع ٧ و ٨ .

« يوجد واحـد » وحيد لا يهتم الا بنفسه ولا يعمل للآخرين حساباً بل يود لو استطاع ان يبقى وحده وسط هذا العالم ، « ولا ثانى له » ولا يود ان يكون له ثان ، بل يظن أنه يكفي أن يوجد في البيت واحد فقط ، ويبغض كل ما ومن عداه .

لاحظ هنا كيف يصف سليمان ذلك البخيل :

(١) فهو يجعل نفسه مجرد عبد لعمله . انه ليس له من يعوله اذ « ليس له ابن ولا اخ » ليس لديه من يهتم به سوى نفسه ، ليس له اقارب فقراء ليعولهم ، ولا يفكر في الزواج خوفاً من ان يثقل كاهله ، ولكن رغما من كل ذلك « فلا نهاية لكل تعبه » بل يواصل فيه الليل بالنهار ، مبكرا ومتأخراً ، ويضن على نفسه ـ وعلى من يستخدمهم ـ بالراحة الضرورية . وهو لايحصر مجهوده في العمل الذي قد خص به بل يعمل في كل ماتستطيع يده الوصول اليه . أنظر مز ١٢٧ : ٢

(٢) وهو لايخطر بباله ابداً انه قد حصل على كفايته « لاتشبع عينه من الغنى » . عبر الكتاب المقدس عن الطمع بانه هو « شهوة العيون » ١ يو ٢:١٦ لان كل ما يطمع فيه الاشخاص الجسديون هو « رؤية تلك الشهوة بعيونهم » جا ٥ : ١١ . انه قد يكتفي بما يلبس وبما يأكل وبما يقدم لعائلته ولكنه لن يكتفي بماتراه عيناه. ومع انه يستطيع ان يرى ما يحصل عليه ويحصى ثروته وامواله ولكنه لايحصل على شيء من الراحة لانه لا يجد شيئاً اكثر ليمتع به عينيه

(٣) وهو يحرم نفسه لذة التمتع بما قد حصل عليه ، اذ « يحرم نفسه الخير » ، فان حرمت نفوسنا من الخير لنعرف باننا نحن الذين قد حرمناها منه . يستطيع الاخرون ان يحرمونا

من الخير الخارجي ، ولكنهم لن يستطيعوا ان يسلبوا منا نعم الروح وتعزياتها وخيراتنا الروحية . فان لم نمتع انفسنا فالغلطة غلطتنا. على انه كم من الناس يفرغون كل قلوبهم للعالم فيحرمون انفسهم الخير هنا وفي الابدية ، يضحون الايمان ويدنسون ضمائرهم الطاهرة ، يحرمون انفسهم لا من الله والحياة الابدية فقط بل ومن لذات الحياة الحاضرة ايضاً . فاولئك الذين يعيشون بحسب العالم والجسد الذين يدعون انهم حكماء في انفسهم ليسوا الا اعداء لانفسهم .

(٤) وهو ليس له عذر فى كل مايعمل ، اذ « ليس له ابن ولا اخ » ، ليس له من يهتم بأمره ، ليس له من ينفق عليه ثروته التي يكد فى الحصول عليها ، أو من يتمتع بعد موته بما قد كان يكنزه ويدخره .

(٥) ليس له عقل أو ادراك ليبين له جهله وغباوته . انه لايخطر على باله ان يسأل نفسه هذا السؤال « لمن اتعب انا ؟ »

هل اتعب لمجد الله وللحصول على ما اسد به حاجة الفقراء ؟ هلا اعتبر انى لااتعب الا للجسد الفاني ؟ وهلا اتذكر اني اتعب للاخرين ، ولا اعرف من هم اولئك الاخرون ، فقد يكونون اغبياء فيبددون في برهة وجيزة ماقد تعبت في جمعه ؛ وقد يكونون اعدائى فلا يحفظون لى جميلا ولا يبقون لى اسما .

(ملاحظة) من الحكمة أن يتأمل الذين يهتمون بهذا العالم في من يتعبون له ، وهل يستحق الامر بان يحرموا انفسهم الخير

حتى يعطوه للغريب وان لم يراع الناس ذلك « فهذا ايضاً باطل وامر ردىء هو » هم يخجلون انفسهم ويضايقون ذواتهم بلا ضرورة .

(ثانيا) وان عشرة الناس والاختلاط والائتناس بهم هى الدواء لهذا الشر . فان البخل لم ينشأ الامن رغبة الانسان فى ان يعيش لنفسه . والان يبين لنا سليمان بامثال كثيرة انه « ليس جيداً ان يكون الانسان وحده » تك ٢ : ١٨ ، وقصده من ذلك ان يحبب لنا الزواج والصداقة وهما امران طالما احجم عنهما البخلاء لما يتطلبانه من النفقات الطائلة ، على ان الانسان لو سلك فيهما بحكمة وتعقل لما كلفاه كل تلك النفقات . أن الانسان عندما وضع فى الجنة نفسها لم يستطع ان يكون سعيداً بدون « معين ونظير » ولذلك حالما خلق أوجد الله « معيناً ونظيراً »

(١) ان سليمان يضع لنا هنا قاعدة عامة وهى « اثنان خير من واحد » لانهما يتمتعان بسعادة لايمكنهما الحصول عليها لو افترقا ، ويخدمان مصالح بعضهما البعض بقوة اتحادهما ، « لان لهما اجرة لتعبهما صالحة » فكل خدمة يتممانها لابد أن تعود عليها بالمنفعة .

أن من يخدم نفسه فقط يكافىء نفسه بنفسه ، وهو لا يمكن ان يكون عادلا فى مكافأة نفسه كما لو كافأه غيره ، بل انه طالما

لم ينل اجرة لتعبه لانه رغما عن انه « لا نهاية لكل تعبه » فهو « يحرم نفسه الخير »

أما من يخدم الاخرين « فله اجرة (أو اجراً) صالحة » فثمار المحبة الطاهرة ولذاتها هي اعظم جزاء لعمل وتعب المحبة ١ تس ١ : ٣ ، عب ٦ : ١٠

ومن ذلك يستنتج سليمان ان الوحدة شر عظيم على الانسان. « ويل لمن هو وحده » فهو يعرض نفسه لاخطار داهمة كان من الممكن أن يدفعها عنه أصدقاؤه ورفقاؤه المخلصون ويدرأوا شرها عنه ، ويحرم نفسه من امتياز سام هو انتقادات الاصدقاء له واظهارهم له عيوبه ونقائصه « فالحديد بالحديد يحدد، والانسان يحدد وجه صاحبه » ام ٢٧ : ١٧ . فاولئك الذين يعيشون لنفسهم فقط والذين لا يفسحون لغيرهم مكاناً في قلوبهم لا يمكن أن نعدهم انهم يحبون الله .

(٢) وهو يقيم البرهان على تلك القاعدة بايراد كثير من الامثلة التي تتضح فيها فوائد الصداقة والمعاشرات الجيدة

١ . ـ فحاجة الانسان للمعاونة المستمرة تستلزم وجود الصداقة. انه خير لشخصين ان يرافقا بعضهما بعضاً في السفر لانه ان تصادف « ان وقع أحدهما » ولم يستطع القيام « يقيمه رفيقه » فالمثل يقول « الصديق لوقت الضيق » ، في حين انه ان سافر الواحد وحده وسقط فقد يفقد الحياة لاحتياجه لامر يسير . ان سقط

انسان فى زلة اصلحه صديقه بروح الوداعة غل ٦ : ١ ؛ وان وقع فى ضيق أعانه رفيقه وعزاه وخفف عنه احزانه

٢ . ـ التدفئة المتبادلة . فكما ان الرفيق ينفع صديقه فى وقت السفر كذلك ينفعه في وقت الرقاد . « ان اضطجع اثنان يكون لهما دفء » . كذلك تشتد حرارة المحبة الطاهرة والغيرة المقدسة ويحمو وطيسهما بالمعاشرات الصالحة ، فالمسيحيون تشتد حرارتهم اشتعالا عندما « يحرضون بعضهم البعض على المحبة والاعمال الحسنة » عب ١٠:٢٤

٣ . ـ القوة المتحدة . ان وجد العدو انسانا وحده كان من السهل عليه ان يغلبه . « ان غلب احد على الواحد » فبقوته الشخصية لايستطيع ان يعزز جانبه ؛ ولكن ان وجدله رفيق « يقف مقابله الاثنان » فقد كان الاتفاق الذى ابرم بين يوآب وابيشاى ان يساعد كل منهما الآخر على عدوه ٢ صم ١٠ : ١١ وبذلك استطاع كل منهما الوقوف امام عدوه والانتصار عليه في حين انهما لو كانا منفصلين لانهزما كما قيل عن البريطانيين القدماء وقت غزو الرومانيين لهم انهم عند ما كانوا ينزلون الى ساحة الوغى متفرقين شيعاً واحزاب كانوا ينهزمون . وكذلك الحال في امر حروبنا الروحية فاننا نستطيع ان نعاون بعضنا البعض ، فان بركة الشركة مع الله يليها مباشرة بركة الشركة مع القديسين .

واخيراً يستخلص هذا المثل « الخيط المثلوث لاينقطع »

بسهولة كما ينقطع كل من الثلاثة منفصلين كحزمة العصي التي لاتنكسر بالسهولة التى تنكسر بها كل عصى منفصلة . لاحظ بان سليمان يشبه الاثنين المتحدين بالخيط المثلوث ؛ ذلك لانهما ان اتحدا قلباً وقالباً بربط المحبة الطاهرة القوية حل في وسطهما المسيح بروحه القدوس وصار ثالثاً لهما كما حل وسط التلميذين اللذين كانا مسافرين الى عمواس، وحينئذ يصير الخيط مثلوثاً ولا ينقطع. فاولئك الذين « يثبتون (او يسكنون) في المحبة يثبتون (او يسكنون) في الله والله فيهم » ١ يو ٤ : ١٦

ooOOoo

١٣ ولد فقير وحكيم خير من ملك شيخ جاهل الذي لايعرف ان يحذر بعد - ١٤ لانه من السجن خرج الى الملك والمولود ملكا قد يفتقر - ١٥ رأيت كل الاحياء السائرين تحت الشمس مع الولد الثانى الذى يقوم عوضاً عنه - ١٦ لانهاية لكل الشعب لكل الذين كان أمامهم . أيضاً المتأخرون لايفرحون به . فهذا ايضاً باطل وقبض الريح .

لقد كان سليمان ملكا ولذلك يحق له اكثر من غيره أن يتكلم عن مراكز الملوك وعظمتهم ويبين انها غير ثابتة كما يوضح هنا . وقد سبق له ان قال فى ام ٢٧ : ٢٤ « ان التاج ليس بدائم الى دور فدور » وهذا ماوجده ابنه ، لانه ليس اسرع الى الزوال من المراكز الرفيعة ان لم تكن معززة الجانب بالحكمة ومؤيدة بمحبة الشعب

(أولا) فالملك لايمكن ان يكون سعيداً ان لم يكن حكيما ع ١٣و١٤ . ان من كان « حكيما » حقيقياً وحازم الرأى وتقياً مهما كان « فقيراً » في العالم وصغير السن أو « ولداً » ومحتقراً ومزدرى به فهو « خير » افضل واعظم شأنا واكثر نفعا لنفسه ولجيله « من ملك شيخ » واكثر وقاراً واحتراما منه ان كان « جاهلا » ولايعرف كيف يدبر امور رعيته بنفسه « ولا يعرف ان يحذر بعد » أى لايقبل النصح والارشادوالمشورة أولايجسر احد ممن حوله أن يخالف رأيه أو يبدى له رأيا جديداً . فان ظن الملوك برفضهم النصح والمشورة انهم يحفظون كرامتهم وشرفهم الرفيع فهذا زعم باطل لانهم بذلك يعملون على تحقير ذواتهم . ان الجهل والعناد يتمشيان عادة جنباً الى جنب ، واولئك الذين يحتاجون الي التحذير ان رفضوه قاسوا من ورائه امر الالام . ولنعلم بانه لا المراكز الرفيعة ولاتقدم

السن تكسب الانسان احتراماً أن لم يكن متحلياً بالفضيلة والحكمة الحقيقية ، في حين ان الفضيلة والحكمة تنيلان الانسان شرفاً عظيما مهما كان فقيراً أو حديث السن .

ولكي يبرهن ان « الولد الحكيم خير من الملك الجاهل » نراه يبين مصير كل منهما ع ١٤ .

(١) فالفقير يرقى الى ذروة المجد بحكمته كما نرى في يوسف الذى وهو شاب صغير السن « خرج من السجن » ليصير ثان في المملكة الامر الذى قد يشير اليه سليمان هنا . ان العناية الالهية في بعض الاحيان « تقيم المسكين من التراب وترفع البائس من المزبلة لتجلسه مع الاشراف » مز ١١٣ : ٧ و ٨ . والحكمة لا تمنح الناس الحرية فقط بل ترفعهم أيضاً لارفع المناصب ؛ ترفعهم من الاكواخ الى قصور الملوك .

(٢) والملك بغباوته وعناده « قد يفتقر » . فرغماً عن انه « مولود ملكا » ونال مركزه بالوراثة ، ورغماً عما علاً به خزائنه من الاموال التى لاحصر لها فانه لابد ان يفتقر وتنفد ثروته وربما يضطر للتخلى عن عرشه ان سلك طرقاً معوجة « ولم يعرف ان يحذر بعد » ظناً منه انه لن تؤثر عليه أى قوة عالمية

(ثانيا) والملك لن تثبت مملكته ان لم يكن مؤيداً بمحبة شعبه ، وهذه نستنتجها من العددين الاخيرين

(١) فالملك يجب أن يكون له خلف أو « ثان ، وهو الولد

الذي يقوم عوضاً عنه » وأما ان يكون هذا الولد ابنه أو ذلك « الولد الفقير الحكيم » الذي تكلم عنه في ع ١٣ . ان الملوك ان تقدموا فى السن لا بد من أن يروا ذلك المنظر المؤلم لنفوسهم ، الا وهو رؤيتهم لاولئك الذين سيحلون محلهم

(٢) من عادة الناس ان يعظموا الشمس وقت شروقها . « فكل الاحياء السائرين تحت الشمس يكونون مع الولد الثانى » يخدمون مصالحه ويظهرون له علامات الاخلاص والولاء ، ويهتمون به اكثر من اهتمامهم بابيه الذي ينظرون اليه كظل مائل ويزدرون به لان ايامه الاولى قد انقضت . ويظهر ان سليمان لم يقل ذلك الا عن اختباره الشخصى لحالة شعبه وميلهم من نحوه ، الامر الذي قد ظهر بعد موته مباشرة من شكواهم من ملكه وطلبهم من ابنه تغيير تلك الخطة التى كان يسير عليها ابوه

(٣) والشعوب لا تطول مدة رضائهم عن اى امر خصوصاً عن رؤسائهم وحكامهم « لا نهاية لكل الشعب » فهم يميلون على الدوام الى التغييرات ولا يعرفون النافع من الضار .

(٤) وليس هذا بالامر الجديد بل هذا طريق قد سلكه « كل الذين كانوا امامهم (او قبلهم) » لقد حصلت امثلة من هذا القبيل في كل العصور ، فصموئيل وداود نفسهما لم يستطيعا ان يرضيا الشعب على الدوام

(٥) وكما حصل في الماضى كذلك سيحصل في المستقبل .

« فالمتأخرون ايضاً » ستكون فيهم نفس الروح التي كانت فيمن سبقهم « ولا يفرحون به » اى لا يفرحون بمن كانوا ملتفين حوله في بادىء الامر . وهكذا فعل اليهود بمخلصنا فانهم في يوم هتفوا له قائلين « اوصنا » وبعد خمسة ايام صرخوا قائلين « اصلبه »

(٦) وانه لمن المؤلم جداً لنفوس الولاة والامراء ان يروا انفسهم محتقرين من اولئك الذين كانوا يسعون لارضائهم ويتكلون على تعضيدهم ومساعدتهم . فالانسان بطبيعته لا يثبت على حال واحدة . « فهذا ايضاً باطل وقبض الريح »



الاصحاح الخامس

في هذا الاصحاح يبحث سليمان في امرين :

(الاول) عبادة الله . ويصفها كدواء لكل ما يجده الانسان من البطلان في الحكمة والعلم والعمل وملذات الحياة وامجادها ومناصبها الرفيعة . فان اردنا ان لا نتخدع بأباطيل تلك الامور وان لا تتضايق ارواحنا عما نصادفه فيها من مثبطات العزائم فعلينا ان نتمم واجبنا من نحو الله ونحفظ شركتنا معه . على انه فضلا عن ذلك يحذرنا تحذيراً ضرورياً من الاباطيل الكثيرة التي طالما وجدت في الفرائض الدينية التي تلاشي بهجتها وعظم قيمتها وتضعفها عن مقاومة الاباطيل الاخرى . لانه ان كانت ديانتنا باطلة فكم يكون البطلان نفسه. لذلك فنحذر من البطلان {١} في سماع الكلمة وتقديم الذبائح ع ١ (٢) في الصلاة ع ٢ و٣ (٣) في انذار النذر ع ٤ — ٦ (٤) في التظاهر بالاحلام الروحية ع ٧ . والان (ا) نراه يصف لنا خوف الله كدواء لكل تلك الاباطيل ع ٧ (ب) ويطلب منا توجيه انظارنا لله وقت حلول المصائب والضيقات بنا كي لا نرتكب من الشطط في هذه الظروف الصعبة ع ٨

(الثاني) ثروة هذا العالم وما يرافقها من البطلان . صحيح ان ثمرات الارض وخيراتها ضرورية لقوام الحياة ع ٩ على ان الفضة والذهب والثروة (١) لا تشبع النفس ع ١٠ (٢) ولا نفعها ع ١١ {٣} ومقلقة للراحة ع ١٢ (٤) وطالما برهنت على أنها ضارة بل مهلكة ع ١٣ (٥) وزائلة ع ١٤ (٦) ولا بد ان نتركها وراءنا عند الموت ع ١٥ و١٦ (٧) وان لم نعرف كيف نستعملها سببت لنا حزناً والماً ع ١٧ . ولهذا فهو يدعونا الى التعقل في استعمال ما وهب لنا الله من الخيرات موجهين انظارنا الى الله معطي هذه الخيرات ، ويبين لنا ان هذه خير وسيلة لتحقيق غاية الله من اعطائنا ما ملكنا وتجنب ما يرافق الاموال من المساوىء والشرور ع ١٨ — ٢٠ .

فإن استطعنا ان نتعلم من هذا الاصحاح كيف نسلك في اعمالنا الدينية واعمالنا العالمية ـ وهما جل ما نقضي فيه حياتنا ـ تعلمنا درساً نافعاً ونلنا خيراً جزيلا

ooooooo

١ احفظ قدمك حين تذهب الى بيت الله فالاستماع اقرب من تقديم ذبيحة الجهال لانهم لا يبالون بفعل الشر ـ ٢ لا تستعجل فمك ولا يسرع قلبك الى نطق كلام قدام الله لان الله فى السموات وانت على الارض فلذلك لتكن كلماتك قليلة ـ ٣ لان الحلم يأتى من كثرة الشغل وقول الجهل من كثرة الكلام

ان قصد سليمان من محاولته ابعادنا عن العالم باظهاره لنا بطلانه هو تقريبنا من الله ، كى لا نسلك في طريق العالم بل في طريق الحق ، ولا نتكل على ثروة العالم بل على البركات الروحية . ولذلك

(أولا) فهو يأمرنا هنا ان « نذهب الى بيت الله » الى

مكان العبادة الجمهورية ، الى الهيكل الذى بناه هو بنفسه وكلفه النفقات الطائلة . انه عند ما تأمل في كل اعماله ص ٢ : ٤ ووجدها

كلها باطلة لم يأسف على هذا التأمل بل سر به جداً لما نال من وارئه من النتائج والفوائد ، وهنا نراه يوجه اليه انظار اولئك الذين يريدون معرفة بطلان هـذا العالم ويطلبون تلك السعادة التى لن تنال من المخلوقات . عند ما وقع داود في حيرة شديدة وقصد التخلص منها « دخل مقادس الله » مز ٧٣ : ١٧ . فان صادفنا الفشل وخيبة الامل من المخلوقات فلنوجه انظارنا للخالق. لنستشر كلمة الله في كل أمورنا ، ولنبسطها امام عرش نعمته . ففي كلمة الله والصلاة بلسان لـكل جرح

(ثانيا) ويطلب منا ان نتصرف بحكمة وترو اذا ما ذهبنا الى بيت الله حتى لا نخسر الغاية التي من اجلها ذهبنا . ان الفرائض والطقوس الدينية ليست اموراً باطلة ولـكننا ان اسأنا استعمالها صارت باطلة . ولذلك

(١) يجب علينا ان نمارسها بكل عناية وحذر. « احفظ قدمك » وليست هذه معناها ان تجعل قدمك عزيزة في بيت الله (ام٢٥: ١٧) او تسير اليه ببطء كمن لا يريد الاقتراب من الله ، بل ان « تنتبه الى خطواتك ، وتمهد سبيل رجلك» ام ١٤ : ١٥ ، ٤ : ٢٦ لئلا تخطو خطوة في غير موضعها . أهب نفسك لعبادة الله بكل ترو وامهال وأصرف وقتاً طويلا فى الاستعداد لها ، ولا تأتها بعجلة وتسرع لان ذلك يعد « استعجالا بالرجلين » ام ١٩ : ٢ . احفظ عقلك من ان ينشغل بافـكار العالم وعواطفك من ان

تتسرب اليها أي روح غريبة لان فى عبادة الله ما يكفي ليشغل الانسان بكل افكاره وحواسه .

ويظن البعض ان هذه تشير الى امر الله لموسى ويشوع ان يخلعا حذاءهما من رجليهما (خر ٣ : ٥ ، يش ٥ : ١٥) علامة للخضوع والاحترام . فاحفظ قدمك طاهرة خر ٣٠ : ١٩

(٢) وعلينا أن نحترس فى تقديم الذبيحة لئلا تكون « ذبيحة الجهال » (أو الاشرار لانهم هم الجهال وذبيحتهم مكرهة الرب ام ١٥ : ٨) ، وأن لا نقرب الاعرج والسقيم للذبيحة لاننا ان كنا قد أخبرنا صريحاً ان الله لا يقبلها مل ١ : ١٣ ؛ لا ٢٢ : ٢٠ ـ ٢٢ فمن الجهل ان نقربها ، وأن لا نتكل على ظواهر تلك الطقوس والرسوم وعلى مجرد ممارستها ظاهرياً دون فهم معانيها والتعمق في روحانيتها لانها ان قدمت على هذا الوجه عدت « ذبيحة الجهال » . ان أعمال الجسد لا تعد الا هزءاً وسخرية ان اتكلنا عليها وحدها كأنها هى الكل فى الكل ، والجهال هم الذين يظنون انهم بها يستطيعون أن يرضوا الله الذى هو روح والذى لا ينظر الا للقلب

انهم جهال « لانهم لا يبالون بفعل الشر » (أو لا يعرفون بانهم يفعلون الشر) . انهم يظنون انهم يؤدون لله ولانفسهم خدمة عظيمة بعبادتهم المملوءة رياء ونفاقاً فى حين انهم يهينون الله بها ويخدعون انفسهم . قد يكون الناس يفعلون الشر حتى فى الوقت الذى يدعون فيه انهم يفعلون الخير ، وبينما لا يعرفون انهم

يفعلون الشر .

وقد وردت هذه العبارة فى بعض النسخ بصورة ثالثة «لانهم لا يعرفون الا فعل الشر» . فالعقول المظلمة الفاسدة لاتختار الا الشر حتى في أعمال العبادة .

أو « لا يبالون بفعل الشر » فهم يأتون أعمالهم بكل جرأة ومخاطرة ولا يبالون ان كانوا مصيبين أو مخطئين ، أو ان كانت أعمالهم ترضى الله أو تغضبه ، فالكل في نظرهم على حد سواء

(٣) ولكي لانقدم « ذبيحة الجهال » يجب علينا ان نذهب الى بيت الله بقلوب ملؤها معرفة الواجب عليه واتمامه. يجب علينا « الاستماع » (أو الاستعداد للسمع) اى :—

---

١ . ـ يجب ان نصغى لكلمة الله التي تقرأ ويكرز بها على مسامعنا . كن « مسرعاً في الاستماع » يع ١ : ١٩ في استماع تفسير الكهنة للذبائح وشرح معانيها والقصد من تقديمها ، ولا تظن انه يكفيك ان تنظر الى مايفعلون،لان الذبيحة المقبولة هى « العبادة العقلية »رو ١٢ : ١ والا صارت « ذبيحة الجهال »

٢ . ـ وان نعزم على اتمام ارادة الله المعلنة لنا فى كلمته . كثيراً ما استعملت لفظة « الاستماع » لتعبر « عن الطاعة » ومن هذه الوجهة « فالاستماع أفضل من الذبيحة » ١ صم ١٥ : ٢٢ ، اش ١ : ١٥ و١٦ . ان اول شرط مطلوب في العبادة هو ان نأتي اليها بذلك القلب الذي يقول « تكلم يارب لان عبدك سامع » . قال أحد القديسين : لتأت الي كلمة الله وان كان لدي ستمائة شخص

لاخضعت رقابهم جميعا تحت نيرها وسلطانها .

(٤) ويجب ان نكون في غاية الحذر والانتباه كلما اقتربنا من الله وكلما أردنا مناجاته ع ٢ : « لا تستعجل فمك » في الصلاة أو الوعد بالنذر أو في أي أمر خطير ، « ولا تسرع قلبك الى نطق كلام قدام الله » .

(ملاحظات) ١ . ـ عند ما نكون في « بيت الله » وفي أماكن العبادة لنتذكر بنوع خاص باننا موجودون « قدام الله » وفي حضرته، لانه قد وعد شعبه بان يلتقي بهم هنالك، وهنالك يضع عينه علينا ولذلك يجب أن تتجه أنظارنا نحوه

٢ . ـ وعند ما نقترب من الله في عبادتنا لابد أن يكون لدينا « كلام ننطق به قدامه » لانه هو الهنا ونحن شعبه ولنا معه أعمال هامة . فان أتينا أمامه فارغين — من أى كلام نقوله — خرجنا من امامه فارغين ـ من أي بركة .

٣ . ـ وما ننطق به قدامه ينبغي ان يكون خارجاً من قلوبنا ولذلك يجب ان لا نستعجل أفواهنا وان لا يسبق لساننا افكارنا، بل يجب ان تكون أقوال فمنا نتيجة أفكار قلبنا مز ١٩ : ١٤ . ان الافكار هي كلمات تنطق بها قلوبنا لله فان لم تكن كلماتنا صورة طبق الاصل لتلك الافكار صارت هباءاً منثوراً . وكلمات الفم مهما كانت منمقة ومزوقة فهي باطلة ان اركتنا عليها وحدها مت ١٥ : ٨ و ٩

٤ . ــ وفوق كل ذلك لا يكفي ان تكون كلماتنا خارجة من القلب بل من قلب متعقل مترو لا من قلب متسرع أو من عواطفنا. وكما يجب على الفم ان لا يستعجل كذلك يجب على القلب ان لا يتسرع. ويجب علينا أن لا نفكر فقط قبل التكلم بل ان نفكر مرة واثنتين ، سواء تكلمنا عن لسان الله في الوعظ والكرازة أو لله في الصلاة ، ولا ننطق بكلام غير لائق أو غير مفهوم ١ كو ١٤ : ١٥

(٥) ويجب ان نقلل من كلامنا فى حضرة الله، اى نتروى فى كل ما نقول ، ولا نكلم الله بجسارة واهمال كما نكلم بعضنا البعض؛ ولا ننطق بكل ما يأتي على ألسنتنا ، ولا نكرر الكلام كما نفعل مع بعضنا لكي يفهم محدثونا كلامنا ويتذكروه ويكون له تأثير خاص فيهم ، كلا ! بل لنتذكر ونحن نكلم الله :

١ . ــ ان بيننا وبينه فرق شاسع : «فالله في السموات» حيث يملك بمجده علينا وعلى كل بني البشر ، وحيث تحف به جماعة من الملائكة الاطهار لا حصر لعددها ، وحيث يجلس « متعاليا على كل بركة وتسبيح » نح ٩ : ٥ . اما نحن « فعلى الارض » موطىء قدميه . نحن محتقرون وادنياء ، ولا وجه للشبه بيننا وبين الله ، ولا نستحق عطفه علينا ومحبته لنا وشركتنا معه . لذلك فلنمثل امامه بكل رهبة وخشوع وخضوع ونكلمه بغاية الاحترام والاجلال كما نفعل مع رؤسائنا الارضيين العظماء ،

« فلذلك لتكن كلماتنا قليلة » علامة على ذلك الاحترام ، ولنحسن اختيار كلماتنا التى ننطق بها امامه أي ٩ : ١٤

وليس هذا معناه القضاء على كل صلاة طويلة . كلا ! فلو لم تكن الصلوات الطويلة نافعة وضرورية لما استعملها الفريسيون للادعاء بالتقوى . ولما قضى المسيح الليل كله في الصلاة ، ولما امرنا بالمواظبة على الصلاة رو ١٢ : ١٢ ، كو ٤ : ٢ . بل معناه القضاء على الصلوات التى تخرج من قلوب غير واعية او يقظة ، وعلى تكرار الكلام باطلا مت ٦:٧ . لنتكلم لله وعن الله بكلماته هو ، بكلمات الانجيل ؛ ولتكن كلماتنا نحن التى نقتبسها من لغتنا قليلة بقدر الامكان لئلا نركب متن الشطط في النطق بها

٢ . ـ وان كثرة الكلام في عبادتنا تجعلها « ذبيحة الجهال »

ع ٣ . وكما ان الاحلام المضطربة والمزعجة التي تقلق راحة الانسان فى نومه تكون عادة علامة على كثرة ارتباك عقله بمشاغل كثيرة كذلك تكون كلماتنا الكثيرة التي نتعجل فى النطق بها في الصلاة علامة على كثرة الغباوة التى تتملك على القلب وعلى جهلنا بمقام الله ومركزنا نحن الوضيع ، وعلى عدم احترامنا لله الاحترام اللائق وقلة اكتراثنا بانفسنا .

وحتى فى الحديث الاعتيادى يعرف الجاهل « من كثرة الكلام » فالذين يعرفون قليلا هم الذين يتكلمون كثيراً وخصوصاً فى العبادة . على انه لاشك في أن « غبي الشفتين يصرع » ام ١٠ :

٨ و ١٠ فما اكثر غباوة الذين يظنون انهم « بكثرة كلامهم يستجاب لهم » مت ٦:٧

ooOoo

٤ اذا نذرت نذراً لله فلا تتأخر عن الوفاء به . لانه لا يسر بالجهال . فاوف بما نذرته ـ ٥ ان لا تنذر خير من ان تنذر ولا تفي ـ ٦ لا تدع فمك يجعل جسدك يخطئ . ولا تقل قدام الملاك انه سهو . لماذا يغضب الله على قولك ويفسد عمل يديك ـ ٧ لان ذلك من كثرة الاحلام والاباطيل وكثرة الكلام . ولكن اخش الله ـ ٨ ان رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل في البلاد فلا ترتع من الامر . لان فوق العالي عالياً يلاحظ والاعلى فوقهما .

يقدم لنا سليمان في هذه الاعداد اربع نصائح : —

(الاولى) الامانة في ايفاء النذر

(١) ان النذر رباط للنفس عد ٣٠ : ٢ . فبه لا ترتبط نفوسنا

بوجه عام لاتمام الواجب عليها فقط بل ترتبط أيضاً بوجه خاص ببعض رباطات لم نكن مرتبطين بها من قبل سواء أكانت لغرض تمجيد الله أو لنشر ملكوته بين البشر . فإن جزت في ضيقة مز ٦٦ : ١٤ أو كنت ترجو رحمة أو بركة ١صم ١ : ١١ « ونذرت نذراً لله » كهذا فاعرف انك قد « فتحت فمك الى الرب ولا يمكنك الرجوع » قض ١١ : ٣٥ . وكذلك . —

١ . ـ فاوفه ، وتمم وعدك ، . ان لله ما قد كرسته له « اوف بما نذرته » ، أوفه بالكامل ولا « تختلس جزءاً من الثمن » اع ٥ : ٢ . أوفه بعينه « ولا تغيره أو تبدله » بشيء اخر كما يأمر الناموس لا ٢٧ : ١٠ . هل اننا نذرنا بأن « نعطي انفسنا للرب؟ » ٢ كو ٨ : ٥ فلنوف نذرنا ولنقم بخدمة الله ولنعمل على تمجيد اسمه

٢ . ـ « لاتتأخر عن الوفاء به » فان كان في استطاعتك ايفاءه اليوم لا تؤجله الا الغد . لا تتأخر عن الوفاء به ولو يوماً واحداً ، ولا تؤجله لظرف انسب . ان الشعور بالضرورة والالزام يفتر ويبرد بسبب التأخير بل يكون عرضة لان يتلاشى ، لاننا بالتأخير نوجد لانفسنا طريقة للتخلص من النذر ، فالمثل اللاتيني يقول من لم يوجد في نفسه الميل اليوم ستكون حالته اسوأ في الغد . وكلما زادت مدة التأجيل كلما زادت الصعوبة على النفس لاتمام ما قد تأجل .

(٢) بعد ذلك يقدم لنا سببين لضرورة سرعة ايفاء النذر

بابتهاج وفرح . —

١ . — لاننا ان فعلنا غير ذلك اسأنا الى الله ، لاننا لانعتبر الا كمازحين عليه ولانحسب الا جهالا وهو « لايسر بالجهال »

وهذا مانفهمه ضمناً من هــذه العبارة ، لانها لاتقول صريحاً بان في جهالتنا اساءة أو اهانة لله ، بل ان مضمونها ان الله يكره تصرفاتهم الغبيه كراهة شديدة . « لا تضلوا . الله لايشمخ عليه » غل ٦:٧ بل هو سينتقم انتقاماً مريعاً من أولئك الذين يشمخون عليه ويسخرون به

٢ . — ولاننا ان فعلنا غير ذلك أسأنا الى انفسنا، لاننا نخسر فائدة النذر بل نجلب على انفسنا قصاصاً بسبب عدم ايفائه . ولذلك نخير لناجداً «ان لا ننذر » وأسلم عاقبة « من ان ننذرولانفي ».

لان عدم النذر ان عد خطية فما هي الا خطية اهمال أما عدم ايفاء النذر فهو خيانة وحنث وكذب على الله اع ٥ : ٤ .

(ثانياً) شدة الحذر في انذار النذر . وهذا أمر لازم لنا جداً ان اردنا ان نكون أمناء في ايفاء النذر ع ٦.

( ) فلنحذر لئلا ننذر نذراً تنجم عنه الخطية اما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . ونذر كهذا قد اسيء التصرف من نحوه ينبغي ان لايتمم . « لاتدع فمك يجعل جسدك يخطىء » بنذر من

هذا القبيل كوعد هيرودس الذى وعده بعجلة وتسرع فاضطره لقطع راس يوحنا المعمدان

(٢) ولنحذر لئلا ننذر مانظن اننا لن نستطيع ايفائه بسبب ضعف الجسد كمن ينذرون انفسهم لعيشة العزوبة (عدم التزوج) ولا يستطيعون ايفاء نذرهم لانهم بذلك :ـ

١ . ـ يخجلون انفسهم اذ انهم يضطرون « القول قدام الملاك انه سهو » أي انهم لم يقصدوا ماقالوه أو لم يكونوا يعرفون عواقبه، على انهم مهما حاولوا الاعتذار فعذرهم أقبح من الذنب. ان أنذرت نذراً فلا تحاول التنحى عنه ولا تلتجىء الى الاعتذارات التي تخلصك من رباطاته، « لاتقل قدام الكاهن » (الذى يدعى ملاك الله رؤ ٢ : ١ ورسول رب الجنود مل ٢ : ٧) انك قد راجعت فكرك فغيرت رأيك وعدلت عن ايفاء نذرك ، بل تمسك به ولا تحاول التخلص منه .

يظن البعض ان المقصود بالملاك هنا هو الملاك الحارس الذى يقولون عنه انه يلازم كل شخص ليراقب كل حركاته . والآخرون يظنون انه هو المسيح « ملاك العهد » الحال وسط شعبه فى اجتماعاتهم ، والفاحص أعماق القلوب. « فاحترز منه ولا تتمرد عليه لان اسم الله فيه » ولانه قاس وغيور خر ٢٣ : ٢٠ و ٢١

٢ . — ويعرضون انفسهم لغضب الله، فانه « يغضب على قول » أولئك الذين « يخادعونه بافواههم ويكذبون عليه بالسنتهم » مز ٧٨ : ٣٦ ويهيج سخطه على ريائهم « فيفسد عمل ايديهم » أى يصير كل مساعيهم أدراج الرياح ويلاشى كل مقاصدهم

وآمالهم التي كانوا يؤملون انفسهم بها عند انذار نذورهم . فان كنا نمحو كلام أفواهنا ونحنث في وعودنا فقصاص الله العادل هو أن يلاشي كل مقاصدنا لان « كل من يسلكون معه بالخلاف يسلك هو ايضاً معهم بالخلاف » لا ٢٦ : ٢١ و٢٤ . « هو شرك للانسان ان يلغو وبعد النذر ان يسأل » ام ٢٠ : ٢٥

(الثامن) التمسك بخوف الله ع ٧ . كان يدعي الكثيرون منذ القديم انهم يعرفون فكر الرب « باحلام » حتى انهم كانوا في غالب الاحيان يجعلون شعب الله ينسى اسمه باحلامهم ار ٢٣ : ٢٥ و ٢٦ . وفى هذه الايام نرى الكثيرين يربكون انفسهم باحلامهم المخيفة أو الغير المألوفة أو باحلام الاخرين ، كأنهم ينبئون بتلك الاحلام بما سيحل من المصائب والضيقات في المستقبل. أن اولئك الذين يهتمون بالاحلام يملأون عقولهم بها ويرون كثيراً منها ، على انهم لايجدون في « كثرة الاحلام » سوى « كثرة الاباطيل » كما ان محبي « كثرة الكلام » لايجدون فيها سوى كثرة الاباطيل أيضا . ان الاحلام ليس مثلها سوى مثل احاديث الاطفال والجهال التي لاترجى فائدة منها ، ولذلك فلا تقم لها أقل وزن بل تناساها ، وبدلا من ان ترددها اهملها ولا تعلق عليها اهمية ولا تستخلص منها اي استنتاج ، « ولكن اخش الله » ضعه نصب عينك وابق فى محبته واحذر لئلا

تغضبه ، وحينئذ تكون فى مأمن من تلك الاحلام السخيفة . ان الطريقة الوحيده لعدم الارتعاب من آيات السموات وعدم الخوف من الهة الوثنيين هى خوف الله ملك كل الشعوب ار ١٠ : ٢ و ٥ و ٧

(الرابعة) عدم الخوف من البشر ٨ . ضع الله نصب عينيك وبعدئذ « ان رأيت ظلم الفقير فلا ترتع من الامر » او تندهش له ولا تنسب ذلك للعناية الالهيـة جلت وعلت ، ولا تسيء الظن في نظام اقامة الحـكام عندما ترى ان الغاية التى لاجلها وضع هذا النظام قد فسدت هكذا ، ولا تسيء الظن في التقوى عند ما ترى انها ليست بكافية لاخلاء المتمسكين بها من مظالم هذه الحياة . لاحظ هنا . —

(١) منظراً محزناً على الارض . وهذا المنظر لا شك يضايق روح كل شخص صـالح يحب الحق ويهتم بالبشرية . فـكيف لا يكتئب وتضايق روحه الطاهرة الشريفة عند ما يرى « ظلم الفقير » لا لذنب جناه سوى انه فقير ولا يستطيع الدفاع عن نفسه ، وعند ما يشاهد « نزع الحق والعدل في البلاد » عند ما يلاحظ الظلم يجرى تحت ستار القانون ومدعماً بالقوة والسلطان. قد يكون في البلاد حكومة صالحة بوجه عام ، ولـكن قد يحدث ان توكل ادارة بعض « البلاد » في تلك المملـكة الى أيد فاسدة

فتعمد الى « نزع الحق » . خري بالملوك العقلاء ان لا يقيموا في المناصب الرفيعة سوى أحكم الرجال وأشرفهم .

(٢) منظراً معزياً في السماء . اننا ان رأينا كل هذه الظلمات تغطى وجه الارض نستطيع ان نعزى أنفسنا بالتأمل فى الامور الآتية : —

١ . ـ ان الظالمين ولو كانوا متعالين الا ان الله فوقهم « لان فوق العالي عالياً » و« في الشيء الذى يبغون به يكون عليهم » خر ١٨ : ١١ . ان الله متعال فوق أعلى الخلائق وأعلى الرؤساء والملوك ، وفوق الملك الذى هو أعلى من أجاج عد ٢٤ : ٧ ، وفوق أعلى الملائكة ، فوق عروش وسيادات السماء . ان الله هو « وحده العلي على كل الارض » مز ٨٣ : ١٨ « ومجده فوق السموات » مز ١١٣ : ٤ ، والملوك امامه كالدود الحقير .

٢ . ـ ان الظالمين ولو كانوا آمنين الا ان عين الله عليهم ، تراقبهم وتلاحظ تغييرهم ونزعهم للحق ، فهو « يلاحظ » أي لا يرى افعالهم فقط بل يلاحظها ويسجلها عليهم حتى يناقشهم فيها الحساب ، « فعيناه على طرقهم » أي ٢٤ : ٢٣

٣ . ـ ان هنالك عالم ملائكة ، لان هنالك « أعلى فوقها » . هذه الملائكة يستخدمها العدل الالهى لحماية المظلومين وقصاص الظالمين . كان سنحاريب يفخر بجيشه القوى ولكن ملاكا واحداً انتصر عليه وعلى كل جيشه .

يظن البعض ان المقصود «بالاعلى فوقهما» مجلس الامة الاعظم الذي اليه تؤدى الرؤساء الحساب دا ٦ : ٢ ، او مجلس الاعيان الذى ينظر في ما يجريه الولاة من المظالم والمساوىء ، أو المحا كم العليا التى اليها تستأنف القضايا التي لم تفصل فيها المحا كم الادنى بالعدل ، كل هذه أمور لازمة لحسن ادارة المملكة .

فلير تدع من ذلك الظالمون عالمين انهم ان نجوا من رؤسائهم الارضيين فلن يفلتوا من يد الله الاعلى فى السموات

○○○○○○

٩ ومنفعة الارض للكل . الملك مخدوم من الحقل - ١٠ من يحب الفضة لا يشبع من الفضة ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل . هذا أيضاً باطل - ١١ اذا كثرت الخيرات كثر الذين يأكلونها وأي منفعة لصاحبها الا رؤيتها بعينيه - ١٢ نوم المشتغل حلو ان أكل قليلا أو كثيراً ووفر الغني لا يدعه حتى ينام - ١٣ يوجد شر خبيث رأيته تحت الشمس . ثروة مصونة لصاحبها لضرره - ١٤ فهلكت تلك الثروة بامر سيىء ثم ولد ابنا وما بيده شيء - ١٥ كما خرج من بطن أمه عريانا يرجع ذاهبا كما جاء ولا يأخذ شيئاً من

تعبه فيذهب به في يده - ١٦ وهذا أيضاً مصيبة رديئة .
في كل شيء كما جاء هكذا يذهب فأية منفعة له للذى تعب
للريح - ١٧ أيضاً يأكل كل أيامه في الظلام ويغتم كثيراً مع
حزن وغيظ

أظهر سليمان فيما مر بنا بطلان الملذات والمسرات العالمية والاعمال والفنون الجميلة والكرامة والسلطان وامجاد الملوك . وقد يوافقه الكثيرون من محبي العالم على احتقار تلك الامور ولكنهم يتخيلون ان المال شيء رئيسي ولازم وان سعادة الانسان تتوقف على مقدار ما يحصل عليه منه . أما سليمان فنراه في هذه الاعداد يحاول اصلاح هذا الزعم الفاسد فيبين ان في كثرة الغنى كثرة البطلان ، وان ما يتخلل شهوة العيون من البطلان هو نفس ما يتخلل شهوة الجسد وتعظم المعيشة ، وان الانسان ان يستطيع اسعاد نفسه بكنز الثروة كما يسعدها بانفاقها

(اولا) انه يسلم ان محصولات الارض أشياء نافعة لانها هى قوام الحياة البشرية ع ٩ : « ومنفعة الارض للكل » .

ان جسم الانسان مأخوذ من الارض لذلك فقوامه من الارض اى ٢٨ : ٥ . وانه من احسان الله على الانسان انه لم يجعل مسكنه في الرمضاء (أو الارض القاحلة) وقوامه منها بسبب تمرده مز ٦٨ : ٦ .

توجد منفعة فى الارض ، وهذه للكل . فالكل يحتاجون اليها ، وهى قد قصد بها أن يستفيد منها الكل ، وهى كافية للكل. انها ليست لكل البشر فقط بل لكل المخلوقات الارضية. فالارض التى تنبت عشباً للبهائم هى نفسها التي تنبت خضرة لخدمة الانسان مز ١٠٤ : ١٤ . كان الاسرائيليون يحصلون على طعامهم من السماء وهو خبز الملائكة (خر ١٦ : ٤ ، مز ٧٨ : ٢٤ و٢٥) أما نحن ففي الارض قوامنا ، ومعنا تشترك البهائم في هذا الشيء الواحد . فليكن ذلك مذلا لنا ومخضعاً لكبرياء نفوسنا .

ان « الملك نفسه مخدوم من الحقل » وبدون محصوله يهلك جوعاً . وهذا مما يشرف عمل الفلاحين والمزارعين ، فعملهم من ألزم الامور لقوام حياة الانسان . فالجميع يشتركون فى فائدته والعظماء لايستطيعون الاستغناء عنه ، ولذلك فهو « للكل » ، هو للملك نفسه . فليتذكر من توفرت لديهم ثمار الارض انها « للكل » ، ولذلك فليوقنوا انهم ليسوا الا وكلاء عليها ، وان الواجب يقضى عليهم بان يوزعوا منها على المحتاجين . ان الاطعمة الفاخرة والثياب الناعمة لاتعطى الا للبعض فقط ، أما ثمار الارض فللكل . وحتى أولئك الذين « يرتضعون من فيض البحار » تث ٣٣ : ١٩ لايستطيعون الاستغناء عن ثمار الارض ، في حين ان الذين ينالون قسطاً وافراً من ثمار الارض يمكنهم الاستغناء عن فيض البحار

(ثانيا) وهو لايزال يصرح بان الثروة التى يقتنيها الانسان

ليكنزها دون أن ينتفع منها « باطل أيضاً » ولا تستطيع اراحة الانسان أو اسعاده . وما قاله مخلصنا بان حياة الانسان ليست من أمواله (لو ١٢: ١٥) يثبته هنا سليمان بعدة براهين

(١) فكلما كثرت ثروة الانسان كلما اشتدت رغبته فى الحصول على المزيد ع ١٠ . فقد يحصل الانسان على فضة قليلة ويقنع بها ولا يطمع في اكثر منها. « ان التقوى مع القناعة تجارة عظيمة » (أو ربح عظيم) ١ تى ٦ : ٦ . قال يعقوب « لي كل شيء » تك ٣٣:١١ وقال القديس بولس « قد استوفيت كل شيء واستفضلت » فى ٤ : ١٨ ولكن : —

١ . — « من يحب الفضة » ويفرغ لها كل قلبه لا يشعر ابداً انه قد حصل على كفايته منها بل « يوسع نفسه كالهاوية » حب ٥:٢ « ويصل بيتاً ببيت ويقرن حقلا بحقل » اش ٨:٥ ويصرخ على الدوام كالعلوقة قائلا « هات هات » ام ٣٠ :١٥. ان الرغبات الطبيعية تشبع وتكتفي متى حصلت على غرضها ، أما الرغبات الفاسدة فلن يمكن اشباعها . والطبيعة تكتفى بالقليل ، والنعمة تكتفى باقل ، أما الشهوة فلا تكتفى بشيء .

٢ . — ومن توفرت لديه الفضة وكثرت لا يجد لنفسه فيها راحة . توجد بعض شهوات جسدية لا تستطيع الفضة اتمامها ، فان شعر الانسان بالجوع مثلا لا تستطيع الفضة ذاتها (اي مادتها) اشباعه فهى لا تفضل في هذا الوقت عن كتلة من الطين أو كمية من تراب الارض . كذلك لن تستطيع الثروة أو كل مقتنيات

العالم اشباع الرغبات الروحية . ومن توفرت لديه الفضة يطمع في المزيد لا من الفضة فقط بل من أنواع أخرى من الثروة . فمن يجعلون أنفسهم عبيداً للعالم يصرفون كل مجهوداتهم « وتعبهم لغير شبع » اش ٥٥ : ٢ للحصول على ما يملأ البطن دون أن يملأ النفس حز ٧ : ١٩

(٢) وكلما كثرت ثروة الانسان كلما اتسعت امامه فرص استعمالها وكلما كثرت لديه الاعمال التى ينفذها بها ، فبمقدار عظمة طولها بمقدار عظمة عرضها ايضاً . « اذا كثرت الخيرات كثر الذين يأكلونها »

ع ١١ . فان نمت الثروة نما عدد العائلة في نفس الوقت وكبر أولادها سناً فعظمت حاجياتهم . وان كثرت خيرات الانسان تطلب منزلا افخم ليسكنه وخدم اكثر عدداً ليستخدمهم وكثر زائروه والفقراء الذين يطلبون منه الاحسان وكثر الذين يعولهم « لانه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور » مت ٢٤ : ٢٨

(٣) وكلما كثرت ثروة الانسان كلما كثر اهتمامه بها ، الامر الذي يوقعه في ارتباك شديد ويقلق راحته ع ١٢ . ان النوم الهادىء المستريح لا يقل اهمية عن الطعام من جهة قوام الحياة وراحتها . والآن نرى : —

١ . ـ ان الذين يشتغلون بكد وجد ويحصلون على غرضهم من عملهم هم الذين ينامون ذلك النوم الهادىء المستريح . « نوم المشتغل حلو » لا لانه قد اجهد نفسه وأتعبها فى الشغل

فقط ، الامر الذى يجعله يستقبل النوم بفارغ الصبر ويجعله يستغرق

في نومه ، بل لانه لايجد مايشغل باله ويقلق راحته في نومه . ان نومه حلو ، ولو انه « لايأكل الا قليلا » ولا يملك سوى القليل ليأكله ، لان النوم يغلب عليه بسبب التعب . ومن الوجهة الاخرى لو « اكل كثيراً » يكون نومه حلواً لان عمله يساعد على حسن الهضم . كذلك نستطيع القول من الوجهة الروحية ان نوم المسيحي المجتهد في شغله الروحي حلو ، اي نومه الطويل بعد مفارقته الحياة ، لانه بعدان يقضي حياته وكل وقته في خدمة الله يستطيع ان يعود لله بكل فرح وسرور ويستريح فيه كوضع راحته

٢ . ــ ان الذين يحصلون على كل مقتنيات الحياة قلما يتمتعون بنوم هاديء مريح « ووفر الغني لايريحه حتى ينام » . فاما ان تظل عيناهم مستيقظتان او يكون نومهم متقطع فلا يشعرون بشيء من الراحة فيه . وان وفرهم هو الذي يزعجهم في نومهم ، اي وفر اهتمامهم كذلك الغني الذي لما اخصبت كورته بدأ يفكر فيما يعمله لو ١٢ : ١٧ ، ووفر ما يأكلون ويشربون الذي يحمل المعدة فوق طاقتها فيسبب لهم الامراض التي تمنع عنهم الراحة . فاحشويرش لم يستطع النوم بعد تلك الوليمة التي اولمها . وربما يكون العامل الاكبر في عدم تمتع هذا الصنف من الناس بالراحة في نومهم هو شعورهم بالخطية في طريقة الحصول على ما امتلكوا وطريقة اتفاقه . على ان الله « يعطي حبيبه نوماً » مز ١٢٧ : ٢ .

(٤) وكلما كثرت ثروة الانسان كلما كثر تعرضه للخطر ، سواء في الاساءة به للآخرين أو في وقوع الاساءة عليه هو نفسه ع ١٣ : « يوجد شر خبيث » قد رآه سليمان بنفسه « تحت الشمس » في هذا العالم الذي ليس هو الا بمثابة مسرح للخطية والبلايا ـ ذلك الشر هو « ثروة مصونة لصاحبها » عمل كل ما في استطاعته لحفظها وصيانتها ، ولكنها كانت « لضرره » فهو بدونها يكون أوفر وأسعد حظاً .

١ . ـ فثروته تكون « لضرره » لانها تصيره متكبراً ومطمئناً ومحباً للعالم ، وتبعد قلبه عن الله ، وتقف حائلا بينه وبين اتمام واجبه وتصير دخوله ملكوت السماوات أعسر من مرور الجمل من ثقب ابرة .

٢ . ـ وهو يحدث الضرر بثروته . فهي لا تكتفي بان تجعله مترفهاً ومحباً لاتمام كل شهواته ، بل تفتح في وجهه السبيل لظلم الآخرين ومعاملتهم بالقسوة .

٣ . ـ وهو طالما وطد دعائم الضرر بثروته . فهو لولم يكن غنياً لما حسده الناس ولما فكر اللصوص في سرقته والاساءة اليه . والثور المعلوف الثمين هو الذي يؤخذ اولا للذبح . وقد لاحظ احد الباحثين المدققين بانه ان صدر عفو عام في بلد سواء من الوجهة المالية أو من جهة الحياة نفسها قد يستثني من ذلك العفو الاغنياء لمجرد غناهم وثروتهم الطائلة . فمن كل ذلك نرى ان الثروة

« تأخذ نفس مقتنيها » ام ١ : ١٩

(٥) وكلما كثرت ثروة الانسان كلما كثرت خسارته وربما خسرها جميعها ع ١٤ . « فتلك الثروة » التى لم يحصل عليها الا بمجهود عظيم ولم يحتفظ بها الا بعناية فائقة « تهلك بأمر سيء » (او بعمل سيء) بنفس تلك المجهودات والعناية التى تكبدها للاحتفاظ بها وتنميتها . فكم من الاغنياء قد فقدوا ثروتهم بسبب شدة اهتمامهم بتنميتها . ان الثروة أشياء هالكة ومهما عظم اهتمامنا بها فلن يخليها من هذه الصفة ، لانها « تصنع لنفسها أجنحة فتطير » ام ٢٣ : ٥

ومن يظن في نفسه انه يجب ان يجعل ابنه فى أرفع الدرجات واسماها قد لا يتركه الا أفقر الناس . « ثم ولد ابناً » ورباه على ذلك الامل بان يترك له ثروته الطائلة ، ولكنه عند ما يموت يترك تلك الثروة مثقلة بالديون ولذلك فلا يبقى في « يده شيء » . وهذا هو ما يحصل في أغلب الاحيان ، فالثروة التي تظهر بمظهر عظيم طالما خدعت وارثها وخيبت آماله بعد موت صاحبها

(٦) ومهما كثرت ثروة الانسان فلابد من ان يتركها كلها بعد موته ع ١٥ و١٦ : « كما خرج من بطن أمه عريانا يرجع ذاهباً كما جاء » وغاية ما في الامر ان اصدقاءه يسترونه باكفان الموت عند خروجه من هذا العالم رحمة به كما ستروه بالاقمطة واللفائف عند ولادته اشفاقاً عليه . انظر اى ١ : ٢١ ، مز ٤٩ : ١٧ . وهذا

يجب ان يكون باعثاً لنا على الاكتفاء بما لدينا من حاجيات هذا العالم ١ تي ٦ : ٧ .

ان كان من جهة الجسد فلا بعد ان نعود كما أتينا ، فالتراب يعود الى الارض كما كان . اما من جهة الروح فياله من أمر محزن لو كانت تعود كما أتت ، لاننا في الخطية قد ولدنا فلو متنا في الخطية غير مبررين ومقدسين كان خيراً لنا لو لم نولد . ويظهر ان هذه هى حالة محب العالم الذى يتكلم عنه هنا لانه قيل عنه انه « فى كل شيء كما جاء هكذا يذهب » خاطئاً وشقياً .

« وهذا ايضاً مصيبة رديئة » هـذه مصيبة لمن قد أفرغ قلبه لمحبة العالم فهو « لا يأخذ شيئاً من تعبه فيذهب به في يده » وثروته لا تذهب معه الى العالم الآتى ولا تنفعه بشيء هناك . اننا ان تعبنا في الامور الروحية فان ما نحصل عليه من النعمة والسعادة من هـذا التعب نستطيع ان نحمله معنا في قلوبنا الى الابدية وهناك نتمتع به ، لان هذا هو الطعام الباقى . اما ان تعبنا للعالم فقط وملأنا أيدينا من مقتنياته فلا نستطيع ان نحملها معنا ، فنحن نولد قابضين الايدى ونموت باسطينها كأننا قد خلينا ما كنا نمسكه

وعلى ذلك فيحق لسليمان ان يطرح هذا السؤال «أية منفعة له للذى تعب للريح »

(ملاحظة) ان الذين يتعبون للعالم يتعبون للريح ، لان

كل ما في العالم كالريح باطل ولا حقيقة له ، ومتقلب ومتنقل من مكان لآخر ، ولا يشبع النفس هو ١٢ : ١ . عند ما تأتي ساعة الانسان الاخيرة ويجد ان كل اتعابه قد ذهبت ادراج الرياح ولا يعرف الى أين ذهبت فحينئذ يتحقق بانه قد «تعب للريح»

(٧) والذي يزيد غنى لا يعذب في موته فقط بل في حياته ايضاً ان وضع قلبه على غناه ع ١٧ . فذلك الشخص الجشع المحب للعالم الذي يحصر كل مجهوده في اقتناء الثروة « يأكل كل ايامه في الظلام ويغتم كثيراً مع حزن وغيظ » فهو لا يفقد لذة التمتع بثروته فقط لانه لا يأكل الا خبز الاتعاب (او الاحزان) مز ١٢٧ : ٢ بل هو ايضاً يستشيط « غيظاً » كلما رأى الآخرين يأكلون منها . وهو « يغتم كثيراً » لكثرة النفقات التي ينفقها وكأنه يود لو استطاع ان يعيش هو ومن يلوذون به بدون طعام.

وان العبارة الاخيرة لتبين لنا كيف ان ذلك الشخص العالمى الجشع لا يستطيع احتمال مصائب الحياة العادية والتي لا مفر منها . فهو ان كان فى صحة جيدة « يأكل في الظلام » لشدة غباوته الناشئة من هواجسه واهتماماته الكثيرة بثروته ، واما ان مرض فهو « يغتم كثيراً مع حزن وغيظ » (او يغتم كثيراً مع حزن في المرض) انه يغتم لان مرضه قد منعه عن عمله وصار حائلا بينه وبين الحصول على مقتنيات العالم ، يغتم لان كل ثروته لا تستطيع اراحته او نجدته ، والاعظم من ذلك انه ينزعج لدى تأمله في الموت الذي قد أنذرته به امراضه لانه سيترك وراءه

هذا العالم بكل ما فيه الذي حصر فيه كل محبته ولانه سينتقل الى عالم آخر لم يستعد له . انه لا يحزن حزناً بحسب مشيئة الله ولا يحزن حزناً للتوبة ٢ كو ٧ : ١٠ بل « يغتم كثيراً مع حزن وغيظ » يغتاظ من اعمال العناية الالهية ومن مرضه ومن كل ما حوله ، الامر الذي يضاعف هول مصائبه ، اما الرجل الصالح فيضعف تأثير هـذه المصائب ويهونها على نفسه بالصبر والفرح اللذين يلاقيها بهما

---

١٨ هوذا الذي رأيته انا خيراً الذي هو حسن. ان يأكل الانسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه الذي يتعب فيه تحت الشمس مدة ايام حياته التي أعطاه الله اياها لانه نصيبه ـ ١٩ أيضاً كل انسان اعطاه الله غنىً ومالاً وسلطه عليه حتى يأكل منه ويأخذ نصيبه ويفرح بتعبه فهذا هو عطية الله ـ ٢٠ لانه لا يذكر ايام حيـاته كثيراً لان الله ملهيه بفرح قلبه .

بعد ان بين سليمان بطلان كنز الثروة نراه يستنتج من ذلك هنا ان افضل طريق نسلكه هو ان نحسن استعمال ما تصل اليه

ايدينا من ثروة ، ان نخدم بها الله ونفعل بها الخير ، وننتفع بها نحن وعائلاتنا . وقد سبق له ان وضح ذلك في ص ٢ : ٢٤ ، ٣ : ٢٢ . لاحظ هنا : —

(١) ان سليمان يسدى الينا نصيحة بان لا نتمم شهوات الجسد ولا نرضى بالملذات الحاضرة نصيباً لنا بل لنستعمل بكل تعقل واعتدال ما خصتنا به العناية الالهية منها لعبور بحر هذا العالم بكل راحة وأمان . يجب ان لا نهلك انفسنا جوعاً بسبب الطمع او بسبب شدة اهتمامنا بالامور العالمية ، بل « لنأ كل ونشرب » ما يحفظ أجسادنا في حالة جيدة تعين النفس على خدمة الله . يجب ان لا نقتل أنفسنا من كثرة التعب وبعدئذ نترك الاخرين « يرون خيراً من كل تعبنا » بل لنتمتع بما قد تعبت فيه ايدينا ، لا برهة وجيزة او من حين لآخر ، بل « مدة ايام حياتنا التى اعطانا الله اياها » . ان الحياة هبة من الله ، وهو قد عين لنا عدد ايام حياتنا اى ١٤ : ٥ ، لذلك فلنقض هذه الايام فى عبادة وخدمة الرب الهنا بفرح وبطيبة قلب تث ٢٨ : ٤٧ . يجب ان لا نؤدى عملنا كعبيد لذلك العمل بل « لنفرح بتعبنا » ، وان لا نحاول السعى وراء اعمال أخرى فوق طاقتنا بل لنفرح بما قد دعانا الله اليه ولنؤده بكل بهجة وسرور . وهـذا هو معنى ان « يفرح الانسان بتعبه » كما كان « يفرح زبولون بخروجه ويساكر بخيامه » تث ٣٣ : ١٨

(٢) ان الباعث على هذه النصيحة : —

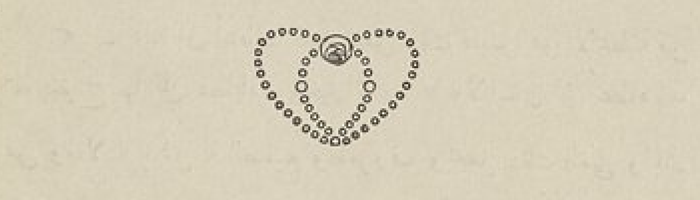
١ . ــ انه « خير .. وحسن » للمرء ان يفعل كذلك .

فاولئك الذين يحسنون استعمال ما اعطاهم الله يمجدون المعطى بعملهم هذا ، ويحققون غاية الاعطاء ، ويظهرون انفسهم مظهر العقلاء والاسخياء ، ويفعلون الخير فى العالم ، ويستخدمون ما لديهم في أحسن الوجوه ، وفي كل ذلك يجدون عزاء حقيقياً وينالون نعمة فى أعين الناس والله .

٢ . ــ ان هذا هو كل ما نستطيع ان نجده من الخير في كل الامور العالمية . فهذا هو « نصيبنا » وان فعلنا ذلك « نأخذ نصيبنا » وننال من الشر خيراً . هـذا هو نصيبنا من ممتلكاتنا العالمية . يجب ان يكون لله نصيب منها ، والفقراء يجب ان يأخذوا نصيبهم ، وعائلاتنا نصيبها ، اما هذا فهو نصيبنا ، هو كل ما نستطيع ان نناله منها .

٣ . ــ اننا ان أعطينا قلباً يفعل ذلك فليس هو الاعطية من الله يتوج بها كل عطاياه ، وخيراته . « فالانسان ان أعطاه الله غنى ومالا » يكمل له الصنيع والمعروف ويجعل ذلك الغنى والمال بركة حقيقية له اذ « يسلطه عليه حتى يأكل منه » أى يمنحه الحكمة والنعمة لينتفع هو منه ويفيد به الآخرين . وان كان « هذا هو عطية الله » وهبته « فلنجد للمواهب الحسنى » التى تمنحنا السعادة فى هذه الحياة

٤ . ــ وان هذا هو الطريق الوحيد للراحة فى هذه الحياة ولترويح عناء الحياة ومتاعبها الكثيرة عن النفس ع ٢٠ . « لا يذكر ايام حياته كثيراً » ايام احزانه وضيقاته ، ايام عمله وايام بكائه . وهو اما ان ينساها او يتناساها . فان مرت به الضيقات لا يثقل بها نفسه ، ولا يبقى مرارتها في قلبه ، « لان الله ملهيه بفرح قلبه » يعوض له عن ضيقات اعماله بافراحها ، ويكافئه عنها بان يعطيه ان يأكل من تعب يديه . حقاً ان الروح المبتهجة والفرحة بركة عظمى لانها تجعل نير اعمالنا هيناً وحمل مصائبنا خفيفاً .



الاصحاح السادس

فى هذا الاصحاح نرى : -

(اولا) ان الجامعة يستمر في اظهار بطلان ثروة هذا العالم خصوصاً عند ما يتوهم الناس ان فيها سعادتهم فيحصرون همهم فى جمعها وكنزها . ان الغنى لو اعطى للعاقل وكريم النفس صار نافعاً لقليل ، اما ان اعطي للبخيل وخسيس النفس فلا يصلح لشيء . (١) ان سليمان يتأمل اولا فيما يمتلكه شخص كهذا . فهو يمتلك ثروة طائلة ع ٢ وله اولاد يرثونها ع ٣ ويعمر طويلا ع ٣ و ٦ (٢) ثم يصف غباوته لعدم تمتعه بتلك الثروة لانه لايستطيع ان يأكل منها ، بل يدع الغرباء يبتلعونها ، ولا يشبع من الخير واخيراً لايكون له دفن ع ٢ و ٣ (٣) وهو يدعو ذلك شراً ، شراً عاماً ، باطلا ، ومصيبة رديئة ع ١ و ٢ (٤) ويفضل السقط عن انسان كهذا ع ٣ فتعاسة السقط سلبية ع ٤ و ٥ اما تعاسة البخيل المحب للعالم فايجابية فهو يعيش زمناً طويلا حتى يرى نفسه تعساً ع ٦ (٥) ويبين بطلان الثروة من وجهة الجسد فقط ، اما العقل فلا تعطيه شيئاً من الراحة ع ٧ و ٨ ، وبطلان المطامع الكثيرة التي لا حد لها التي يعذب بها الطماع نفسه ع ٩ فتلك المطامع حتى لو تممت لا يمكن ان تجعل الانسان الا انساناً ع ١٠

(ثانياً) وهو يختم هذا البحث بنتيجة صريحة واضحة هي انه من العبث ومن الغباوة ان نظن اننا نستطيع ان ننال سعادة لانفسنا من اشياء هذا العالم ع ١١ و ١٢ . فسعادتنا يجب ان تكون فى عالم آخر غير عالمنا هذا

ooo ooo

١ يوجد شر قد رأيته تحت الشمس وهو كثير بين الناس -

٢ رجل اعطاه الله غنى ومالا وكرامة وليس لنفسه عوز من كل ما يشتهيه ولم يعطه الله استطاعة على أن يأكل منه بل يأكله انسان غريب. هذا أيضاً باطل ومصيبة رديئة هو. ٣ أن ولد انسان مئة وعاش سنين كثيرة حتى تصير ايام سنيه كثيرة ولم تشبع نفسه من الخير وليس له دفن فاقول أن السقط خير منه — ٤ لانه في الباطل يجيء وفي الظلام يذهب واسمه يغطى بالظلام — ٥ وأيضاً لم ير الشمس ولم يعلم. فهذا له راحة اكثر من ذاك — ٦ وان عاش الف سنة مضاعفة ولم ير خيراً أليس الى موضع واحد يذهب الجميع.

بين سليمان في نهاية الاصحاح الماضي مقدار ما يناله المرء من الفوائد والبركات لو احسن استعمال ما يهبه الله من الخيرات؛ وهنا يبين مقدار ما يلحقه من الشر لو تصرف بعكس ذلك، كما لو ابقى ما اعطاه الله دون ان ينتفع به، او حفظه للطوارىء التي قد تحدث مستقبلا دون ان ينفقه في حاجياته الضرورية الحالية. هذا «شر قد رآه سليمان تحت الشمس» ع ١. فما اكثر

الشرور التي «تحت الشمس». يوجد عالم آخر فوق الشمس لا شيء فيه من الشر أو شبه الشر، على ان الله «يشرق شمسه

على الاشرار كما على الابرار » وهـذا مما يزيد خطية الاشرار شناعة . لقد اضاء الله لكل من اولاده سراجا ليتمم عمله في نوره اما هم فقد يخفون مواهبهم ويلاشونها بالكسل والتراخي فلا ينتفعون من ذلك النور

ان سليمان كملك قد تفقد شئون رعيته فلاحظ ذلك الشر يتفشى بينهم وايقن ان ما يلحقهم من المصائب والاضرار لا ينجم من الاسراف فقط بل ومن البخل والشح أيضاً . فكما ان الدم لو وقف في عروق جسم الانسان اصبح الموت مؤكداً كذلك لو وقفت الثروة في عروق جسم الامة ولم تأخذ حركة الدورة الدموية ساءت العاقبة .

وسليمان كواعظ (أو كالجامعة) رأى تلك الشرور التي حملت حتى يخفف من وطأتها ويحذر الناس منها ليوقفها عند حدها . كان هذا الشر في ايامه « كثيراً بين الناس » (أو عاماً) مع ان الذهب والفضة كانا متوفرين بكمية عظيمة الامر الذي قد يظنه الانسان كافياً بان يخفف من محبة الناس للغنى ، ومع ان الايام في وقته كانت ايام راحة وسلام ولم يكن منتظراً ان تقوم رحى الحرب حتى يخشى الناس عواقبها فيدخروا اموالهم لطوارىء المستقبل . على انه لن تستطيع اى قوة ان تصلح اميالنا الفاسدة من نحو العالم وما فيه من نفسها ان لم تكن مقترنة بنعمة من الله ، نعم فانه ان زاد الغنى نزداد ميلا لوضع قلوبنا عليه مز ٦٢ : ١٠

اما عن البخيل فنلاحظ هنا :—

(اولا) الاسباب الكثيرة التي تحمله على عبادة الرب بفرح وبطيبة قلب ، لانه ما اكثر الخيرات التي انعم عليه بها الله .

(١) فهو قد « اعطاه غنى ومالا وكرامة » ع ٢. ملاحظات(١) ان الغنى والمال ينيلان الانسان كرامة فى اعين الناس في غالب الاحيان. فهما ولوكانا تمثالا ، تمثالا ذهبياً الا ان كل الشعوب والامم والالسنة تخر وتسجد له دا ٣ : ٧ (٢) ان الغنى والمال والكرامة من عطايا الله . وهى لا تعطى للجميع كما يعطى المطر وضوء الشمس بل للبعض دون الاخر حسبما يراه الله مناسباً (٣) على انها تعطى لكثيرين لا يحسنون استعمالها ، لكثيرين لا يعطيهم الله الحكمة والنعمة اللازمين للتمتع وخدمة الله بها . ان هبات الله العامة تعطى لكثيرين لا تعطى لهم هباته الخاصة ، وفى هذه الحالة تكون تلك الهبات العامة للضرر اكثر منها للنفع

(٢) « وليس لنفسه عوز من كل ما يشتهيه » فقد اغدقت عليه العناية الالهية بالبركات حتى توفر كل ما كان يصبو اليه قلبه واكثر منه مز ٧٣ : ٧ . انه لا يشتهى نعمة لنفسه التي هى اثمن ما يمتلك ، ولكن كل ما يشتهيه اشباع شهواته الجسدية، وهذا يحصل عليه . فبطنه تملاء بتلك الذخائر مز ١٧ : ١٤

(٣) والمفروض ان له عائلة جسيمة « ولد مئة » ابن ، هم عماد بيته وسهام تملأ جعبته مز ١٢٧ : ٣ ـ ٥ وهم موضوع فخره وكرامته ، وفيهم يؤمل ان تدوم ذكراه ويبقى اسمه حياً بعد مماته.

انه « يشبع اولاداً » مز ١٧ : ١٤ بينما الكثيرون من اولاد الله قد كتب عليهم عدم ولادة البنين

(٤) والمفروض أيضاً انه « يعيش سنين كثيرة » وهذا ما يكمل سعادته . او بالحرى اياماً كثيرة ـ لان حياتنا تعد بالايام اكثر مما تعد بالسنين ـ حتى « تصير ايام سنيه كثيرة » . وهكذا يقضى عمره في صحة قوية حتى يظن ان ايامه تزداد شيئاً فشيئاً . بل ان المظنون انه « يعيش الف سنة مضاعفة » وهذه مدة لم نسمع عن احد انه عمرها . وجزء قصير من هذه المدة كاف لاقناع الناس من اختباراتهم بغباوة اولئك الذين يتطلبون كل الخير والسعادة من الثروة العالمية وبجهل اولئك الذين يتطلبون اي خير من تلك الثروة العالمية عن طريق اخر بغير اتفاقها

(ثانيا) عقله الضيق الذي يحمله على عدم استعمال ما يعطيه الله في الوجوه والاغراض التي لاجلها اعطى له . انه بسبب جهله وغباوته « لا يرد للرب حسبما أنعم عليه » ٢ اى ٣٢ : ٢٥ « ولا يعبد الرب الهه بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شيء » تث ٢٨ : ٤٧ . ففي يوم نجاحه تراه حزيناً . كما يقول المثل اللاتيني «لماذا تكتئب وقت السعادة والسرور» . انظر لاى حد تصل غباوته

(١) فهولا يستطيع ان يجد في قلبه مايحمله على التمتع بما قد حصل عليه . فمهما كان لديه من الطعام ومهما توفر لديه مايقتات به ومايعول به عشيرته ولكنه ليس له « استطاعة على ان يأكل منه » . فطبيعته التى تأصلت فى نفسه الا وهى طبيعة

الشح والبخل والتقتير لا تسمح له بان ينفق مالديه حتى على نفسه وعلى حاجياته الضرورية . ليس له استطاعة على ان يناقش نفسه الحساب على هذه الغباوة ويتخلص من تلك الطبيعة الفاسدة . فمن لم يكن له الاستطاعة على استعمال مايعطيه الله من الخيرات لاشك في انه ضعيف ، لانه « لم يعطه الله » تلك الاستطاعة بل حرمه منها قصاصاً له على سوء تصرفه بثروته . ولانه لم يشأ خدمة الله بها قد حرمه الله من السلطان الذي يمكنه من خدمة نفسه بها .

(٢) وهو يسمح لمن لم يرتبط بهم بأى رباط بان ينهبوا كل ثروته : « يأكله انسان غريب » . وهذا هو مصير كل البخلاء فى غالب الاحيان ، فهم قد لا يثقون في ابنائهم ومع ذلك يستسلمون لوكلائهم أو تابعيهم . وهؤلاء بمكرهم وخداعهم وتملقهم يستولون على كل ثروتهم اما في حياتهم أو بعد مماتهم . وهكذا يسمح الله بان « يأكله الغريب » . « أكل الغرباء ثروته » هو ٧ : ٩ ـ ام ٥ : ١٠ . وهذا حقاً ليس الا « مصيبة رديئة » (أو مرض رديء) . فان لم ننتفع بما نملكه صار امتلاكنا له عبثاً . وما اشد رداءة ذلك الطبع الذي يحرمنا من التمتع بما نملك . ان اشد وطأة الامراض التى نبتلى بها هى مانشأت من فساد قلوبنا

(٣) وهو يحرم نفسه من الخير الذى كان فى استطاعته الحصول عليه من ثروته العالمية ، فهو لا يخسر ذلك الخير فقط

بل يسلبه من نفسه بنفسه ويضرب بهعرض الحائط : « لم تشبع نفسه من الخير » ع ٣ . انه يزاد في الجشع وعدم الاكتفاء ، فمع ان ايديه ملآنة غنى ومخازنه ملآنة خيرات جزيلة الا ان « نفسه لاتشبع (لاتمتلىء) من الخير » لانها لاتزال تطلب المزيد . والاكثر من ذلك انه « لم ير خيراً » فهو لايستطيع ولا يعرف ان يمتع عينيه لانهما ينظران بجشع ويتطلعان بحسد الى كل من فاقه في الغنى . انه لا يعرف حتى الغرض الاساسى من الثروة التي اعطيت له فهو لاينظر الى ما وراء الامور التي لاترى فقط بل هو أيضاً لاينظر اليها بنظرة دقيقة

(٤) « وليس له أيضاً دفن » ليس له دفن يناسب مركزه أو دفن تحفه الهيبة والوقار بل « يدفن دفن حمار » ار ٢٢ : ١٩ . انه لشدة بخله لايسمح لنفسه حتى بدفن محترم . أو قد يتركه الغرباء الذين نهبوا ثروته في حياته فقيراً فلا يدفن كما يليق بمقامه . أو قد يكون وارثوه اقل الناس احتراماً له فلا يهتمون بدفنه بقدر اهتمامهم بثروته التي خلفها لهم

(ثالثا) تفضيل السقط عنه : « ان السقط » اى الطفل الذي يحمل من الرحم الى القبر « خير منه » . فالفاكهة التي تسقط من الشجرة قبل ان تنضج خير مما تبقى معلقة فيها حتى تتعفن . قال ايوب ان السقط خير منه في وقت محنته اى ٣ : ١٦ ، اما سليمان فيصرح هنا بان السقط خير من الشخص المحب للعالم في

وقت رخائه وعندما يبتسم له العالم .

(١) انه يسلم بان حـالة السقط محزنة جداً من عدة وجوه ع ٤ و ٥ : « لانه فى الباطل يجىء » فمن يولد ويموت في الحال كانت ولادته باطلا ، وهو « في الظـلام يذهب » يكاد ان لايشعر به احد ، ولم يلقب باى اسم ، وان دعى عليه اسم سرعان مايطرح في زوايا النسيان « ويغطى بالظلام » حيث يبقى الجسم تحت التراب . بل انه « لم ير الشمس » لانه اخذ من ظلام الرحم الى ظلام القبر . والاسوأ من عدم علم الناس به انه « لم يعلم » شيئا ، ولذلك لم يعرف ينبوع سعادة الانسان . ان الذين يعيشون في ظلام الجهل وعـدم المعرفة ليس مثلهم الا مثل « السقط الذي لم ير الشمس ولم يعلم »

(٢) على انه رغما من ذلك كله يفضله عن البخيل الطماع : فهذا القسط « له راحة اكثر من ذاك » لان « هذا » له بعض الراحة اما « ذاك » فليس له شيء منهـا ، « هذا » لا يزعجه ولا يقلق راحته أى مؤثر من المؤثرات العـالمية اما « ذاك » فهو عرضة لاقل مؤثر ولا يحيط به سوى التعب . فكلما قصرت الحياة كلما طالت الراحة ، وكلما قصرت الايام كلما استرحنا من عناء هذه الحياة . وكما قال الشاعر الانكليزى : خـير المرء ان يموت وهو طفل من ان يعيش حتى يموت وهو كهل .

والسبب الذى لاجله قال ان «هذا له راحة أكثر من ذاك» هو ان « الجميع يذهبون الى موضع واحد »ليستريحوا وهذا

يسرع الى راحته عن ذاك ع ٦ . فمن « عاش الف سنة » يذهب أخيراً الى نفس الموضع الذي يذهب اليه الطفل الذى لم يعش ساعة واحدة ص ٣ : ٢٠ . ان القبر هو الموضع الذى يلتقى فيه الجميع ، ومهما اختلفت أحوال الناس فى هـذه الحياة فلا بد ان يموتوا جميعاً ويتم عليهم حكم واحد ولا يختلفون في شىء من الأمور الظاهرة عند الموت . القبر هو للجميع موضع ظلام وانفصال عن الاحياء ورقاد مستمر . هو موضع لقاء الاغنياء والفقراء ، الشرفاء والادنياء ، العلماء والجهلاء ، طويلو الاعمار وقصيروها . والفرق الوحيد هو ان الواحد يسرع الوصول اليه والآخر يبطىء السير ، على ان تراب الجميع يختلط معاً بلا تمييز

oooooo

٧ كل تعب الانسان لفمه ومع ذلك فالنفس لا تمتلىء ـ ٨ لانه ماذا يبقى للحكيم أكثر من الجاهل . ماذا للفقير العارف السلوك أمام الاحياء ـ ٩ رؤية العيون خير من شهوة النفس . هذا أيضاً باطل وقبض الريح ـ ١٠ الذي كان فقد دعي باسم منذ زمان وهو معروف انه انسان ولا يستطيع أن يخاصم من هو أقوى منه

في هذه الاعداد نرى سليمان يستمر في اظهار بطلان وحماقة

تكويم الثروة العالمية وانتظار السعادة منها ٠

(اولا) فمهما أجهدنا أنفسنا في الامور العالمية ومهما عظم ما نحصل عليه منها فلن نأخذ لانفسنا منها سوى ماتقوم به الحياة ع ٧ : « كل تعب الانسان لفمه » لان « فمه يحثه » على ذلك

ام ١٦ : ٢٦ . ان الاطعمة ليست الا للجوف والجوف للاطعمة ١ كو ٦ : ١٣ ، فليس فيها شيء للعقل أو للقلب ، وليس فيها ما يغذي الروح . ان القليل يكفي لقوام الحياة والكثير لا ننال منه أيضاً الا مايكفي لقوام الحياة ٠

(ثانيا) والذين يحصلون على مقتنيات الحياة بوفرة وغزارة يستمرون فى طلب المزيد منها ، لانه مهما كان تعب الانسان لفمه عظيما « ومع ذلك فالنفس لاتمتلىء »

(١) فالرغبات والشهوات الطبيعية لايمكن ايقافها عند حدها بل هى تتكرر من يوم لآخر ومن وقت لآخر . فان أولم الانسان وليمة فاخرة اليوم ولكنه لابد له من أن يجوع غداً

(٢) والشهوات العالمية الفاسدة لايمكن اشباعها ص ٥ : ١٠. فالثروة لمحب العالم كالماء للمريض بداء الاستسقاء فانها لا تزيده الا عطشاً .

(٣) وشهوات النفس لاتجد فى ثروة العالم مايشبعها: « النفس لاتمتلىء » . عند ما أعطى الله للاسرائيليين سؤلهم « أرسل هزالا في انفسهم » مز ١٠٦ : ١٥ . فما اكثر غباوة ذلك الذى قال لنفسه

عند ما امتلأت مخازنه « استريحي يا نفس » لو ١٢ : ١٩

(ثالثاً) وقد يستوي الجاهل والعاقل في مقدار ما يحصلان عليه من ثروة هذا العالم ومقدار تمتعهما به ، بل قد يمتاز الاول عن الثاني بانه لا يشعر بشيء من مضايقة الروح «ماذا يبقى للحكيم أكثر من الجاهل ؟ » فهو قد يقل عنه ثروة ومركزاً . وحتى ان استويا في الثروة فماذا يستطيع الحكيم ان يناله منها بحكمته وذكائه وحنكته أكثر من حاجيات النفس الضرورية ، وفي هذا يستويان . ولذلك فان كان الجاهل يستطيع أن ينال غذاءه ولباسه كما ينالهما العاقل فلا شيء يميزهما عن بعضهما ـ من الوجهة العالمية ـ الا المسرات العقلية وبهجة الروح

(رابعا) وحتى الفقير المجد والنشيط في عمله قد يعيش في هذه الحياة في نفس الراحة والسعادة التي يتمتع بهما الغني «ماذا للفقير» أقل من الغني ان كان «عارفاً السلوك أمام الاحياء» اي عارفاً كيف يسلك بنزاهة ويؤدي واجباته من نحو الجميع ، وكيف يحصل على معيشته بشرف وامانة ، وكيف يصرف وقته فيما يفيد وينتفع من كل الظروف التي تمر به ؟ ماذا له ؟ انه محبوب ومحترم بين معاشريه اكثر من أغنياء كثيرين بخلاء ومتكبرين. ماذا له ؟ انه يعيش سعيداً في هذه الحياة ، لان له « قوت وكسوة يكتفي بهما » ١ تي ٦ : ٨ وبذلك يعيش كانه غنياً ويتمتع

بسعادة قد لا يتمتع بها الاغنياء

(خامسا) وتمتع النفس بما لديها من الخيرات خير جداً من أن تشتهي أموراً اكثر ٩. «رؤية العيون» اى الانتفاع بما لدينا «خير من شهوة النفس» خير من سير النفس وراء أمور لا طائل تحتها واشتهائها اموراً صعبة المنال . فمن يقنع بما لديه مهما كان قليلا خير جداً واوفر حظاً وسعادة ممن يشتهي ازدياد مالديه مهما كان كثيراً . اننا لا نستطيع القول ان رؤية العيون خير من توجيه شهوات النفس نحو الله وحصرها في الله ، لانه خير لنا ان نعيش بالايمان في الامور العتيدة من ان نعيش بالعيان في الامور الحاضرة ، ولكننا نستطيع ان نقول ان رؤية العيون خير من توجيه شهوة النفس نحو العالم وما فيه الذى لا شيء فيه من الراحة او الثبات .

ان شهوة النفس «ايضاً باطل وقبض الريح» ؛ انها باطلة مهما سميت وعلت . لاننا ان اشتهينا شيئاً وحصلنا عليه لم نجد فيه ما كنا نؤمل وننتظر بل نجد ان كل شهواتنا قد خابت وآمالنا قد فشلت فتتحول لنا الى «قبض الريح» (او مضايقة الروح).

(سادسا) وان نصيبنا — سواء كان عظيماً أو حقيراً — هو ماعينته لنا المشورة الالهية التي لن يمكن تغييرها ، ولذلك فمن الحكمة ان نرضى وتقنع به ع ١٠ : «الذى كان» (او «الكائن»

كما يقرأها البعض) والذى سيكون ايضاً «فقد دعى باسم منذ زمان»

قد سبق تعيينه بمقتضى علم الله السابق ؛ ولن تستطيع اهتماماتنا او مجهوداتنا ان تغير فيه شيئاً . فان كان قد سبق السيف العزل كما يقول المثل اللاتيني فمن الحماقة ان نحاول تغيير ما قد تقرر ومن الحكمة ان ننتفع به . اننا لن نحصل الا على ما يرضى الله فلنسع بان نجعله يرضينا ايضاً .

(سابعا) ومهما عظم ما نحصل عليه فلسنا الا بشراً . فثروتنا الطائلة ومراكزنا الرفيعة لا تستطيع ان ترفعنا فوق مستوى البشر أو تخلينا من مصائب الحياة البشرية : « الذى كان» اى ذلك الحيوان الذى يحدث كل تلك الحركة والتغيير في العالم « قد دعى باسم منذ زمان » . فمن خلقه دعاه باسمه «وهو معروف انه انسان»

وهذا اسمه الذي يجب ان يعرف نفسه به حتى يخضع شيئاً من كبريائه تك ٥ : ٢ « ودعا اسمه آدم » وكل ذريته تدعى بهذا الاسم ومعناه « ارض حمراء » . فمهما ملك الانسان من ثروة العالم الا انه لا يزال انسانا ضعيفاً ، حقيراً ، قابلا للتغيير والفناء وخاضعاً لمصائب الحياة . فخير للاغنياء والعظماء ان يعرفوا ويتذكروا انهم ان هم الا بشر مز ٩ : ٢٠ . انه معروف انهم بشر فمهما لبسوا اى ثوب لاخفاء معالم خلقتهم فلا يزالون بشراً ولا يزالون معروفين انهم بشر

(ثامنا) ومهما اتجهت شهواتنا الى امد بعيد وعظمت آمالنا

وكثرت مجهوداتنا فلن نستطيع ان نقاوم العناية الالهية بل لا بد من الخضوع لتصرفاتها رضينا او لم نرض . فالانسان ان كان انساناً « لا يستطيع ان يخاصم من هو اقوى منه » . انه من الجنون ان نشتكى على اعمال الله او نتهمه بالجهل أو الشر . ومن الحماقة أن نشتكي منه لانه « ذو رأى واحد فمن يرده » اي ٢٣ : ١٣ . لقد اسكت اليهو ايوب وابكمه بتلك الحقيقة التي لا مراء فيها وهى « ان الله اعظم من الانسان » اى ٣٣ : ١٢ ولذلك فلا يليق للانسان ان يخاصمه ع ١٣ أو يقاوم احكامه . والانسان بكل ما ملك من قوة وثروة لا يستطيع ان يخلى نفسه من سلطان المرض او الموت بل عليه ان يخضع لما يصيبه منهما

○○○○○○

١١ لانه توجد امور كثيرة تزيد الباطل . فاي فضل للانسان ـ ١٢ لانه من يعرف ما هو خير للانسان فى الحيوة مدة ايام حيوة باطله التي يقضيها كالظل . لانه من يخبر الانسان عما يكون بعده تحت الشمس

في هذه الاعداد نرى :—

(١) ان سليمان يقرر في الختام النتيجة التى قد قام بالبرهان عليها كتلك النتيجة التى ايدها باقوى البراهين في بحثه السابق،

هذه النتيجة هي « توجد امور كثيرة تزيد الباطل ». ان حياة الانسان باطلة مهما سمت وارتقت ، وما اكثر الحوادث التي تحف بها التي تزيدها بطلاناً . ونفس العوامل التي يلوح لنا انها تزيد الثروة والسعادة هي في الحقيقة تزيد الباطل بطلاناً ومضايقة للروح

(٢) ويستخلص جملة استنتاجات من تلك النتيجة لكي يؤيد بها صدقها .

١ . ـ ان الانسان لن يصل الى السعادة الحقيقية بكثرة الثروة . « اى فضل للانسان » من ثروته وملذاته وامجاده ومركزه الرفيع ؟ ماذا يتبقى للانسان واية منفعة حقيقية ينالها عندما يصفى حساباته ؟ لاشيء يعود عليه بالنفع .

٢ . ـ اننا لا نعرف أي شيء نشتهى ، لاننا طالما وجدنا مضايقة الروح فيما كنا ننتظر منه الراحة والسعادة : « لانه من يعرف ما هو خير للانسان في الحيوة » التى كل ما فيها باطل ، والتى ان وجد فيها شيء تطمح اليه نفوسنا قد يكون مصيبة وشراً عظيما لها . ان العقلاء يسيرون بغاية الحذر من نحو كل مايعملون. وكما ان علامات فساد قلب الانسان ان يميل الى مايضره ظناً منه بان فيه فائدة كما يصرخ الاطفال طالبين سكيناً يجرحون بها اصابعهم كذلك من علامات بطلان هـذا العالم ان تكون الامور التي نتوهم ان فيها كل الخير بعكس ذلك ، وما ذلك الا لسبب قصر نظرنا واتكالنا على كل قصبة مرضوضة . فنحن لا نعرف كيف

ننصح الاخرين ونرشدهم للخير أو نسلك نحن انفسنا في طريق الخير لان ماقد نعرف ان فيه خيرنا قد يكون فيه لنا الموت الزؤام .

٣ . — ولذلك فحياتنا على الارض لاتستحق بان نغتبط بها اغتباطاً شديداً أو نتوهم استمرارها . فهي لاتعد الا « بالايام » وهي ليست الا « حيوة باطلة » ، ونحن نقضيها « كالظل » لانها لاشي فيها من الحقيقة أو الثبات بل هي زائلة سريعاً ، فلا شيء فيها يحب أو يعتمد عليه . فان كانت كل مسرات الحياة باطلة فلا يوجد في الحياة نفسها اي شيء حقيقي نتطلب منه السعادة .

٤ . — وأن كل آمالنا في هذه الحياة غير مؤكد تحقيقها . فان كان كل شيء باطلا « فمن يخبر الانسان بما يكون بعده تحت الشمس » انه لايستطيع ان يطمن نفسه ويعشمها « بما يكون بعده » لاولاده أو لعائلته لانه لا يستطيع ان يتنبأ بالمستقبل ولا يستطيع غيره أن يخبره « بما يكون بعده » ولن يستطيع أيضاً أن يعرف « مايكون بعده » بعد مماته . « يكرم بنوه ولا يعلم أو يصغرون ولا يفهم بهم » اى ١٤ : ٢٠

ولذلك فمهما قلبنا الطرف في هذه الحياة لايمكن الا ان نرى انه « باطل الاباطيل الكل باطل »

○○○○○○

الاصحاح السابع

لقد ادلى الينا سليمان فيما مضى بعدة براهين وامثلة لاظهار بطلان هذا العالم وما فيه ، والان نراه فى هذا الاصحاح : ـ

(اولا) يرشدنا الى احسن السبل لتخفيف ويلات هذا العالم واحزانه الكثيرة وتحصين انفسنا ضد شروره واخطاره وبذلك نستطيع ان نحول الشر خيراً والضار نافعاً . وهذه السبل هي (١) الحرص على صيتنا ع ١ (٢) السير برزانة وجد ع ٢ ـ ٦ (٣) هدوء الروح ع ٧ ـ ١٠ (٤) الحكمة والتعقل في تدبير كل امورنا ع ١١ و١٢ (٥) الخضوع لارادة الله فى كل الحوادث والامتثال لكل ما يطرأ علينا من الظروف ع ١٣ـ١٥ (٦) تجنب التطرف والمغالاة في كل الامور ع ١٦ - ١٨ (٧) العطف والاشفاق على الذين يسيئون الينا ع ١٩ - ٢٢

وبالاختصار ان احسن السبل للابتعاد عن مضايقات الروح التي يسببها لنا بطلان العالم هو تحسين خلقنا وضبط عواطفنا

(ثانيا) ويرنى اشره الذى ضايقه اكثر من كل هذه الاباطيل ، الا وهو تعدد زوجاته اللاتي ابعدن قلبه عن الله ع ٢٣ - ٢٩

OOOOOO

١ الصيت خير من الدهن الطيب ويوم الممات خير من يوم الولادة ـ ٢ الذهاب الى بيت النوح خير من الذهاب الى بيت الوليمة لان ذاك نهاية كل انسان والحي يضعه فى قلبه ـ

٣ الحزن خير من الضحك لانه بكآبة الوجه يصلح القلب.

٤ قلب الحكماء في بيت النوح وقلب الجهال في بيت الفرح.

٥ سمع الانتهار من الحكيم خير للانسان من سمع غناء الجهال.

٦ لانه كصوت الشوك تحت القدر هكذا ضحك الجهال.

هذا ايضاً باطل

في هذه الاعداد يقرر سليمان بعض حقائق يظنها الجهلاء الغازاً :—

(اولا) ان مجد الفضيلة اسمى جداً واشهى من كل ثروة العالم وملذاته ع ١ : « الصيت خير من الدهن الطيب » (أو « الصيت قبل الدهن الطيب » كما يقرأها البعض) فهو أفضل منه ، ووراءه يسعى كل حكيم عاقل . والمقصود « بالدهن الطيب » هنا كل خيرات الارض التي من ضمنها بل أفضلها الدهن أو الزيت ، وكل الملذات العقلية لان الدهن يفرح القلب ام ٢٧ : ٩ ولانه ايضاً يسمى دهن الابتهاج مز ٤٥ : ٧ ، وكل الامجاد العالمية والمراكز الرفيعة التي لا يرقى اليها الملوك الا بعد ان يمسحوا بالدهن الطيب . اما « الصيت » فهو افضل من الغنى العظيم ام ٢٢ : ١ اي اشتهار الانسان بالحكمة والصلاح ؛

« وذكر الصديق » ام ١٠ : ٧ ـ هذا لاشك في انه خير يكسب القلب راحة وسروراً ويهيء للانسان فرصة أوسع للخدمة والنفع ويستمر معه مدة أطول أكثر من قارورة طيب كثير الثمن ، لان المسيح كافأ مريم عن طيبها بصيت حسن واسم صالح في الانجيل مت ٢٦ : ١٣ ، ونحن نثق انه لا يكافىء أولاده الا أضعاف ما يستحقون

(ثانيا) وان خروجنا من هذا العالم أفضل جداً وأكثر رحمة بنا من دخولنا اليه من كل الوجوه . « يوم الممات خير من يوم الولادة » . صحيح انه ان ولد انسان في العالم يفرح الآخرون يو ١٦ : ٢١ وان مات يحزنون ويكتئبون ، أما من جهتنا نحن شخصياً فيوم الممات الذي يضع حداً لاهتماماتنا الكثيرة وأتعابنا وأحزاننا التي لاحصر لها وينقلنا الى الراحة والفرح والسعادة الأبدية خير من يوم الولادة الذي فيه دخلنا عالماً مملوءاً بالخطية والتعب والبطلان وقبض الريح (أو مضايقة الروح) . نحن ان ولدنا لا نعلم كيف سنقضي حياتنا أما ان مات الرجل الصالح فيعلم أين يذهب وكيف سيقضي حياته في العالم الآخر . ان يوم الولادة يثقل كاهل النفس بحمل الجسد الثقيل ، أما يوم الممات فيحررها من ذلك الحمل .

(ثالثا) وان ذهابنا الى أماكن الحزن نافع لنا أكثر من ذهابنا الى الولائم ع ٢ : « الذهاب الى بيت النوح » للبكاء مع الباكين « خير من الذهاب الى بيت الوليمة » أي الى حفلات الزفاف وما شابهها للفرح مع الفرحين ، لاننا ننال من ورائه نفعاً أكثر ولانه يترك في نفوسنا أثراً أحسن . انه لاحرج علينا في الذهاب الى أيهما ، فمخلصنا ذهب الى عرس صاحبه في قانا الجليل وبكى على قبر صاحبه في بيت عنيا ، ونحن قد نستطيع تمجيد الله ونفع انفسنا وفعل الخير في بيت الوليمة ، ولكن نظراً لما تجوز فيه نفوسنا في الولائم من الفخر والمجد الباطل والاطمئنان الكاذب واثارة الشهوات الجسدية فخير لنا أن نذهب الى بيت النوح لا لنشهد عظمة الجنازة بل لنشترك في أحزانها ونتعلم دروساً نافعة من الميت الذاهب الى الأبدية والحزانى الذين تركوا من بعده

(١) أما الفوائد التي يستطيع الانسان الحصول عليها من بيت النوح فهي : —

١ . — من باب العلم « بان ذاك نهاية كل انسان » انه نهاية الانسان في هذه الحياة والحد الفاصل لحالته هنا « فهو لا يعود الى وطنه الارضي مرة أخرى . انه نهاية « كل » انسان ، فالجميع أخطأوا لذلك « اجتاز الموت الى الجميع » رو ٥ : ١٢ . فنحن لابد لنا من مغادرة الحياة كمن سبقنا لان كأس الموت يدور

على الجميع ولا بد ان يأتي علينا الدور قريباً لنتجرعه .

٢ . - من باب النصيحة : « والحي يضعه في قلبه » وهل حقاً يضعه الأحياء فى قلوبهم ؟ ياليتهم يفعلون كذلك . ان الاحياء بالروح يضعونه في قلوبهم ، أما من جهة الاحياء بالجسد فالمفروض والمعروف انهم يجب عليهم ان يضعوه في قلوبهم ، وان لم يفعلوا كذلك فالعيب عيبهم لانه لا شيء أسهل وأقرب الى دخول القلب من فكرة الموت عند رؤية او السماع عن موت الآخرين . ومن لا يستطيعون وضع عظة بالغة في قلوبهم يستطيعون وضع فكرة الموت في قلوبهم ويتأملون في نهايتهم

(٢) ولزيادة البرهان على ذلك نرى سليمان في ع ٤ يبين : -

١ . - انه من اخلاق الحكماء ان يكون « قلبهم في بيت النوح » يميلون للتحدث والتأمل في الامور المحزنة ، وهذا دليل حكمتهم . ان بيت النوح مدرسة للحكماء يتعلمون فيها دروساً نافعة كثيرة . انهم ان حلوا « فى بيت الوليمة » يكون « قلبهم في بيت النوح » ايضاً ليعطف على الحزانى والنائحين

٢ . - وانه من أخلاق الجهال أن يكون « قلبهم فى بيت الفرح » فكل ما يبتغيه قلبهم أن يكون فرحاً ومسروراً ، كل لذتهم فى الالعاب والافراح والمجون والاغاني وقضاء ايامهم ولياليهم في اللهو واللعب . وأن تصادف وجودهم « فى بيت النوح »

شعروا بشيء من الغضاضة وحل « قلبهم في بيت الفرح » . فما اعظم هذه الغباوة ، خصوصاً وانها تزيدهم بلادة وحماقة على مر الايام وكر العشي

(رابعا) وان الجديات أنسب وانفع لنا من الافراح والملاهي.

ع ٣ . ان الامر المألوف عند الجميع هو ان الافراح خير من الاحزان ، أما سليمان فيعلمنا هنا درساً على النقيض من ذلك وهو ان « الحزن خير من الضحك » أى أنسب الى حالتنا الحاضرة التي

فيها نرتكب الخطية كل يوم ونتجرع كأس الآلام والاحزان كل ساعة أو على الاقل نرى الآخرين يرتكبون الخطية كل يوم ويتجرعون كأس الآلام والاحزان كل ساعة . فطالما كنا في « وادي الدموع » تحتم علينا أن نسلك كما يناسب جوه .

وليس الحزن أنسب الى حالتنا الحاضرة فقط بل انفع لنا أيضاً « لانه بكآبة الوجه يصلح القلب »

(ملاحظتان) (١) ان ما كان فيه خير النفس وصلاحها صار خيراً لنا ايضاً ولو كان فيه شيء من الغضاضة والألم (٢) ان الحزن طالما كان واسطة في ميل القلب للجديات ، وان المصائب التي تتلف الصحة وتلاشي الثروة وتورث البؤس للعائلات قد يكون فيها صلاح للقلب كأن تغير طباعه الرديئة وتعلمه التواضع والوداعة وتنفره من محبة العالم وتقتاده الى ترك الخطية وترشده الى اتمام واجباته . وكما يقول المثل اللاتيني « ان المصائب تشحذ

«العزائم وتكد القرائح» . والمثل الآخر «لو لم اكن تعساً لهلكت» .

ومن الوجهة الاخرى ايضاً انه بالفرح والطرب يفسد القلب اذ يصير اكثر ميلاً للاباطيل والشهوات الجسدية واللذات الفاسدة واشد محبة للعالم واكثر ابتعاداً عن الله والامور الروحية اى ٢١ : ١٢ و ١٤ حتى لا يغتم على انسحاق يوسف كقلب اخوته عا ٦ : ٥ و ٦ وكقلب الملك وهامان اس ٣ : ١٥

(خامساً) وانه خير لنا جداً ان نميت شهواتنا الفاسدة «بسمع الانتهار من الحكيم» من ان نزيد سلطانها وفسادها «بسمع غناء الجهال» ع ٥ . ان كثيرين من الذين يسرون بسمع نصائح الحكماء وثنائهم لا يهتمون بسمع انتهارهم اى لا يهتمون بان يبينوا لهم عيوبهم ونقائصهم مهما كانوا صادقين ومخلصين ، ولكنهم بذلك يظهرون انهم اعداء لانفسهم لان «توبيخات الادب طريق الحياة» ام ٦ : ٢٣ ومع انها غير مقبولة كغناء الجهال الا انها هى الدواء الشافي . ان «سمع الانتهار من الحكيم» لا بالصبر فقط بل بالرضاء والسرور هو علامة من علامات الحكمة وواسطة لها ، اما حب «سمع غناء الجهال» فهو علامة على ان العقل خال منصرف للهو وواسطة لازدياده في حب اللهو والاباطيل .

وما اشد حماقة ذلك الانسان الذي يهتم بلذة وقتية سريعة

الزوال «كضحك الجهال» الذى يشبه تمام الشبه «صوت الشوك تحت القدر» فانه يحدث صوتاً عظيما ولهيباً عالياً لوقت قصير فقط ولكن سرعان ما تخمد ناره ويتناثر رماده ولا يفيد القدر بشيء. ان «ضحك الجهال» عالي الصوت وبلا معنى ولا يدل على الفرح الحقيقي

«هذا ايضاً باطل» لانه يخدع الناس ويسوقهم لهلاك انفسهم، لان «عاقبة هذا الفرح حزن» ام ١٤ : ١٣. ولقد نطق مخلصنا الصالح بحكم عادل في هذا الخصوص «طوباكم ايها الباكون الآن لانكم ستضحكون. ويل لكم ايها الضاحكون الآن لانكم ستحزنون وتبكون» لو ٦ : ٢١ و ٢٥

---

٧ لان الظلم يحمق الحكيم والعطية تفسد القلب — ٨ نهاية أمر خير من بدايته. طول الروح خير من تكبر الروح — ٩ لا تسرع بروحك الى الغضب لان الغضب يستقر فى حضن الجهال — ١٠ لا تقل لماذا كانت الايام الاولى خيراً من هذه. لانه ليس عن حكمة تسأل عن هذا

لقد كان سليمان كثير الشكوى من المظالم التى تجرى تحت

الشمس لانها كانت تعطى فرصــة للناس ليتصوروا تصورات فاسدة وتثبط عزائمهم عن الخير وتعرقل مساعيهم عن الجد في أثر التقوى والفضيلة . والآن نراه : —

(أولا) يسلم بان التجربة شديدة ع ٧ : حقاً ان « الظلم يحمق الحكيم » . فان ظل الحكيم ردحاً من الزمن يرسف تحت قيود الظلم تراه يتصرف ويتكلم بما لا يتفق وحكمته ويطلق العنان لشهواته وينسب الظلم لله تعالى وللانسان او يسلك طرقاً مخزية للتخلص مما حاق به من الظلم . ان الصديقين ان استقرت عصا الاشرار على نصيبهم قد يمدون ايديهم الى الاثم مز ١٢٥: ٣ . وان ارادوا ضبط عواطفهم والتمسك بحكمتهم لا يتوصلون الى ذلك الا بشق النفس

« والعطية تفسد القلب » (او « ويفسد قلب العطية » كما يقرأها البعض) فالظلم يفسد حتى القلب الصالح الذى يهب العطايا.

ولذلك يجب ان نلتمس العذر للمظلومين ولا نكون قساة فى انتقادهم لو لم يتصرفوا بالحكمة التى كانت تنتظر منهم ، لاننا لا نعلم كيف يكون تصرفنا نحن لو كنا في مكانهم

(ثانيا) ولكنه يظهر فسادها ويحارب ضدها . يجب ان لا نخشى سلطة الظالمين او نجاحهم ولا نغار منهم : —

(١) لان اخلاقهم فاسدة ، وهذا مايستنتجه البعض من ع ٧

فان كان الذى عرف عنه انه « حكيم » يصير « ظالماً » فقد صار « أحمق » ، لان عقليته قد فارقته ، ولا يمتاز عن أسد زائر أو دب ثائر ، وتفسد قلبه الرشوة والعطايا التى يقبلها وتقضى على البقية الباقية فيه من الفضيلة . وما أحرى شخص كهذا بعطفنا بدلا من ان نحسده .

(٢) ولان النتيجة ستكون حسنة اخيراً : « نهاية امر خير من بدايته » فبعين الايمان انظر الى النهاية وبالصبر ترقبها . عند مايظلم المتكبرون غيرهم من المساكين الأمناء يظنون انهم بسلطانهم سيبطشون بهم وينتصرون عليهم حتى المنتهى ، ولكن سرعان ما يتبين لهم ان النهاية خير من البداية عند ما يزول سلطانهم وتفنى ثروتهم التى حصلوها من ظلمهم ويذلون بعد الرفعة والجاه ويجنون شر ظلمهم وعندئذ يتخلص المظلومون من نيرهم ويستعيضون ما قد خسروه . وحقاً لقد كانت نهاية المعاهدة التى أبرمها موسى مع فرعون ذلك العاتى الجبار خيراً من بدايتها فهى ابتدأت بتثقيل كاهل الاسرائيليين وتضعيف مقدار اللبن (الطوب) الذى كانوا يصنعونه ولكنها انتهت بخروجهم من أرض مصر ظافرين منتصرين

(ثالثاً) على انه فوق ذلك يعطينا بعض الارشادات لندرأ عن انفسنا شر غوائلها . فان اردنا ان لا يحملنا تيار الظلم والاضطهاد الى الجنون بل ان نبقى مالكين زمام انفسنا

(١) فعلينا ان نتوشح بالتواضع ، فان « تكبر الروح » يحمل صاحبه على عدم احتمال المظالم بل يثير عواطفه ويهيج وجدانه . ان ما يكسر قلب المتكبر لا يكون له اقل تأثير عند المتواضع . فان ابعدت الكبرياء من قلب الانسان رضى باقل الحالات .

(٢) ونتمسك بالصبر او « طول الروح » ـ الصبر المحتمل الذى به نخضع ذواتنا لارادة الله وقت المصائب ، والصبر المنتظر الذى به نترقب النهاية في وقت الله المحتوم . لاحظ بان سليمان يبين هنا ان « طول الروح » ضد « تكبر الروح » ذلك لان التواضع يكون عادة مقترناً بطول الروح اى الصبر . ان الذين يعترفون بانهم لا يستحقون شيئاً من بركات الله هم الذين يشكرونه على اى شىء يعطيهم . وعلى ذلك فان طويل الروح خير من متكبر الروح لانه يريح نفسه ويكون محبوباً عند الآخرين ويستطيع ان يرى بصبره نتيجة العاقبة الحسنة .

(٣) ونضبط عواطفنا بالحكمة والنعمة ع ٩ : « لا تسرع بروحك الى الغضب » ان الذين لا يطيقون طول مدة الانتظار يستشيطون غيظاً ان لم تتم رغباتهم سريعاً . لا تغضب من الظالمين او ممن كان سبباً او واسطة فى آلامك واضطهادك .

١ . — لا تسرع الى الغضب ، أى لا تتسرع في الغضب من أى اساءة توجه اليك ولا تتسرع في اظهار غضبك منها

٢. — لا يدم غضبك ، لانه ان كان الغضب قد يمر في صدر العاقل كعابر سبيل الا انه « لا يستقر الا في حضن الجهال » هنالك يستقر ويتأصل ويتخذ له محلا مختاراً يصعب اقتلاعه منه. فمن يريد ان يكون حكيماً ولا يعطى ابليس مكاناً عليه ان لا يجعل الشمس تغرب على غيظه اف ٤ : ٢٦ و٢٧

(٤) وعلينا ان ننتفع بقدر استطاعتنا من كل ما لدينا ع ١٠ : لا تأخذها قضية مسلمة ان « الايام الاولى كانت خيراً من هذه » و « لا تقل لماذا كانت هكذا » لانك بذلك « لست عن حكمة تسأل » طالما كنت تسأل عن سبب الامر الذى لم تره ولا تعرف شيئاً عنه فضلا عن ان ادراكك قاصر عن معرفة الزمن الماضى وقاصر حتى عن الحكم على الزمن الحاضر، فان كنت بسبب ذلك لا تنتظر جواباً مقنعاً لسؤالك « فليس عن حكمة تسأل » بل انك بسؤالك تتطاول على التأمل في عناية الله التى بها يدبر الكائنات.

ملاحظتان . — (الاولى) انه من الغباوة ان نشتكي من رداءة ايامنا طالما كان هنالك ما يدعونا لنشتكي من رداءة قلوبنا لانه ان صلحت قلوب الناس صلحت الايام ، وطالما كان هنالك ما يدعونا لشكر الله لانها لم تأت ارداً مما هى عليه ، وطالما كان هنالك ما يمكننا التمتع به من النعم والخيرات حتي فى اشر الايام الامر الذى لا يخفف عنا وطأتها فقط بل ويكون موضوع تعزية لنا فى وسطها ايضاً .

(الثانية) ومن الغباوة ان نكثر التكلم عن حسن الايام الأولى لدرجة نبعد فيها عن انفسنا نعمة الله في ايامنا الحاضرة كأن الاجيال الاولى لم يكن لديها نفس مانشتكي منه نحن الآن او كأن الله ظالم وقاس علينا لانه اوجدنا فى عصر خزفي بالنسبة للعصور الذهبية التى قبلنا . كل هـذه الافـكار لا تنشأ الا من عدم قناعتنا ومن رغبتنا فى مناقشة الله الحساب . فعلينا ان لانظن ان الطبيعة تتلاشى والاخلاق تضمحل ، بل لنعرف ان الله صالح والانسان فاسد ابداً ، وان الايام ان كانت اردأ الآن مما كانت عليه من بعض الوجوه فهى افضل من وجوه اخرى

••••○○○••••

١١ الحـكمة صالحة مثل الميراث بل افضل لناظري الشمس - ١٢ الذي في ظل الحـكمة هو فى ظل الفضة . وفضل المعرفة هو ان الحـكمة تحيي أصحابها - ١٣ انظر عمل الله لانه من يقدر على تقويم ماقد عوجه - ١٤ فى يوم الخير كن بخير وفى يوم الشر اعتبر . ان الله جعل هذا مع ذاك لـكيلا يجد الانسان شيئاً بعده

١٥ قد رأيت الـكل فى ايام بطلي . قد يكون بار يبيد في بره وقد يكون شرير يطول في شره - ١٦ لا تـكن باراً

كثيراً ولا تكن حكيما بزيادة . لماذا تخرب نفسك ـ ١٧ لا تكن شريراً كثيراً ولا تكن جاهلا . لماذا تموت في غير وقتك ـ ١٨ حسن ان تتمسك بهذا وأيضاً ان لا ترخي يدك عن ذاك . لان متقي الله يخرج منهما كليهما ـ ١٩ الحكمة تقوي الحكيم اكثر من عشرة مسلطين الذين هم في المدينة ـ ٢٠ لانه لا انسان صديق في الارض يعمل صلاحاً ولا يخطىء ـ ٢١ ايضاً لا تضع قلبك على كل الكلام الذي يقال لئلا تسمع عبدك يسبك ـ ٢٢ لان قلبك ايضاً يعلم انك أنت كذلك مراراً سببت آخرين

في هذه الاعداد يمدح سليمان الحكمة ويصفها لنا كأحسن دواء لتلك الحالات النفسية الفاسدة التي نحن عرضة للوقوع فيها بسبب ما يتخلل امور هذه الحياة من البطلان وقبض الريح . هنا نجد بعضاً من فوائد الحكمة وبعضاً من شروطها .

(أولا) اما عن فوائد الحكمة فقد ذكر منها الكثير هنا ليحملنا على السعي والجد في أثرها .

(١) فهي لازمة لحفظ ممتلكاتنا العالمية ولحسن ادارتها :

« الحكمة صالحة مثل الميراث » (او مع الميراث) اى ان الميراث لا يفيد بدون الحكمة . فمها اعطى الانسان من ثروة ومهما كانت قد وصلت اليه بسهولة من آبائه فلا ينتفع منها ان لم يعط الحكمة التى بها يستعملها للغاية التى من اجلها اعطيت له ، بل كان خيراً له لو لم يكن قد اعطيها . ليست الحكمة نافعة للفقراء فقط لتعلمهم القناعة وتريح نفوسهم بل هى نافعة للاغنياء ايضاً لتدرأ عنهم شر المال وترشدهم لفعل الخير به . « الحكمة صالحة » فى حد ذاتها وتجعل الانسان نافعاً ولكن ان أعطى معها ثروة ازداد نفعه واستطاع ان يعمل لجيله ما لا يستطيع عمله من الخير بدونها ، واستطاع بها ايضاً ان يصنع لنفسه اصدقاء لو ١٦ : ٩ .

« والحكمة صالحة مثل الميراث بل افضل » لاننا نستطيع ان نملك زمامها اكثر من الميراث وتكسبنا كرامة افضل وتنيلنا بركات اوفر وتدوم معنا اكثر مما يدوم معنا الميراث

(٢) وهى نافعة لنا اثناء عبورنا طريق هذه الحياة : فهى « افضل لناظري الشمس » (او فيها فائدة لناظري الشمس) انها نافعة لمن يحصلون عليها ولمعاصريهم ايضاً . انه جميل ان ننظر الشمس ص ١١ : ٧ ولكن الاجل منه ان نحصل على الحكمة . ان نور هذا العالم نافع لنا لاتمام مشاغل الحياة يو ١١ : ٩ ولكن ان لم يكن هذا النور مصحوباً بالحكمة التى بها نسترشد

اثناء اتمام هذه المشاغل فلا ينفعنا شيئاً . ان استنارة أعين اذهاننا خير بكثير من استنارة أعين اجسادنا

(٣) وهى تؤدى لسلامنا وتكون كحصن يقينا من عواصف هـذه الحياة وشمسها المحرقة ، فهى « ظل » « كظل صخرة عظيمة فى ارض معيبة » اش ٣٢ : ٢ . (او الحكمة حصن والفضـة حصن) فكما يعمل الغني لانماء ثروته هكذا يعمل الحكيم لانماء حكمته . « الذى فى ظل الحكمة هو في ظل الفضة » أي ان الذى في ظل الحكمة وفي ظل الفضة يسكن آمناً . ان سليمان يقرن الحكمة بالفضة هنا ليؤيد ما قاله سابقاً من ان « الحكمة صالحة مثل (او مع) الميراث » . الحكمة كسور حصين والثروة كسياج يحمى الحقل من اغارة الاعداء .

(٤) وهى موضوع فرح وسعادة الانسان . ان «فضل المعرفة» أي المعرفة الالهية ـ وليس فضلها على المال فقط بل على الحكمة أيضاً ، الحكمة البشرية ، « حكمة هذا العالم » ـ انها « تحيي أصحابها » . ان « مخافة الرب » وهى « الحكمة » هى الحيـاة ، لانها تطيل الحياة . اذ ثروة الناس تعرض حياتهم للخطر ولكن حكمتهم تدرأ عنهم ذلك الخطر . نعم فكما ان الثروة لا تطيل الحيـاة الجسدية كذلك الحكمة تهب الحيـاة الروحية التي هى عربون الحياة الأبدية ، لذلك « فقنية الحكمة كم هى خير من الذهب » ام ١٦ : ١٦

(٥) وهى تمنح الانسان قوة وتكون عماداً له ع ١٩ :

« الحكمة تقوي الحكيم » تقوي أرواحهم وتشدد عزائمهم وتجعلهم يرتكزون على أساس متين . انها تقوي مصالحهم فتكسبهم شهرة وأصدقاء كثيرين . انها تقويهم ليؤدوا عملهم وخدمتهم وسط مصاعب الحياة وآلامها « اكثر من عشرة مسلطين الذين هم في المدينة » : ان الحكماء والصالحين الحقيقيين يكونون في حماية الله وبذلك يكونون في مأمن أكثر مما لو كان يحميهم عشرة مسلطين في المدينة

(ثانيا) أما شروط الحكمة ، تلك الحكمة النافعة لنا بهذا المقدار فهي : —

(١) اننا يجب أن ننظر الله يتداخل بيمينه في كل ما يصيبنا ع ١٣ : « أنظر عمل الله » . فلا بطال كل تظلم وشكوى مما يصيبنا من حوادث الزمان يجب أن نثق بان يد الله تداخلت فيها ولا نعترض أقل اعتراض على أعماله ، لنعتقد بان كل ظروفنا وكل ما يحصل لنا انما هي « عمل الله » وانها مبنية على مشورته الأبدية التي تتم في كل ما يحل بنا . ثق بان كل أعمال الله رشيدة وعادلة وصالحة وان هنالك تناسب عجيب وجمال رائع يخفانها ، وسيتضح اخيراً انهـا كانت كلها للخير . فلنمجده اذاً في كل أعماله معنا ولنسع لتحقيق غاياته منها .

« أنظر عمل الله » كأمر لا نستطيع أن نحدث فيه تغييراً

أو تبديلا . « من يقدر على تقويم ما قد عوجه » من يستطيع تغيير طبيعة الاشياء التي قد رتبها رب الطبيعة ؟ فان نطق بالتعب من يستطيع أن يوجد الراحة والسلام ؟ وان سيج الطريق بالشوك فمن يستطيع التقدم الى الامام خطوة واحدة ؟ وان نطق بالويلات والمصائب فمن يستطيع منعها ؟ فان كنا لا نستطيع تغيير أعمال الله فلننتفع منها بقدر استطاعتنا .

(٢) ويجب أن نسلك بحسب تصرفات العناية الالهية من نحونا فنؤدي واجب اليوم في يومه ع ١٤ . لاحظ هنا : —

١ . كيف ان مقاصد العناية الالهية لا يمكن اختلاطها اوامتزاجها ببعضها . كثيراً مانجد في هذه الحياة البعض في نجاح والبعض في فشل وضيق في وقت واحد ، وكثيراً ما نجد أشخاصاً ناجحين في وقت ما ورازحين تحت أعباء الفشل والضيق في وقت آخر ، بل كثيراً ما نجد ان حادثتين تحلان بشخص واحد في وقت واحد الواحدة سارة والأخرى محزنة . كل ذلك يأتي من يد الله لان من فمه يخرج الخير والشر وهو قد « جعل هذا مع ذاك » (أو ضد ذاك) حتى لايجد الانسان بينهما سوى ممراً قصيراً وضيقاً ، وحتى يلاشي الواحد الآخر بتعاقبهما . فالليل والنهار ، الصيف والشتاء ، قد جعل هذا مع ذاك حتى ان أتى وقت النجاح نفرح وكأننا لا نفرح وان أتى وقت الشدة نبكي وكأننا لا نبكي ، لاننا قد نرى بوضوح الواحد من الآخر

فنبدل الواحد بالآخر .

والله قد جعل هذا مع ذاك « لكيلا يجد الانسان شيئاً بعده »

كي لا يكون واثقاً من حوادث المستقبل او من دوام الحال الحاضرة بل يكون على تمام الاتكال على العناية الالهية وعلى تمام الاستعداد لكل ما يحدث . او لكيلا يجد الانسان شيئاً يستطيع تغييره

٢ . — كيف انا يجب ان نخضع لارادة الله في كل من هذين النوعين من الحوادث . ان ديانتنا يجب ان تكون على وجه العموم واحدة وثابتة فى كل الحالات ولكن مظاهرها يجب ان تختلف باختلاف حالاتنا الخارجية حتى بذلك نستطيع ان نسير وراء الرب

ا . — « ففى يوم الخير » — ولاحظ هنا بان مدة الخير لاتطول اكثر من يوم ـ « كن بخير » افعل الخير واحصل على الخير وابق في فرح وسرور « واعبد الرب بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شيء » تث ٢٨ : ٤٧ . ان ابتسمت لك الايام « فافرح في الرب » واشكره واجعل « فرح الرب قوتك » نح ٨ : ١٠

ب . — « وفى يوم الشر » — وهذا ايضاً لا تطول مدته اكثر من يوم — « اعتبر » ان اوقات الشدة هى أنسب الاوقات للتأمل والاعتبار ، وفيها يدعونا الرب للتفكير حج ١ : ٥ ،

وما لم نمعن النظر طويلا لا نستطيع ان نستخلص لانفسنا أى خير من تلك الاوقات . وانناً لا نستطيع ان نتمم مقاصد الله من انزال المصائب بنا ما لم نتأمل ونعرف لماذا ولأى غرض حلت بنا . والتأمل نافع وضرورى لنا ايضاً للحصول على العزاء وسط تلك المصائب

(٣) ويجب ان لا نغتاظ لكثرة نجاح الاشرار او لكثرة المصائب التى تحل بالابرار في هذه الحياة ع ١٥ . ان الحكمة توضح لنا ما غمض من اسرار اعمال العناية الالهية اذ توفقها مع حكمة الله وقداسته وصلاحه وأمانته . يجب ان لا نستغرب ما يحدث من هذا القبيل امامنا ، فسليمان يخبرنا ان هذا ما كان يحصل في ايامه ايضاً : « قد رأيت الكل في ايام بطلي » كنت أراقب عن كثب كل ما يمر بي فلم يحيرنى ولم أدهش من امر كهذا . لاحظ بان سليمان مع حكمته الفائقة وعظمته التى كادت تناطح السماء يدعو ايام حياته « ايام بطلي » وما ذلك الا لان احسن الايام على الارض باطلة بالنسبة لايام الابدية .

وربما يقصد « بايام بطله » الاشارة الى ايام ابتعاده عن الله لانها كانت بالحق ايام بطله وكانت تغريه للكفر والالحاد اوعلى الاقل للفتور في التقوى لدرجة يظن فيها ان «البار يبيد في بره»

وان التقوى لا تستطيع ان تخلص الناس من المصائب التى تأتيهم من يد الله بل انها قد تعرضهم للاخطار والمصائب التى يوقعها

عليهم الاشرار . لقد باد نابوت فى بره (١ مل ٢١) وهابيل من قبله .

ورأى ايضاً اشراراً تطول ايامهم في شرهم « وقد يكون شرير يطول فى شره » فهم « يحيون ويشيخون نعم ويتجبرون قوة » اى ٢١ : ٧ بل انهم بريائهم وسلطانهم يبعدون عن انفسهم سيف العدالة .

والآن فى كل هذه « انظر عمل الله » ولكن لاتجعله عثرة لك . ان مصائب الابرار تعدهم للبركات فى المستقبل ، والاشرار ولو كانت تطول ايامهم الا انهم يسمنون للذبح ويعدون للهلاك . ان الدينونة العتيدة ان تكون ستصلح كل هذا الشذوذ الذى نراه الآن وغايتها تمجيد الله واعطاء جميع شعبه حقوقهم كاملة ، فعلينا ان ننتظرها بالصبر وطول الأناة

(٤) ان الحكمة نافعة لتحذير القديسين فى طريقهم ولايقاف الاشرار عند حدهم فى طريقهم

١ . — أما عن القديسين فانها تعلمهم ان ينموا فى برهم ويثابروا عليه ، وفوق ذلك فانها تكون ناصحاً لهم لعدم المغالاة فى اى امر : « قد يكون بار يبيد فى بره » ولكن يجب ان لا يضيف تعباً على تعبه بغباوته وغيرته التى ليست حسب المعرفة وبعد ذلك يعتب على العناية الالهية ظناً منه انها عاملته بقسوة .

« لاتكن باراً كثيراً » (بافراط او بزيادة) ع ١٦ ففى اعمال البر اضبط نفسك بقوانين العقل والروية ولا تنتقل

سريعاً الى درجة حرارة شـديدة لا توافقك او ضارة بك ولو كنت مقوداً فى ذلك بغيرة شديدة لله .

(ملاحظة) انـ الافراط في عمل الخير ليس ممدوحاً . فانـكار الذات واماتة الجسد أمران ضروريان ، ولـكن ان كنا نتلف بهما صحتنا حتى لا تصلح بعد لخدمة الله كان هـذا هو البر الـكثير (او الزائد) . وانتهار المسيئين امر نافع ولكن ان كنا نلقى دررنا قدام الخنازير التى تعود فتمزقنا كان هذا هو البر الـكثير .

« ولا تكن حكيماً بزيادة » لا تـكن معجباً او مغتراً بمواهبك . لا تظن فى نفسك انك أحكم من كل من هم دونك، ولا تحاول ان تصدر لهم الاوامر او الارشادات او تدينهم. ولا تضع نفسك موضع المنتقد فتخطىء كل ما يقال او يفعل ، ولا تتداخل فيما لا يعنيك كأنك عالم بكل شيء وتستطيع ان تفعل كل شيء .

« لماذا تخرب نفسك » كما يفعل الأغبياء بتداخلهم في نزاع لا يعنيهم . لماذا تغضب ذوي السلطان وتعاند ولاة الأمور باعتراضاتك التي لا داعى لهـا وبخروجك عن حدك محاولة فى اصـلاح بعض المساوىء . « كن حكيما كالحيات » واحترس من الناس

٢ . ــ وأما عن الاشرار فانها ان لم تكف لاقناعهم للعدول عن الخطية فانها قد تصدهم وتمنعهم عن التوغل فيها . صحيح انه

قد يوجد « شرير يطول فى شره » ع ١٥ ولكن يجب أن لا يتخذ أحد ذلك حجة للتمادي في الشر ، كلا ! « لا تكن شريراً كثيراً » ع ١٧ لا تطلق لنفسك العنان . كثيرون من الذين لا يمكن التأثير عليهم بخوف الله وعذاب جهنم لترك الخطية قد يتركون تلك الخطايا التي تتلف صحتهم وتفني ثروتهم وتعرضهم للمحاكمة أمام الولاة الظالمين لدى قليل من التأمل . وكأن سليمان يقول هنا ان « السلطان لا يحمل السيف عبثاً » بل عيناه حادتان ويداه ثقيلتان « ومنتقم للغضب من الذى يفعل الشر » رو١٣: ٤، ولذلك فاحذر من أن تقع تحت طائلة قصاصه ولا تكن غبياً فتعرض حياتك للخطر « لماذا تموت فى غير وقتك »

من المحتمل أن يكون سليمان قد قصد من هذين التحذيرين الاشارة الى بعض رعيته الذين كانوا ينفرون من حكمه والذين قادوا الثورة بعد موته مباشرة . والظاهر ان بعض رعيته كانوا ينظرون لخطايا حاكمهم ـ سليمان ـ فاضطر أن يقول لهم « لا تكن باراً كثيراً » ، والبعض الآخر قد ملوا من حكمه الصارم ومن خدمة الهيكل ورغبوا في اقامة ملك آخر فاضطر أن يرهبهم بالانتقام منهم على ارتكابهم للفتن ومخالطتهم للمتقلبين .

(٥) والحكمة ترشدنا في الوقت نفسه لعدم المغالاة في السلوك في أى طريق بل تحفظنا دائماً متممين واجبنا وهذا أسلم طريق وأحسن عاقبة ع ١٨ : « حسن أن تتمسك بهذا » أى

أى بهذه الحكمة وبهذا الاهتمام ولا توقع نفسك في فخاخ كثيرة.. « وأيضاً أن لا ترخى يدك عن ذاك ». لا تطفيء حرارة جدك واجتهادك ولا تضعف عزائمك عن السلوك في طريق الفضيلة وضبط النفس . اكبح جماح شهواتك التى تريد ان تجمح بك الى الشر « كفرس أو بغل بلا فهم » مز ٣٢ : ٩ ، وبعد أن تكبح جماحها « لا ترخ يدك عنها » لئلا يكون مثلها ان أطلقت لها العنان كمثل المياه التى ان انسابت يكون من الصعب حجزها ثانية . كن ذا ضمير طاهر وفي الوقت نفسه كن حريصاً ومحترساً ودرب نفسك على ذلك . اضبط نفسك بقواعد الدين فتجد « ان متقى الرب يخرج من كليهما » أى من كل الضيقات والصعوبات التي يعرض نفسه لها الذى لا يتقى الرب . ان تقوى الرب ومخافته هى تلك الحكمة التى تستطيع ان تخرجنا من كل الضيقات والشدائد. ان متقي الرب لا تكون أمامه سوى غاية واحدة يسعى نحوها ولذلك تجده مستقيما في كل ما يفعل . ومن الوجهة الأخرى أيضاً قد وعد الرب متقيه أن يرشدهم ولا يثبت خطواتهم فى الطريق المستقيم فقط بل يبعدها أيضاً عن كل طريق وعر مز٣٧: ٢٣و٢٤.

(٦) والحكمة تعلمنا كيف نسلك من نحو خطايا الآخرين واساءاتهم التى تعمل على اقلاق راحتنا أكثر من أي أمر آخر

١ ــ فالحكمة تعلمنا بان لا ننتظر أن نجد كل من نعاشرهم بلا لوم ولا عيب لاننا نحن انفسنا لسنا بلا عيب ولن يمكن ان

يوجد أي شخص بلا عيب حتى اتقى الناس واكثرهم صلاحا .
هذه « الحكمة تقوي الحكماء » وتحميهم من الاخطار التي
تنشأ عادة من الغضب ع ١٩ اذ انها تضبط شعورهم وعواطفهم .
فهي تعرفهم أن من يعاملونهم ويعاشرونهم ليسوا ملائكة
متجسدين بل ان هم الا بشر خطاة ، وانه حتى أكثر الناس
صلاحاً هم خطاة « لانه لا انسان صديق في الارض يعمل صلاحا
ولا يخطىء » ع ٢٠ . لقد صرح سليمان بذلك فى صلاته ١ مل
٨ : ٤٦ وفي امثاله ام ٢٠ : ٩ وفى وعظه هنا .

ملاحظات – (الاولى) انه من اخلاق « الصديق » ان
« يعمل الصلاح » لان الشجرة تعرف من ثمارها . (الثانية) أن اتقى
الناس واكثرهم عملا للصلاح لا يستطيعون ان يقولوا انهم بلا
خطية مطلقاً ، لانه حتى الذين قد تقدسوا ليسوا بلاخطية، ولانه
لن يوجد احد على الارض بلاخطية . « فان قلنا انه ليس لنا
خطية نضل انفسنا » ١يو ١ : ٨ (الثالثة) اننا حتى في عمل
الصلاح نخطىء فكل ما نعمله واحسن ما نعمله لا بد ان يعتريه
النقص بل الفساد . وكل ما نعمله من الصلاح كان يمكن أن يتمم
على وجه أحسن ولو كان مقبولا امام الله ، ونحن نعلم ان الاهمال
فى تأدية الواجب خطية كاهمال تأدية الواجب نفسه . (الرابعة)
ان الصديقين معرضون للخطية والضعف في هذه الحياة فقط
لان « ارواح الابرار » متى تخلصت من الجسد « تكملت » في

القداسة عب ١٢ : ١٣ وفي السماء « تعمل صلاحا ولا تخطىء »

٢ . ـ والحكمة تعلمنا أن لا نكون سريعي الانتباه الى اساءات الناس الينا بل أن نغض الطرف نحو الكثير مما يأتينا منها ونتصرف كأننا لم نرها ع ٢١ : « لا تضع قلبك على كل الكلام الذي يقال » . لا تؤلم نفسك من انتقادات الناس التي لا اصل لها عنك أو من افكارهم من نحوك بل كن « كأصم لا يسمع » مز ٣٨ : ١٣ و ١٤ . لا تكن كثير الميل لمعرفة ما يقوله الناس عنك ، لانهم ان كانوا يتكلمون عنك خيراً زاد ذلك في كبريائك وان كان شراً حرك عواطفك واثار شعورك . اذاً فليكن همك الوحيد محصوراً في ارضاء الله واراحة ضميرك ، وبعد ذلك لا تهتم بما يقال عنك . وكما يقول المثل الانكليزي « ان السماعين قلما سمعوا خيراً عن انفسهم » فان اهتميت بكل كلمة تقال عنك ربما « تسمع عبدك يسبك » وهو يظن انك لا تسمعه ، وان فتحت اذنك للنمامين قد يخبرونك ان عبدك يسبك وليس ذلك الا زوراً وبهتاناً ام ٢٩ : ١٢ . وقد يكون ذلك صحيحاً ، وقد تسمع أنت بنفسك من وراء الستار فتسمع انك تسب وتلعن من أحقر طبقة ، من خادم ، بل من خادمك نفسه الذي كان يجب عليه المدافعة عنك وعن اسمك وعن جميع مصالحك . وقد يكون ذلك خادماً أحسنت اليه فجازاك شراً وهذا يزيدك غضباً وهيجاناً ، فكان خيراً لك لو لم تسمعه . وقد يكون خادماً اسأت اليه

وظلمته ولانه لا يستطيع ان يشكو اليك امره فهو يشكو الى الآخرين والى الله فتى سمعته اشترك معه ضميرك فى الشكوى فاشتدت عليك وخزات الضمير القاسية واقلقت راحتك . ان صيت اعظم الناس الحسن موقوف على الرحمة والاحسان حتى لاصغر الناس . وقد نسمع من الناس شراً يقال عنا اكثر مما كنا نفتكر ومن أناس ما كنا نظنهم يتكلمون عنا هكذا . فان كنا نهتم بكل كلمة تقال عنا فنحن نعمل على اقلاق راحتنا والتحقير من شأننا مهما ادعينا أننا نأتى ذلك غيرة علينا

٣ . ـ والحكمة تذكرنا بغلطاتنا ع ٢٢ : لاتهيج ممن يسبونك أو يضمرون ويحبون لك الشر « لانك انت كذلك مراراً كثيرة » لو تأملت في نفسك وراجعت ضميرك لحدثك قلبك بانك « سببت آخرين » تكلمت عنهم بالشر ووددت لهم الشر ، فانت يكال لك الآن بالكيل الذى كلت به .

ملاحظة . ـ ان أتتنا اى اساءة او حل بنا اى شر فمن الحكمة ان نراجع ضمائرنا لنعرف ان كنا قد فعلنا ذلك بالآخرين ، فان وجدنا بعد التأمل اننا قد فعلناه بالآخرين فلننتهز تلك الفرصة للتوبة عنه ولتبرير الله في كل ما يعمل . وان كنا نتألم من انفسنا حقاً كما يجب بسبب قذفنا في حق الآخرين وانتقادهم لقل تألمنا من الآخرين بسبب قذفهم في حقنا وانتقادنا. ويجب ان « نظهر كل وداعة لجميع الناس لاننا كنا نحن ايضاً

قبلا اغبياء» تي ٣ : ٢و٣ ؛ مت ٧ : ١ و ٢ ؛ يع ٣ : ١ و ٢

---

٢٣ كل هذا امتحنته بالحكمة . قلت أكون حكيما . أما هي فبعيدة عني ـ ٢٤ بعيد ما كان بعيداً والعميق العميق من يجده ـ ٢٥ درت أنا وقلبي لاعلم ولابحث ولاطلب حكمة وعقلا ولاعرف الشر انه جهالة والحماقة انها جنون ـ ٢٦ فوجدت أمر من الموت المرأة التي هي شباك وقلبها اشراك ويداها قيود . الصالح قدام الله ينجو منها أما الخاطيء فيؤخذ بها ـ ٢٧ أنظر . هذا وجدته قال الجامعة . واحدة فواحدة لاجد النتيجة ـ ٢٨ التي لم تزل نفسي تطلبها فلم أجدها . رجلا واحداً بين ألف وجدت أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد ـ ٢٩ أنظر . هذا وجدت فقط ان الله صنع الانسان مستقيما . أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة

كان سليمان في كل ما مضى يبرهن بطلان العالم وعدم كفايته لاسعاد الانسان أما الآن فيبدأ في ايضاح شر الخطية ونتيجتها

المؤكدة في اشقاء الانسان ، وهذا يقوم بالبرهان عليه ـ كذلك ـ من اختباره الذي كلفه الحصول عليه نفقات طائلة . هنا نراه اكثر من اي مكان آخر في هذا السفر يظهر في نفسه صفات التائب الحقيقي. هنا يتأمل فيما كان يبحثه ويخبرنا ان ما قاله هو ما كان يعرفه وواثقاً منه وما كان عازماً على ان يعيش بحسبه : « كل هذا امتحنته بالحكمة » ع ٢٣ . والآن نرى : ـ

(أولا) انه يعترف بنقائص حكمته ويرثي لها . لقد كانت له الحكمة الكافية التي يرى بها بطل العالم ويختبر بها ان هذا العالم لا يكفي ان يتخذه الانسان نصيباً لنفسه من هذه الحياة ، ولكن عند ما اراد التعمق في البحث وجد نفسه في حيرة شديدة فعيناه اظلمتا وقواه خانته ووجد انه ولو استطاع ان يعرف ذلك بالحكمة الا ان هنالك اموراً كثيرة لم يستطع معرفتها والبرهان عليها بالحكمة

(١) فأبحاثه كانت دقيقة . لقد أعطاه الله ميزة الادراك والفهم أكثر من كل من سبقه ومن لحقه ، لانه قد خصه بقسط وافر جداً من الحكمة ، وكانت الفرص سانحة له ليوسع مداركه ويعظم شأنه اكثر مما سنحت لاى شخص آخر ، ولذلك فانه :

١ . ـ عزم على ان يصل الى المرمى الذي كان يقصده بقدر المستطاع : « قلت اكون حكيما » . لقد كان يسعى نحو الحكمة كأمر ثمين جداً ، وكان يقصدها بعزم ثابت كأمر سهل الحصول

عليه ، ووطد العزم على ان لايتنحى عنها ام ١٨ : ١ . كثيرون لايحصلون على الحكمة لانهم لم يعزموا على الحصول عليها اما سليمان فكانت الحكمة هي كل مايبتغيه ويصوب نحوه جهوده . وحتى عند ما اراد اختبار لذة الشهوات الجسدية كان واضعاً نصب عينه ان « يلهج قلبه بالحكمة » ص ٢ : ٣ دون ان تحول عن متابعتها ، ولكن ربما لم يجده من السهل الذى كان يتوقعه ان يبقى متمسكا بالحكمة فى الوقت الذى كان يمتع نفسه بملذات الجسد . وعلى اى حال فرغبته كانت حسنة وهى كما قال « ان اكون حكيما »

٢ . — وعزم ان لا يدخر وسعاً في هذا السبيل ع ٢٥ : « درت انا وقلبى » درت انا وقلبي في كل طريق ، لم اترك واسطة الا واستخدمتها للحصول على مقصدي . درت انا وقلبى « لاعلم ولابحث ولاطلب حكمة » لاكون ملماً بكل علم نافع وبكل فلسفة وبعلم اللاهوت . لو لم يكن قد حصر كل مجهوداته في البحث والتنقيب والدرس لكان من الجهل ومن السخرية ان يقول انه اشتهى ان « يكون حكيما » لان الذين يريدون الحصول على غاية ما عليهم ان يسلكوا الطريق المؤدية الى تلك الغاية . انه لم يحصر بحثه في معرفة الامور السطحية فقط بل اراد التعمق فى البحث لمعرفة الامور البعيدة عن نظر الناس ، وهو لم يقصر ابحاثه على طريق قصير وبعد ذلك رجع قافلا لانه لم يجد ما كان

يطلبه ولكنه تعمق في البحث ودار في كل طريق ، وهو لم يبحث لمعرفة الامور فقط بل لمعرفة اسبابها ونتائجها ايضاً ليستطيع ان يعطى وصفاً دقيقاً عنها

(٢) ولكن رغماً عن كل ذلك لم تأت تلك الابحاث بالنتيجة المطلوبة : « قلت اكون حكيما . اما هي فبعيدة عنى » لم استطع ان ألم باطرافها . بعد كل تلك الابحاث عرفت انى لا اعرف شيئاً ، وكلما ازددت معرفة كلما وجدت ان هنالك اموراً كثيرة يجب معرفتها وكلما ازددت ايقاناً بجهلي . « بعيد ما كان بعيداً والعميق العميق من يجده » والذي يقصده هنا من البعيد والعميق هو الله نفسه واعماله ، فانه عندما كان يبحث في الله وفي اعماله كان يجد نفسه في شديد الحيرة والارتباك . « هو اعلى من السموات فماذا عساك ان تفعل . اعمق من الهاوية فماذا تدرى » اى ١١ : ٨ . ولكن شكراً لله لان كل مايجب علينا عمله سهل وواضح كل الوضوح « كلها واضحة لدى الفهيم ومستقيمة لدى الذين يجدون المعرفة » ام ٨ : ٩ « والكلمة قريبة منا » رو ١٠ : ٨ ؛ على ان هنالك اموراً كثيرة اشتاق لمعرفتها ولكنها بعيدة وعميقة جداً وهى من الاسرار التى لاتخصنا . وربما كان من الجهل المطبق والخطأ الفادح من سليمان ان يشكو هنا من ان ملذاته قد اعمت عينيه ووضعت عليها غشاوة فلم يستطع الوصول الى الحكمة الحقيقية التي كان يقصدها .

(ثانيا) وهو يعترف بمظاهر غباوته ويرثى لها لانه ازداد في هذه الغباوة بقدر نقصانه في الحكمة . هنا نجد : —

(١) بحثه عن شر الخطية : « درت انا وقلبي . . . لاعرف الشر انه جهالة والحماقة انها جنون » لاحظ هنا : —

١ . — ان معرفة الشر صعبة المنال ، فسليمان عانى كثيراً من المشقات في سبيل الوصول اليها . ان للشر كثيراً من الاثواب التي يتستر بها ويتوارى عن أعين الناس ، ومن الصعب جداً نزع تلك الاثواب عنه ليظهر في شكله الحقيقي .

٢ . — ومن الضروري ان أردنا التوبة عن الخطية ان نعرف شرها جيد للمعرفة كما انه من الضروري لشفاء اى مرض ان نعرف اصله واسبابه واضراره . ولهـذا فقد عظم بولس الرسول الناموس لانه كشف له النقاب عن الخطية رو ٧ : ٧ . وسليمان الذي قد حصر مجهوده في الملذات وفي اتباع شهواته الجسدية في ايام غباوته نراه وقد فتح الله عينيه يحصر مجهوده في معرفة شر الخطية وبذلك يسيج توبته بحصن منيع . ان الحاذقين في الشر يجب ان يكونوا حاذقين ايضاً في التوبة ، لان الحذق والذكاء يجب ان يكونا من ضمن غنائم الرجل القوى المتسلح التي يقسمها الرب يسوع ويوزعها على شعبه الظافر المنتصر .

٣ . — ويحسن جداً بالتائبين ان يشنعوا في الخطية بقدر ما يستطيعون ولـكي يزداد سليمان في اخضاع نفسه واذلالها نراه : —

ا . — يزداد فى التعمق فى معرفة شر الخطية . فاكثر ما كان يوجه نحوه جهوده ان « يعرف الشر انه جهالة » وربما يقصد بذلك شره هو شخصياً ، أي خطية النجاسة التى ارتكبها هو ، لان هذه كانت تدعى « قباحة (او جهالة) في اسرائيل » تك ٣٤ : ٧ ، تث ٢٢ : ٢١ ، قض ٢٠ : ٦ ، ٢ صم ١٣ : ١٢ . انه عند ما كان يرتكبها كان مستخفاً بها ، أما الآن فانه يريد معرفة شرها بل « شرها العظيم » كما يصفها يوسف تك ٣٩ : ٩

وربما يقصد بها شر الخطية بنوع عام ، فأغلب الناس يميلون لتخفيف خطاياهم بقولهم انهم فعلوها « بجهالة » ، اما سليمان فيرى الشر كل الشر في هذه الجهالة وانها اهانة لله وتعذيب للضمير . « هذا شر » ار ٤ : ١٨ ، زك ٥ : ٨

ب . — ويزداد فى التعمق في معرفة جهالة الخطية . فكما انه يوجد شر فى الجهالة كذلك توجد جهالة فى الشر ، بل « حماقة وجنون » . ان الخطاة المصرين على خطاياهم هم جهلاء ومعتوهون ، فهم يعملون ضد العقل وضد مصلحتهم الحقيقية .

(٢) نتيجة هذا البحث

١ . — لقد كشف له النقاب الآن اكثر من أى وقت آخر عن شر تلك الخطية العظمى التى ارتكبها هو نفسه وهى « محبة نساء غريبة كثيرة » ١ مل ١١ : ١ . هذا هو الامر الذى يرثى له بمرارة وبأرق العبارات .

ا . ـ انه وجد ان مجرد ذكر الخطية محزن جداً . فما أشد

وطأتها وما اثقلها على نفسه ، ويا لعمق الاحزان التى كان يغوص فيها لمجرد التفكير فيها والتأمل فيما ارتكبه من الشر والجهالة والحماقة والجنون . « وجدت هذا أمر من الموت » عندما كان يتأمل فيها كان يعتريه الرعب كأنه تحت قبضة الموت . فكل من يضعون خطاياهم نصب أعينهم يئنون ويصرخون منها ، لانها مرة كالحنظل بل مرة كالموت لكل التائبين الحقيقيين . وللنجاسة على الضمير وخزات اقسى من وخزات الموت . بل ان الموت قد يكون شريفاً ومريحاً اما هذه الخطية فلا يمكن الا ان تكون عاراً والماً ام ٥ : ٩ و ١١

ب . — ووجد ان التجربة التى تجر الانسان للخطية خطرة جداً ، وانه من الصعب بل من المستحيل على الذين يستسلمون للتجربة ان يتخلصوا من الخطية وعلى الذين يسقطون في الخطية ان يرجعوا عنها بالتوبة . ان قلب المرأة الزانية « اشراك » فهى تستعمل في هلاك الانفس نفس المهارة والخداع اللذين يستعملهما الصياد لصيد الطيور فى فخاخه واشراكه ، والطرق التي تستعملها مضللة ومهلكة مثل الاشراك . والنفوس الغافلة تصاد فى تلك الاشراك بطعم اللذة الذى تأكله وتظن انها تجد فيها اللذة والراحة ولكنها سرعان ما تقع فى تلك الشراك حيث لامفر ولا منفذ .

« ويداها قيود » تمسك بها كل من يقع فى قبضة يدها ، فهو « بحبال خطيته يمسك » ام ٥ : ٢٢ . ان الشهوة تزداد قوة متى تممت.

ج . ـ ووجد ان من أسمى مظاهر محبة الله للانسان ان يحفظه من تلك الخطية بنعمته : « الصالح قدام الله ينجو منها »

اما بعدم تعرضه للتجربة للوقوع فى تلك الخطية او بعدم انغلابه للتجربة . فالذين ينجون من تلك الخطية يجب ان يعترفوا بان الله هو الذى نجاهم وانهم لم ينجوا بقوتهم الشخصية ، ويعترفوا بان هذه رحمة عظيمة من الله . والذين يريدون أن ينجوا من تلك الخطية عليهم ان يكونوا « صالحين قدام الله » ويرضوه فى كل شيء بحفظ شعائره (لا ١٨ : ٣٠)

د . ـ ووجد ان هذه الخطية هى أعظم عقاب يمكن أن يحل بالانسان فى هذه الحياة : « والخاطىء يؤخذ بها » . (اولا) ان

الذين يستسلمون للخطايا الاخرى التي تعمى بصائرهم وتدنس ضمائرهم يكون من السهل جداً وقوعهم في تلك الخطية . (ثانياً) والله بعدل وحق يتركهم لانفسهم فيقعون فيها ، انظر رو ١: ٢٧ و ٢٨ ، اف ٤ : ١٨ و ١٩

٢ . ـ كذلك قد كشف له النقاب الآن اكثر من اي وقت آخر عن فساد الطبيعة البشرية العام . انه يتتبع ذلك المجرى حتى يصل الى منبعه كما فعل ابوه من قبل في ظرف كهذا مز ٥١ : ٥ « هانذا بالاثم صورت »

ا . ـ فهو قد حاول ان يعرف مقدار تعدياته وعددها ع ٢٧: « انظر . هذا وجدته » اي هذا ما رجوت ان اجده ، ظننت اني

استطيع ان أعرف غلطاتي واصفها في قائمة، او على الاقل مواضيعها، ظننت اني استطيع عدها « واحدة فواحدة لاجد النتيجة ».

اراد كاتب ان يعرفها حتى يعترف بها ؛ ولذلك فبقدر مانعرف خطايانا بالتفصيل واحدة فواحدة في الاعتراف بقدر ما نشعر بقيمة الغفران . وأراد ايضاً كواعظ ان يعرفها ليستطيع ان يحذر الآخرين .

ملاحظه . — يجب علينا كلما عرفنا خطايانا ان نزداد رغبة للتعمق في معرفة عيوبنا حتى يكشف لنا مالم نكن نراه من قبل اى ٣٤ : ٣٢

ب . — ولكنه في الحال وجد نفسه فى حيرة وأدرك انها لاتحصى ع ٢٨ : « التى لم تزل نفسى تطلبها » أني لا ازال احصيها ولا ازال راغباً فى معرفة النتيجة ولكنى « لم اجدها » لااستطيع حصرها . لا ازال اجد اكتشافات جديدة ومدهشة عن اخطار الشر الذى يملأ قلبي ار ١٧ : ٩ و ١٠ « من يعرفه » ، « السهوات من يشعر بها » مز ١٩ : ١٢ . انه وجد انه لو ناقشه الله الحساب أو لو حاسب هو نفسه عن كل افكاره وكلماته وأعماله لما استطاع « أن يجيبه عن واحد من الف » اى ٩ : ٣ . وهذا يوضحه بمقارنة فساد قلبه وحياته بفساد العالم حيث لم يجد رجلا صالحاً واحداً بين الالف الابالجهد « رجلا واحداً من الف وجدت » بل انه من الالف امرأة وسرية التى كانت له لم يجد امرأة واحدة

صالحة « أما امرأة فبين كل اولئك لم اجد » . وربما كان يحدثه قلبه ايضاً هكذا : انى عندما استعيد ذاكرتي وأتأمل فى افكارى وكلماتى وأعمالي وكل تصرفات حياتى الماضية قد لا اجد الا فكرة صالحة أو عملا صالحاً واحداً بين الالف ، أما البقية فيعتريها النقص أو الفساد . انه قد وجد انه أخطأ حتى فى فعل الصلاح ع ٢٠ . والاكثر من ذلك انه فى وقت زيغانه وميل قلبه وراء النساء الغريبات قد لا يوجد عمل صالح واحد بين الالف . عند ما تسمو حياتنا وتصلح سيرتنا قد تفتش في قلوبنا فلا نجد فيها سوى القليل من الخير ، بل قد لا نجد فيها شيئاً مطلقاً في بعض الاحيان .

ولا شك فى ان سليمان لا يقصد في كلامه هنا الحكم على النساء بوجه عام ، كلا ! فقد يوجد بل قد وجد بعض نساء أصلح من الرجال اع ١٧ : ٤ و١٢ ، ولكنه يقصد فقط الاشارة الى اختباراته وظروفه المحزنة .

وربما استطعنا ان نعلل كلامه هذا بتعليل آخر وهو انه قد حذرنا فى سفر الامثال من اشراك الرجل الشرير والمرأة الغريبة ام ٢ : ١٢و١٦ ، ٤ : ١٤ ، ٥ : ٣ ، أما الآن وقد علم واختبر ان طرق المرأة الشريرة أشد خطراً من طرق الرجل الشرير وان خداعها وغواياتها أبعد للوصول الى معرفتهما من خداع وغوايات الرجل فانه يحذرنا منها بنوع أخص ويقرر بان نجاسة قلب المرأة لا يمكن الوصول الى معرفتها.

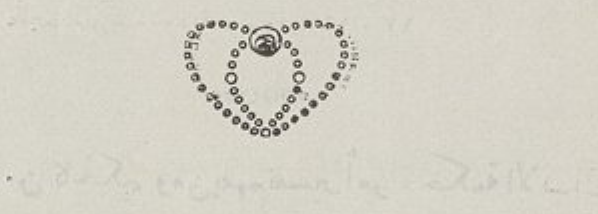
ج . ـ وهو لذلك يتتبع مجرى الخطية حتى ينبوعها الاصلي.

ان مصدر كل حماقة وجنون في هذه الحياة هو في ابتعاد الانسان عن الله وتركه حالة صلاحه الأولى ع ٢٩ . « أنظر هذا وجدت فقط » اني وان كنت لم أستطع معرفة التفاصيل الا ان النتيجة الاجمالية واضحة كل الوضوح وهي ان الانسان فاسد ومتمرد وليس على الصورة التي خلق فيها . لاحظ هنا :ـ

اولا ـ كيف خلق الله الانسان بحكمته وصلاحه : « ان الله صنع الانسان مستقيما » (أو « صنع آدم الانسان الاول » حسب النسخة الكلدانية) . عند ما خلق الله الانسان خلقه « مستقيما » كما يليق بخليقة ناطقة عاقلة . « مستقيما » اى لاشيء من الشذوذ أو العيب فيه او « الاختراعات الكثيرة » التي مال وراءها فيما بعد. عند ما خرج الانسان من يد الله كان صورة مصغرة من صانعه المعروف عنه بانه « صالح ومستقيم » مز ٢٥ : ٨

ثانياً ـ كيف فسد وتشوهت خلقته بسبب حماقته وفساده :ـ « أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة » أو « اختراعات عظيمة » (كما يقرأها البعض) لكي يكونوا عظماء كالله تك ٣ : ٥ . او « اختراعات العظماء » (كما يقرأها البعض الآخر) من الملائكة التي سقطت . ان الانسان عوضاً عن ان يقنع بما اوجده له الله طلب تحسين حالته ، وما مثله في ذلك الا مثل الابن الضال الذي ترك بيت ابيه ليطلب لنفسه مركزاً وعملا افضل . وعوضاً عن ان يعيش لله عاش للكثيرين ، وعوضاً عن اتمام مقاصد الله

يسعى فى اتمام اختراعاته . انه يريد ان يتصرف كما يشاء ويسير وراء عواطفه وامياله . الانسان الفاسد يريد ان يكون احكم من خالقه ولذلك « طلب اختراعات كثيرة » . ان الذين يتركون الله يتيهون فى برية هذا العالم ولا يجدون نهاية لضلالهم . ان خطايا الانسان تزداد كل يوم عن سابقه ، ولذلك فسليمان لم يستطع احصاءها ولكنه وجد انها كثيرة جداً . فللخطية انواع شتى وهذه تتكرر كل يوم . انها « اكثر من شعر رؤوسنا » مز ٤٠ : ١٢



الاصحاح الثامن

في هذا الاصحاح نرى سليمان يصف لنا الحكمة كاعظم دواء يدرأ عنا اخطار التجارب التى تنشأ عادة من بطلان العالم . وفيه نجد (أولا) فوائد الحكمة وحسناتها ع ١ (ثانياً) بعض امثال من الحكمة (١) فعلينا ان نخضع خضوعا تاما للسلطة والحكومة التى اقامها الله علينا ع ٢-٥ (٢) وان نستعد لطوارىء الفجائية وبنوع اخص للموت الفجائى ع ٦ - ٨ (٣) وان نحتمل الحكومة الظالمة ولا نظنه امرا غريبا ان كانت كذلك ع ٩ و ١٠ . وان كان عدم قصاص الظالمين يجعلهم يتوغلون في شرورهم ع ١١ الا ان النتيجة ستكون خيرا للمتقين وشرا للظالمين ع ١٢ و ١٣ ولذلك فيجب ان لا يعثرنا ان نرى الاشرار ناجحين والابرار متألمين فى هذه الحياة ع ١٤ (٤) ان نتمتع بخيرات الله بفرح وبهجة قلب ع ١٥ (٥) ان نخضع لارادة الله بكل ارتياح وسرور ونخشع امام مشورته التى لا يستطيع العقل البشري الوصول الى عمقها عالمين بانها رشيدة وعادلة وصالحة ع ١٦ و ١٧

٠٠٠٠٠٠٠

١ من كالحكيم ومن يفهم تفسير أمر . حكمة الانسان تنير وجهه وصلابة وجهه تتغير ـ ٢ أنا أقول احفظ أمر الملك وذلك بسبب يمين الله ـ ٣ لا تعجل الى الذهاب من وجهه . لا تقف فى امر شاق لانه يفعل كل ما شاء ـ ٤ حيث تكون كلمة الملك فهناك سلطان . ومن يقول له ماذا تفعل

• حافظ الوصية لا يشعر بامر شاق وقلب الحكيم يعرف الوقت والحكم

في هذه الاعداد نجد :

(أولا) ثناء عن الحكمة ع ١ أي عن التقوى الحقيقية المصحوبة في كل اعمالها ومظاهرها بالفطنة والذكاء والحكمة . ان الرجل الحكيم هو الرجل الصالح الذي يعرف الله ويمجده ، والذي يعرف نفسه ويحسن اليها ، وحكمته تصير له سعادة عظمى .

(١) لانها تعظمه وترفعه عن اقرانه : « من كالحكيم » .

(ملاحظة) ان الحكمة السماوية ترفع صاحبها لدرجة لا ينافسه فيها منافس . فمن كانت له نعمة حقيقية وكان مقبولا امام الله صار أفضل بكثير ممن خلى من النعمة مهما كان عالماً أو شريفاً أو غنياً .

(٢) وتجعله نافعاً لاقرانه : « من يفهم تفسير أمر » سوى الحكيم ، أي يفهم أوقاته وظروفه ودقائقه وبذلك « يعرف ما يجب ان يعمله اسرائيل » ١ أي ١٢ : ٣٢ .

(٣) وهي تجمل الانسان وتحسنه في نظر أقرانه ، فهي « تنير وجهه » كما كان وجه موسى ينير عند نزوله من الجبل . انها تلبس الانسان كرامة وتكسبه شهرة وتزيده احتراماً ووقاراً

كايوب ص ٢٩ : ٧ الخ ، وتجعله محبوباً وعزيزاً في أعين أهل بلده .
« وصلابة وجهه تتغير » بواسطتها فتتحول الى بشاشة ووداعة.

بل هي تغير حتى أولئك الخشني الطبع بطبيعتهم وتصيرهم ودعاء ولطفاء وتعلمهم ان يكونوا باشين .

(٤) وهي تقوى الانسان ضد خصومه وضد مكائدهم واساءاتهم : « وصلابة وجهه تتغير » أو « وعر وجهه يضاعف » (انظر هامش الكتاب) انها تزيده شجاعة ليبقى على نزاهته وأمانته لانها تمكنه من الدفاع عن الحق ومن فهم كل الامور وتفسيرها : « انه لايخزى بل يكلم الاعداء في الباب» مز ١٢٧ : ٥

(ثانيا) مثالا من أمثلة الحكمة التي يذكرها لنا سليمان

وهو الخضوع للسلطان واطاعة الحكومة التى أقامها الله علينا . لاحظ هنا

(١) كيف يصف واجبات الرعية

١ . ـ يجب ان نلاحظ القوانين . يجب ان نخضع لاوامر ونظامات السلطة المدنية فى كل ما تتداخل فيه سواء في الامور التشريعية أو القضائية « أنا أقول » أو أنا آمر لا كملك فقط

بل كواعظ ايضاً لانه يملك كليهما ؛ أنا أقول لكم ـ مهما قال الآخرون المتلونون ـ انه من ضمن مظاهر الحكمة ان « تحفظ امر الملك » اخضع لكل من اعطى السلطان . « لاحظ فم الملك» (حسب النص الاصلي) أي قل كما يقول هو وافعل كما يأمرك

ودع كلماته قانوناً أو بالحري دع القانون كلمته .

يظن البعض ان العبارة التالية تحديد لتلك الطاعة التي يأمرنا بها كأنه يقول « احفظ أمر الملك » وفي الوقت نفسه ضع نصب عينيك « يمين الله » أي لا تنس ان يكون لك ضمير صالح وان لا تهمل فى واجباتك من نحو الله التى هى أفضل من واجباتك من نحو الملك . « اعط ما لقيصر لقيصر » ولكن في الوقت نفسه لا تنس ان « تعطي ما لله لله »

٢ . ـ يجب ان لا نتسرع فى ان نخطىء الادارة العامة أو نقاوم كل ما لا يقبله عقلنا او نترك وظيفتنا التى نقوم بخدمة فيها للحكومة بسبب أي نزاع شخصي ع ٣ « لا تعجل الى الذهاب من وجهه » عند ما يغضب عليك ص ١٠ : ٤ اوعند ما تغضب انت منه ، لا تهرب وانت فى حدتك ولا تترك خدمته او مملكته بسبب أي أمر يسيئك . لقد سار رعية سليمان على العكس من هذه الوصية بمجرد موته فانهم عند ما جاوبهم رحبعام بغلظة وفظاظة « تعجلوا الى الذهاب من وجهه » ولم يتريثوا حتى يتشاوروا أو يتفاوضوا معاً بل صرخوا في الحال « الى خيامك يا اسرائيل » . قد يكون هنالك سبب معقول « للذهاب من وجهه » ولكن مع كل ذلك « لا تتسرع » في الامر بل تصرف بكل ترو وتبصر .

٣ . ـ ويجب ان لا نصر على الخطأ ان ظهر لنا « لا تقف في امر شاق » (او في امر شرير) ان ارتكبت جرماً في حق

الرئيس او الملك فانتهر نفسك من اجله ولا تحاول تبرير نفسك في ارتكابه لان ذلك يزيده شناعة . وان قصدت شراً للملك بسبب عدم رضائك عنه فلا تتممه بل « ان حمقت بالترفع وان تآمرت فضع يدك على فمك » ام ٣٠ : ٣٢ . (ملاحظة) ان كنا نجرب في بعض الاحيان بالشر وبفعل الشر فلا ينبغى لنا الوقوف فيه حالما يظهر لنا بانه شر .

٤ . — ويجب ان نوفق أنفسنا على ظروفنا ، لان في ذلك راحة لنا ان كنا نظن اننا قد أسيء الينا وتخفيفاً للمصائب العامة: « قلب الحكيم يعرف الوقت والحكم » ع ٥ انه من حكمة الرعية ان يراعوا ويبحثوا عن أنسب الظروف وأحسن الطرق التى بها يخدمون ملكهم وبذلك يهدئون روعه فى وقت الغضب وينالون رضاءه . فاستير في مقابلتها لاحشويرش راعت كلا من « الوقت والحكم » وبهذه الطريقة نجحت فى مسعاها . قد تتخذ هذه كقاعدة عامة للحكمة ان يعمل كل امر فى أنسب وقت له ؛ وبذلك تنجح كل مساعينا .

(٢) الحجج التى يدلى الينا بها هنا ليعلمنا الخضوع للسلطات العليا ، وهى تشابه كل الشبه تلك الحجج التى ذكرها بولس الرسول رو ١٣ : ١ الخ

١ . — يجب ان نخضع لتلك السلطات العليا « بسبب الضمير» رو ١٣ : ٥ وهذا أقوى مبدأ للخضوع . يجب ان نخضع

« بسبب يمين الله » يمين الطاعة الذى به آلينا على أنفسنا ان نكون أمناء للحكومة ، « العهد الذى بين الشعب و بين الملك » ٢ أى ٢٣ : ١٦ . لقد قطع داود عهداً مع جميع شيوخ اسرائيل ١ أى ١١ : ٣ مع انه كان معيناً عليهم ملكا من الله . « احفظ امر الملك » لانه قد أقسم ان يملك عليك بخوف الله ولانك قد أقسمت ان تكون أميناً له . انه قد دعى « يمين الله » لان الله شاهد عليه وسينتقم ممن يكسره .

٢ . ـ « بسبب الغضب » أى بسبب السيف الذى يحمله الملك و بسبب السلطان الذى اؤتمن عليه الامر الذى يزيده عظمة : فانه « يفعل ما يشاء » . ان له سلطاناً عظيما وقدرة عظيمة لحفظ هذا السلطان ع ٤ : « حيث تكون كلمة الملك فهناك سلطان » ان أصدر أمراً وجد الكثيرين لينفذوه الامر الذى يجعل « حنق الملك كزمجرة الاسد ورسل الموت » ام ١٩ : ١٢ ، ١٦ : ١٤ . « ومن يقول له ماذا تفعل » فمن خالفه عرض نفسه للخطر . أن الملوك لا يحتملون أن يروا أوامرهم تناقض بل ينتظرون ويحبون أن تطاع . وبالاختصار أن من يزحم البحر يغرق لانه ليس هنالك اقل تناسب بين أى فرد من الرعية و بين الملك .

٣ . ـ بسبب راحتنا نحن : « حافظ الوصية » الذى يعيش حياة هادئة « لا يشعر بامر شاق » وهذا يشبه ما قاله بولس في

رو ١٣: ٣ « أفتريد أن لا تخاف السلطان ، افعل الصلاح » كاحد افراد الرعية المخلصين الامناء وعندئذ « يكون لك مدح منه ». أن من لا يفعل الشر لا يشعر بالشر ولا يخاف من أى شخص في الحياة .

○○○○○○

٦ لان لكل أمر وقتاً وحكماً لان شر الانسان عظيم عليه ـ ٧ لانه لا يعلم ما سيكون . لانه من يخبره كيف يكون ـ ٨ ليس لانسان سلطان على الروح ليمسك الروح ولا سلطان على يوم الموت ولا تخلية فى الحرب ولا ينجى الشر أصحابه

قرر سليمان فى ع ٥ ان « قلب الحكيم يعرف الوقت والحكم » اى ان حكمة الانسان تنبئه بكثير من حوادث المستقبل ، اما هنا فيبين ان هذه الحكمة لا يحصل عليها الا القليلون وانه قد يدهش احكم الحكماء من حادثة تحل بهم لم يكن لهم اقل فكرة عنها ، ولذلك فمن الحكمة ان ننتظر الحوادث والتغييرات الفجائية ونستعد لها . لاحظ هنا : —

(١) ان كل الحوادث الخاصة بنا معينة بمشورة الله وسابق علمه ووقتها محدد . « لان لكل امر وقتاً » وقتاً محدداً وهو

انسب وقت لانه قد تحدد بالحكمة والحق لا بالجهل والاثم

(٢) نحن نجهل كل الجهل جميع ما يختص بحوادث المستقبل وباوقاتها وظروفها : « لانه من يخبره كيف يكون » ومتى يكون؟

ع ٧ . فالانسان لايستطيع انيراه ولايمكن لاحد ان يخبره عنه، ولا يمكن للنجوم أو السحرة ان تخبره بما سيكون . فالله بحكمته أخفى عنا معرفة كل حوادث المستقبل حتى نكون على استعداد للطوارىء فى كل حين .

(٣) وانه من شقائنا وتعاستنا ان لا نعرف كيف نتجنب الشر ونتقيه اتكالا على اننا لا نستطيع ان نتنبىء عنه قبل وقوعه ، وان لا نعرف كيف ننتفع من الظروف الحسنة اتكالا على اننا لا نستطيع معرفتها قبل مجيئها : « لان لكل امر » طريقاً واحداً وخطة واحدة وفرصة واحدة مناسبة لذلك « فشر الانسان عظيم عليه » لانه من الصعب جداً الوصول الى ذلك الامر بل ان الفشل في الوصول اليه مؤكد تسعمائة تسعة وتسعين فى الالف . ان معظم الشقاء الذى يرزح تحته الانسان كان من الممكن التخلص منه لو كان فى استطاعته رؤيته قبل وقوعه . والناس يشقون ويتعبون لانهم تنقصهم بعض الحكمة والفطنة والانتباه .

(٤) ومهما استطعنا التخلص من بعض الشرور الا اننا جميعاً تحت خطر دائم ألا وهو الموت ع ٨ .

١ . ـ فان حل الوقت الذى تطلب فيه النفس وجب علينا تسليمها لاننا لا نستطيع حجزها لا بالسيف ولا بالتوسل والتضرع ،لا بانفسنا ولا باحد اصدقائنا: « ليس لانسان سلطان على الروح (اي على روحه) ليمسك الروح » ان حل الوقت الذى ترجع فيه الى الله معطيها . انها لا تستطيع الهروب الى أي مكان للتخلص من يد الموت ولا تستطيع ان تتوارى من عين الموت ولو انها مخفية عن أعين جميع الاحياء .

ليس لانسان سلطان على تأجيل يوم موته ، ولا يمكنه تأجيل قصاصه مهما اكثر من التضرع والتوسل ، لان هنالك لا يقبل ضامن او ضمانة .

وليس لانسان سلطان على روح غيره ليمسكها ، فالملك او الامير بكل ما أوتي من سلطان لايستطيع اطالة حياة أي شخص من رعيته مهما سمت تلك الحياة ، ولا الطبيب بكل ما أوتي من براعة ، ولا الجندى بما لديه من بأس وشجاعة ، ولا الخطيب ببلاغته وفصاحته ، ولا القديس بتوسلاته . فان دنت ساعتنا الاخيرة لا يمكن شل يد الموت باي حال من الاحوال .

٢ . ـ والموت عدو لابد لنا من الصراع معه ان عاجلا او آجلا : « ولا تخلية في الحرب » (في تلك الحرب) لا يتخلص من الدخول فى ميدانه لا صاحب الاعمال ولا ضعيف القلب كما كان يحصل بين اليهود تث ٢٠ : ٥ و ٨ . اننا طالما كنا في هذه

الحياة فنحن نصارع مع الموت ولا نتخلص من هـذا الصراع حتى نتخلص من الجسد ويسود علينا الموت ، الصغير لا ينجو منه لصغر سـنه والـكبير لا ينجو لشيخوخته . الموت صراع لا بد من الاشتراك فيه ، فلا صديق ينوب عنا ، ولا قائد يحارب عنا ، بل لا بد لنا من الاشتراك فيه بانفسنا والتزود بكل مايلزمنا فيه كما يتزود الجندي وقت الحرب بجميع لوازمه الضرورية .

٣ . ـ وشر الناس الذى طالما نجوا به من عدل الملك وقصاصه لا يستطيع ان يخليهم من قبضة الموت « ولا ينجي الشر اصحابه »

فمهما قسا قلب الخاطىء كالصخر الا انه لا بد ان يلين امام مخاوف الموت ، ومهما « اعتز بفساده » مز ٥٢ : ٧ الا انه لا يستطيع ن يعتز امام الموت . ان اعظم الشرور لا تقوى على مراوغة الموت . بل ان الشر الذى يسلم الخطاة انفسهم اليه لا يفشل في تخليصهم من الموت فقط بل يسلمهم هو بنفسه الى قبضة الموت

oooooo

٩ كل هذا رأيته اذ وجهت قلبي لـكل عمل تحت الشمس وقتما يتسلط انسان على انسان لضرر نفسه ـ ١٠ وهكذا رأيت أشراراً يدفنون وضموا والذين عملوا بالحق ذهبوا من مكان القدس ونُسوا فى المدينة . هذا أيضا باطل ـ ١١

لان القضـاء على العمل الردىء لايجرى سريعاً فلذلك قد امتلأ قلب بنى البشر فيهم لفعل الشر ـ ١٢ الخاطيء وان عمل شراً مئة مرة وطالت أيامه الا اني أعلم انه يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه ـ ١٣ ولا يكون خير للشرير وكالظل لايطيل أيامه لانه لايخشى قدام الله

بعد ان حذرنا الجامعة في اول هذا الاصحاح من التداخل فى الفتن والمشاغبات نراه في هذه الاعداد يشجعنا ويقوى عزائمنا وقت سيادة الحكام الظالمين كالذين سبق ان اشتكى منهم في ص ٣ : ١٦ ، ٤ : ١

(١) لقد لاحظ حكاماً كثيرين كهؤلاء ع ٩ . انه لاحظ في كل المناظر التى رآها عن بني البشر واحوالهم انه كثيراً ما « تسلط انسان على انسان لضرر نفسه » اى

١ . ـ لضرر المحكوم (كما يؤولها الكثيرون) . فبدلا من ان يحكم الحكام « كخدام الله للصلاح » والخير رو ١٣ : ٤ لاجراء الحق وحفظ النظام والسلام بين رعيتهم فانهم يستخدمون سلطانهم لضررهم وسلب امتعتهم والحجر على حريتهم وتوطيد دعائم الظلم والجور . فيا لشقاء ذلك الشعب الذى يعمل حكامه على هدم اركان الدين وسلب حقوقه بدلا من العمل على حفظها .

٢ . ـ ولضرر الحاكم نفسه : « لضرر نفسه » أى لازدياد كبريائه ومطامعه ولاشباع شهواته الجسدية وتنفيذاً لرغبته في الانتقام أو بالحرى لاكمال مقياس خطاياهم والاسراع فى هلاكهم. وكما يقول المثل اللاتيني ان ما يعمله الناس من الضرر للآخرين سيعود بالضرر على انفسهم في النهاية .

(٢) ولاحظ انهم ينجحون فى أعمالهم ويزدادون في اساءة استعمال ما أوتوا من السلطان ع ١٠ : « رأيت أشراراً ... ذهبوا من مكان القدس » (أو دخلوا وخرجوا من مكان القدس) أى رأيت الحكام الاشرار يدخلون ويخرجون في عظمة من مكان القضاء الذى يدعى « مكان القدوس » لان « القضاء لله » تث ١ : ١٧ ولان الله « فى وسط الآلهة يقضى » مز ٨٢ : ١ ولانه يكون « مع القضاة في أمر القضاء » ٢ اى ١٩ : ٦ . ورأيتهم يستمرون طول أيام حياتهم في وظائفهم ولا يحاسبون عن سوء ادارتهم بل يموتون فى كرامة ويدفنون في عظمة .

« ونسوا في المدينة » التى فعلوا فيها هـذه الافعال فلم تذكر سيئاتهم بعد ارتحالهم .

أو بمعنى آخر ان ذلك يدل على بطلان عظمتهم وسلطانهم لان ملاحظته الأخيرة التى دونها فى نهاية هذا العدد هى ان « هذا أيضاً باطل » . فانهم ان افتخروا بثروتهم وسلطانهم وكرامتهم

وبجلوسهم « في مكان القدس » الا ان ذلك كله : —

١ . — لا يخلى أجسادهم من أن تدفن في التراب : « رأيتهم يدفنون » وعظمتهم التي رافقتهم الى القبر « لا تنزل وراءهم » مز ٤٩ : ١٧

٢ . — ولا يخلي أسماءهم من ان تدفن في زوايا النسيان فانهم « نسوا » كأنهم لم يكونوا

(٣) ولاحظ بان نجاحهم قد قسى قلوبهم فى عمل الشر ع ١١. ان ذلك يصدق على كل الخطاة بوجه عام وعلى الحكام الاشرار بوجه خاص : فلأن « القضاء على العمل الردىء لا يجرى سريعاً » فهم يظنون بانه لن يجرى أبداً ولذلك يحتقرون القانون « ويمتلىء قلبهم فيهم لفعل الشر » انهم يجرأون على ارتكاب شرور أعظم ويتوغلون في ارتكابها وهم مطمئنون ومستريحو البال وعديمو الخوف من أي سلطة أعلى . لاحظ : —

١ . — ان ديان السماء والارض العادل هو الذي يجرى القضاء على الشرور والاشرار ، على شرور الملوك والعظماء كما على شرور الادنياء .

٢ . — ان اجراء هذا القضاء طالما أبطأ قليلا فيبقى الخاطىء ليس بلا قصاص فقط بل نامياً وناجحاً

٣ . — وتأخير القصاص يقسى قلوب الخطاة في الشر ، وبكل أسف ان الخطاة الذين كان يجب ان يقتادهم لطف الله الى التوبة

تراهم يسيئون استعماله فتزداد اقدامهم بسببه رسوخاً في خطاياهم

٤ . ـ ان الخطاة يخدعون انفسهم بذلك ، لانه ولو ان « القضاء لا يجري سريعاً » الا انه سيجرى فى النهاية با كثر صرامة . والانتقام ولو أبطأ الا انه لابد آت، والغضب في نفس الوقت يذخر ليوم الغضب رو ٢ : ٥

(٤) وسبق ان رأى ان الغاية من كل هذه الامور ان تحفظنا من الاعتراض على العناية الالهية في كل ما تجريه معنا . انه يفرض ان حاكما شريراً يجرى ظلماً « مئة مرة » وان قصاصه قد أبطأ وان لطف الله وصبره من نحوه قد «طال» أكثر بكثير مما كان ينتظر وان ايام شره قد طالت واستمر في ظلمه ولكنه يوضح لنا بانه يجب ان لا تخور عزائمنا بسبب ذلك

١ . ـ فان شعب الله سعيد مهما حاق به من الظلم « انه يكون خير للمتقين الله » أى لاولئك « الذين يخافون قدامه » فقط

ملاحظتان . ـ (الاولى) أن اخلاق شعب الله مخافة الله وملء قلوبهم بمخافته والاهتمام بتأدية كل واجباتهم من نحوه وما ذلك الا لانهم يرون دائماً ان عيناه عليهم وانه من واجبهم ان يزكوا انفسهم قدامه . فعندما يكونون تحت رحمة الحكام الظالمين لا يخافونهم بقدر خوفهم لله . فهم لا يعترضون على عناية الله بل يخضعون لها

(الثانية) انه من سعادة أولئك « الذين يخافون قدام الله »

أن كل الامور تجرى لخيرهم حتى في اسوأ الظروف واحلكها
فتاعبهم لا يمكن ان تمس سعادتهم التى لهم في محبة الله أو شركتهم بالله.
ولذلك « فاني اعلم » حقاً ، اعلم من مواعيد الله ومن اختبارات

جميع القديسين بانه مهما ساءت الظروف مع الآخرين الا « انه
يكون خير للمتقين الله » . فكل شيء خير ان كانت نهايته خيراً .

٢ . — وان الاشرار حقاً اشقياء وتعساء مهما نجحوا وسادوا
لوقت قصير فان اللعنة مؤكدة لهم كما ان البركة مؤكدة للاتقياء :
« لا يكون خير للشرير » كما يظن الآخرون الذين يحكمون بحسب

الظواهر وكما ينتظرون هم انفسهم . نعم فان الله نطق عليهم بالويل
قائلا « ويل للشرير شر » اش ٣ : ١٠ و ١١ فهم سيحاسبون عن
كل ما عملوه من الشر ولا يمكن أن يصيبهم سوى الشر . وكما
قال سينكا الفيلسوف انه لا يحدث للاشرار ما يعود عليهم بالخير
بل كل ما يجلب عليهم الشر

ملاحظات . — (١) ان أيام الشرير « كالظل » لا لانها غير

حقيقية ومائلة للزوال فقط ككل ايام البشر بل لانها أيضاً لا فائدة
منها مطلقاً . ان أيام الرجل الصالح فيها بعض الكيان والوجود
لانه يعيش لغرض شريف ، أما ايام الشرير « فكالظل » كلها فارغة
وعديمة الفائدة . (٢) وهذه الايام « لا تطول » كما ينتظر وكما يعشم

نفسه . فانه « لا ينصف ايامه » اى لا يعيش نصف ايامه مز
٥٥ : ٢٣ . وهى وان « طالت » اكثر مما ينتظر الآخرون

ع ١٢ الا ان يومه سيأتيه سريعاً . انه سيخسر الحياة الابدية وبذلك تكون حياتهم الطويلة على الارض بلا فائدة ولا توازى يوماً واحداً . (٣) وسخط الله الشديد على الاشرار هو « لانهم لايخشون قدام الله » . وهذا هو سبب شرهم وفسادهم وهو الذى يبعد عنهم كل سعادة

OOOOOO

١٤ يوجد باطل يجرى على الارض أن يوجد صديقون يصيبهم مثل عمل الاشرار ويوجد اشرار يصيبهم مثل عمل الصديقين . فقلت ان هذا أيضاً باطل — ١٥ فمدحت الفرح لانه ليس للانسان خير تحت الشمس الا أن يأكل ويشرب ويفرح وهذا يبقى له فى تعبه مدة أيام حياته التى يعطيه الله اياها تحت الشمس

١٦ ولما وجهت قلبى لأعرف الحكمة وانظر العمل الذى عمل على الارض وانه نهاراً وليلا لا يرى النوم بعينيه — ١٧ رأيت كل عمل الله ان الانسان لا يستطيع ان يجد العمل الذى عمل تحت الشمس . مهما تعب الانسان فى

الطلب فلا يجده والحكيم أيضاً وان قال بمعرفته لا يقدر أن يجده .

لقد حار الحكماء والصالحون منذ القديم فى حل هذه المعضلة الا وهى : كيف يمكن ان يتفق نجاح الاشرار ومتاعب الابرار مع قداسة وصلاح الله الذى يدبر العالم كله . أما سليمان فيدلي الينا برأيه في هذا الموضوع ويعطينا بعض نصائح ثمينة

(اولا) فهو يريد منا ان لا نندهش من ذلك كأنه قد حصل أمر غريب لانه هو نفسه رآه في ايامه ع ١٤

(١) فهو رأى « صديقين يصيبهم مثل عمل الاشرار » ويتحملون متاعب جمة رغماً عن برهم وتقواهم ويرزحون طويلا تحت عبء هذه المتاعب والآلام كأنهم يعاقبون بها على شر فعلوه

(٢) ورأى « اشراراً يصيبهم مثل عمل الصديقين » وينجحون فى كل طرقهم كأنهم يجازون على خير أتوه . ان الامر المألوف بيننا هو أن نرى الصالحين يتألمون ويرتبكون والاشرار مستريحين ومطمئنين ، ان نرى الصالحين تنزل بهم العناية الالهية المصائب والبلايا والاشرار ناجحين ونامين وباسمى الثغور ، ان نرى الصالحين يوبخون وينتهرون وتهضم حقوقهم من السلطات العليا اما الاشرار فينالون استحسان الجميع ويفضلون عن سواهم .

(ثانيا) وهو يريد منا ان ننتهز هذه الفرصة لكى لا ننسب الشر لله بل ننسب البطلان للعالم . انه لا يمكن أن ينسب أى عيب لله ، أما من جهة العالم فهذا « باطل يجرى على الارض » وأيضاً « ان هذا أيضاً باطل » اى ان هذه دلالة واضحة على ان أشياء هذه الحياة ليست هى احسن الامور ولم يقصد منها ان تكون نصيباً كافياً او ينبوع سعادة لنا ، لانها ان كانت كذلك لما خص الله الد اعدائه بنصيب وافر من ثروة هذه الحياة واصدق اصدقائه بنصيب وافر من متاعبها . ولذلك فلا بد ان تكون هنالك حياة اخرى بعد هذه الحياة تكون فيها الافراح والاحزان حقيقية وقادرة على اسعاد أو اشقاء البشر الامر الذي لا تستطيعه افراح واحزان هذه الحياة

(ثالثا) وهو يريد ان لا نغيظ انفسنا أو نقلق راحتنا أو نربك عقولنا به بل ان نتمتع بفرح بما اعطانا الله من اشياء هذا العالم وان نقنع به وننتفع منه بقدر الاستطاعة ع ١٥ : « فمدحت الفرح » اى راحة الضمير المقدسة الناشئة من الثقة بالله وقوته وعنايته ومواعيده « لانه ليس للانسان خير تحت الشمس » (ولو ان الصالح له خيرات اعظم « فوق » الشمس) « من أن يأكل ويشرب » اى ان ينتفع بأمور هذه الحياة بتعقل وشكر

وكما يليق بمركزه « ويفرح » مهما نزلت به من الحوادث لان « هذا يبقى له فى تعبه » . هذا هو كل ما يستطيع أن يجنيه لنفسه من كل المتاعب التي يتكبدها فى تأدية اعمال هذه الحياة . فليجنها حينئذ تعود عليه بالخير الكثير ولا يحرم نفسه منها عن بخل اوطمع او عدم اكتفاء لان العالم لا يسير ولا يدوم كما يريد.

« هذا يبقى له مدة ايام حياته التى يعطيه الله اياها تحت الشمس » . ان حياتنا الحاضرة هى حياة « تحت الشمس » على اننا ننتظر « حياة الدهر الآتي » التى تبدأ وتستمر حينما « تتحول الشمس الى ظلمة » ولا تعود تنير بعد . ان الحياة الحاضرة يجب أن لا تعد الا « بالايام » . وهذه الحياة تعطى لنا وايامها تحدد لنا بحسب مشورة الله . ولذلك فطالما بقيت لنا فعلينا ان نخضع انفسنا لارادة الله ونتعلم كيف نتمم غايات الحياة .

(رابعا) وهو يريد ان لا نحاول في تعليل كل مايفعل الله لان « فى البحر طريقه وسبله في المياه الكثيرة وآثاره لم تعرف » مز ٧٧ : ١٩ ولذلك يجب ان نعترف بجهلنا التام بمعرفة طرق تدبير الله للعالم ع ١٦ و ١٧ . هنا نراه يبين : —

(١) انه هو وكثيرين غيره دققوا البحث للوصول الى سر نجاح الاشرار ومصائب الابرار . اما عن نفسه فانه قد « وجه قلبه ليعرف هذه الحكمة وينظر العمل الذي عمل (بواسطة

العناية الالهية) على الارض » ليعرف ان كانت توجد هنالك طريقة معلومة أو قانون ثابت تسير بها امور هذه الحياة السفلى أو أى طريق لادارة الكائنات ثابت كثبات طريق الطبيعة حتى بذلك نستطيع أن نكون على يقين مما سيحدث بعد الآن بمقارنته بما هو حاصل الآن كما هو الحال في القمر مثلا فاننا ان رأيناه في المحاق الآن عرفنا بالضبط متى يكون بدراً . هذا ما اشتهى ان يعرفه

أما عن الآخرين فانهم قد اقاموا انفسهم لهـذا البحث بكل تدقيق حتى انهم لم يجدوا وقتاً « نهاراً أو ليلا ليروا النوم باعينهم » ولم يجدوا أى ميل للنوم لشدة اهتمامهم وارتباكهم بهـذه الامور . ويظن البعض أن سليمان يتكلم عن نفسه هنا وانه لم ير النوم بعينه لشدة اهتمامه بهذا البحث

(٢) وان كل هذه المجهودات قد ذهبت ادراج الرياح ع ١٧. فعنـد ما ننظر الى « كل عمل الله » وعنايته ونقارن عملا بآخر « لانستطيع أن نجد » أن هنالك طريقـة معلومة سار بموجبها « العمل الذى عمل تحت الشمس » لانستطيع أن نعرف من انفسنا أو ممن سبقونا شيئاً عن العمل الذى عمل الآن أو الذى سيعمل غداً .

١ . ـ « مهما تعب الانسان فى الطلب » وبذل كل مجهود في هذا السبيل

٢ . ـ ومهما عظم ذكاؤه وحكمته « والحكيم أيضاً » اى مهما كان حكيما فى الامور الاخرى واستطاع ان يدرك حتى مقاصد الملوك انفسهم ويتتبع آثارها من خطواتهم

٣ . ـ بل ومهما كان واثقاً جداً من النجاح « وان قال بعمرفته ، لايقدر ان يجده » . ان طرق الله فوق طرقنا وهو لا يرتبط بالماضى ، ولكن « احكامه لجة عظيمة » مز ٣٦ : ٦



الاصحاح التاسع

في هذا الاصحاح نرى سليمان لزيادة البرهان على بطلان هذا العالم يدلي الينا باربع ملاحظات استخلصها من حالة البشر (١) فهو لاحظ ان الصالحين والاشرار يصيبهم عادة نصيب واحدة فيما يختص بالامور الظاهرية ع ١ - ٣ (٢) وان الموت يضع الحد الفاصل لاعمالنا وتنعماتنا في هذه الحياة ع ٤ - ٦ ومن ذلك يستنتج انه من الحكمة ان نتمتع بمسرات الحياة ونهتم باعمال العالم طالما بقينا فيه ع ٧ - ١٠ (٣) ان العناية الالهية طالما أخفقت مساعى البشر وهدمت كل آمالهم وان المصائب طالما باغتت البشر قبل ان يفطنوا اليها ع ١١ و ١٢ (٤) وان الحكمة طالما صيرت الناس نافعين ولكنها مع ذلك طالما اكسبتهم قليلا من الاحترام ، لان اكثر الناس نفعاً اكثرهم عرضة للاحتقار — ع ١٣ - ١٨

اذاً فاي شيء في الحياة يحببنا فيها ؟

ooOOoo

١ لان هذا كله جعلته في قلبي وامتحنت هذا كله ان الصديقين والحكماء وأعمالهم في يد الله . الانسان لا يعلم حباً ولا بغضاً . الكل امامهم ـ ٢ الكل على ما للكل . حادثة واحدة للصديق وللشرير للصالح وللطاهر وللنجس. للذابح وللذى لا يذبح . كالصالح الخاطيء . الحالف كالذى

يخاف الحلف ـ ٣ هذا أشر كل ما عمل تحت الشمس ان حادثة واحدة للجميع وأيضاً قلب بني البشر ملآن من الشر والحماقة فى قلبهم وهم أحياء وبعد ذلك يذهبون الى الاموات .

مما لوحظ عن أولئك الذين ادعوا البحث عن حجر الفلاسفة انهم ولو لم يجدوا ضالتهم المنشودة الا انهم قد توصلوا الى عدة اكتشافات واختبارات أخرى اثناء هذا البحث . كذلك كان الامر مع سليمان فانه عند ما « وجه قلبه ليعرف عمل الله » كما رأينا فى آخر الاصحاح الماضى وبذل مجهوداً كبيراً في هذا البحث ويئس من العثور على بغيته عثر على ما عوض عليه اتعابه الكثيرة الماضية وأراح قلبه بعض الراحة ، وهذا ما يخبرنا عنه هنا «لان هذا كله جعلته فى قلبي» وتأملت فيه ملياً ، «وامتحنت هذا كله » (او لكي اعلن هذا كله) لكى اعلنه فيكون فيه خبر للآخرين .

(ملاحظة) ان ما يجب ان نعلنه ونذيعه علينا ان نتأمل فيه قبلا ، علينا أن نتأمل مرتين قبل ان نتكلم مرة ، وما قد تأملنا فيه يجب ان نعلنه . « آمنت لذلك تكلمت » .

ان المشكلة العظمى التى صادفت سليمان فى درسه سفر العناية الالهية هى ذلك الفرق البسيط الذى وجده بين الصالحين

والاشرار فيما يختص بتوزيع التعزيات والمصائب وتصرفات الحوادث . فهذا الامر طالما اربك عقول الكثيرين من الحكماء والمفكرين . وفي هـذه الاعداد نرى سليمان يبحث فى هـذا الامر ، ومع انه لا يحاول ان يكتشف عمل الله هذا الا انه يذكر لنا ما يمنعه عن ان يكون عثرة لنا .

(أولا) فهو قبل ان يصف التجربة ويبين شدتها نراه يضع امامنا حقيقة عظمى لا تقبل النزاع عزم على التمسك بها . وهى لو اعتقدنا بها كانت كافية لتدرأ عنا شر تلك التجربة . وهى الطريقة الوحيدة التى قاوم بها أولاد الله هـذه التجربة . فايوب قبل البحث في هذا الامر نراه يذكر عقيدة علم الله بكل الامور اى ٢٤ : ١ ، وارميا يذكر عقيدة بر الله ار ١٢ : ١ ، ونبي آخر يذكر قداسـة الله حب ١ : ١٣ ، والمرنم يذكر صلاحه ومحبته الخالصة لشعبه مز ٧٣ : ١ . وهذا نفس ما يريد أن يضعه سليمان هنا نصب عينيه ويتمسك به ، فانه ان كان يظهر ان الخير والشر يوزعان على الناس بوجه معكوس الا أن الله يعني عناية خاصة بشعبه : « أن الصديقين والحكماء واعمالهم فى يد الله » تحت

ارشاده وحمايته الخاصة ، كل مصالحهم يجريها هو لخيرهم ، كل اعمالهم الرشيدة والصالحة « في يده » ليجازيهم عنها فى الدهر الآتي ولو لم يجازهم عنها في هـذا الدهر . انه قد يظهر انهم قد سلموا في يد اعدائهم ولكن الامر ليس كذلك . ليس للناس

سلطان على بعضهم لو لم يكونوا قد اعطوه من فوق يو ١٩ : ١١.
وان ما يصيب البشر من الحوادث لا يأتيهم اعتباطاً بل بحسب
ارادة الله ومشورته . فمهما اصابنا من الحوادث لنذكر بان جميع
قديسي الله في يده وبذلك نريح انفسنا تث ٣٣ : ٣ ، يو ١٠ : ٢٩
ومز ٣١ : ١٥

(ثانيا) ثم يضع لنا هذا القانون وهوان محبة الله وبغضته
لا تقاس بحسب ظواهر الناس الخارجية . فانه ان كان نجاح
الانسان دليلا مؤكداً على محبة الله وان كانت المصائب دليلا على
بغضته لاعثرنا جداً ان نرى الاشرار والصالحين يتساوون فى
نصيبهم منهما . ولكن الامر ليس كذلك « فالانسان لا يعلم
حباً ولا بغضاً ـ الكل أمامهم » في هذا العالم ، اى لا يعلم ان كان
حباً او بغضاً بحسب الامور المنظورة . هذان نستطيع ان
نعرفهما فى قلوبنا ـ بالامور غير المنظورة ، فان كنا نحب الله من
كل قلوبنا عرفنا بذلك انه يحبنا ، كما نعرف اننا تحت غضبه ان
كنا نسلك بحسب الجسد الذي هو عداوة له . هذان ـ اى محبة
وبغضة الله ـ نستطيع معرفتهما بما سيصير بعد ذلك اى بحالة
الناس الابدية . فمن المؤكد انسعادة او شقاء الانسان تتوقفان
على محبة الله او بغضته له وليس على ابتسامات العالم او تكشير
انيابه له . ولذلك فان كان الله يحب البار ـ وهذا هو الحاصل
فعلا ـ فهو سعيد مهما كشر العالم عن انيابه له ، وان كان

يبغض الشرير وهذا هو المؤكد فهو شقي مهما ابتسم له العالم .
ومن ذلك يتضح انه لا محل للشكوى من اختلاط توزيع حوادث وصروف الدهر

(ثالثا) وبعد ان وضع تلك المبادىء العامة نراه الآن يعترف بأن « الكل على ما للكل » (او الكل يأتي للجميع على السواء) فان كان هذا ما حصل في القديم فليس من المستغرب ان يحصل الآن ، ان يحصل لنا ولعائلاتنا . يظن البعض ان ما جاء في هذا العدد والذي يليه (ع ١٢ و ١٣) هو احتجاج الملحدين ضد عقيدة العناية الالهية ولكني ارجح بانه تصريح سليمان نفسه الذي صرح به باكثر حرية الآن بعد ان قرر تلك الحقائق التي تكفي لحفظنا من اساءة استعمال هذا التصريح .
لاحظ هنا في ع ٢ : —

(١) الفرق العظيم بين اخلاق البار واخلاق الشرير ، وهذا واضح كل الوضوح دلالة على ان الصلاح بين والفساد بين ولا يمكن اختلاطهما مهما كان « الكل على ما للكل » (او مهما « أتى الكل للجميع على السواء »)

١ . ـ فالبار « طاهر » طاهر اليدين ونقي القلب مز ٢٤ : ٤ ، اما الشرير « فنجس » تحت سلطان الشهوات النجسة ، « طاهر في عيني نفسه وهو لم يغتسل من قذره » مز ٣٠ : ١٢ . حقاً ان الله سيميز بين الطاهر والنجس وبين الغث والثمين في العالم الآتي ولو

ظهر لنا انه لا يميز بينهما في هذا العالم .

٢ . — والبار دعاه سليمان هنا بانه « ذابح » اي يراعى عبادة الله بحسب ارادته ، يعبده فى الظاهر والباطن . اما الشرير « فلا يذبح » اى يهمل عبادة الله ويأبى عمل اى شيء يمجد الله . « من هو القدير حتى يعبده » اى ٢١ : ١٥

٣ . — والبار « صالح » صالح فى عيني الله ، يعمل الصلاح فى العالم . اما الشرير « خاطىء » يتعدى نواميس الله وقوانين البشر ويغضب الله والانسان

٤ . — والشرير يحلف « حالف » لا يحترم اسم الله بل يدنسه بالحلف بتسرع وباطلا . اما البار « فيخاف الحلف » لا يحلف ابداً ، وان اقسم فبكل حذر واحتراس ، انه يخاف الحلف لانه يعتبره تعهداً امام الله واشهاداً لله عليه ، وهو ان حلف يخاف ان يحنث لان الله منتقم عادل .

(٢) الفرق البسيط بين حالة البار وحالة الشرير فى هذا العالم « حادثة واحدة للجميع » فان كان داود غنياً فنابال ايضاً غنى ، وان كان يوسف محبوبا من ملكه فهامان ايضاً محبوب ، وان كان آخاب قد قتل في الحرب فهكذا ايضاً يوشيا ، وان كان التين الردىء يحمل الى بابل فهكذا ايضاً التين الجيد ار ٢٤ : ١ و ٢ .

يوجد فرق شاسع بين الباعث والقصد وطبيعة الحادثة التى تحدث للواحد وبين الباعث وقصد وطبيعة نفس الحادثة التى تحدث للآخر ، كذلك يوجد فرق شاسع بين نتائج الحادثة الواحدة التى تحدث للاثنين ، فالحادثة التى تكون للواحد « رائحة حياة لحياة » قد تكون للآخر « رائحة موت لموت » ولو انه لا يظهر اى فرق بينهما في الظاهر .

(رابعا) وهو يعترف بان ذلك امر محزن للحكماء والصالحين « هذا أشر كل ما عمل تحت الشمس » ع ٣ لم يضايقنى ولم يتعبني امر كهذا « ان حادثة واحدة للجميع » فان ذلك يقسى قلب الملحدين وفاعلى الشر لان « قلب بني البشر ملآن من الشر » بسبب ذلك « وامتلأ فيهم لفعل الشر » ص ٨ : ١١ . فانهم عندما يرون ان « حادثة واحدة للصديق وللشرير » يعرفون من ذلك ان الجميع على السواء فى نظر الله صديقين كانوا ام اشراراً ولذلك يطلقون لشهواتهم العنان .

(خامسا) ولزيادة ايضاح هذه الصعوبة وازاحة الستار عنها نراه يختم بحثه باثبات شقاء الاشرار مهما كانوا ناجحين كما بدأه باثبات سعادة الابرار مهما عظمت آلامهم ، لانهم هم واعمالهم « في يد الله » ولا يمكن ان يكونوا فى يد احسن : « الحماقة

في قلبهم وهم احياء ، وبعد ذلك يذهبون الى الاموات » .

لذلك لاتحسد الاشرار ان رأيتهم ناجحين

(١) لانهم « حمقى (اومجانين) وهم احياء» وليست كل المسرات واللذات التى يتمتعون بها سوى كأحلام مبهجة وكتخيلات المجانين. انهم مجانين باصنامهم ار ٥٠ : ٣٨ ومجانين ضد شعب الله اع ٢٦ : ١١.عندما ندم الابن الضال قيل عنه «رجع الى نفسه» لو ١٥:١٧ وهذه تدل على انه كان فاقدا رشده قبل الآن .

(٢) ولانهم بعد قليل يموتون . أنهم يحدثون جلبة عظيمة « وهم احياء » ولكنهم بعد قليل « يذهبون الى الاموات » وهنالك يوضع حد لعظمتهم وسلطانهم ، وحينئذ يحاسبون عن حماقتهم وتوغلهم في الشر . فالبار والشرير وان تساويا ـ بحسب نظرنا ـ قبل الموت الا انه ما ابعد مسافة الخلف بينهما بعد الموت

---

٤ لانه من يستثنى . لكل الاحياء يوجد رجاء فان الكلب الحي خير من الاسد الميت ـ ٥ لان الاحياء يعلمون انهم سيموتون . اما الموتى فلا يعلمون شيئا وليس لهم اجر بعد لان ذكرهم نسى ـ ٦ ومحبتهم و بغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد الى الابد فى كل ما عمل تحت الشمس

٧ اذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيب لان الله منذ زمان قد رضى عملك – ٨ لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ولا يعوز رأسك الدهن – ٩ التذ عيشا مع المرأة التى احببتها كل ايام حيوة باطلك التى اعطاك اياها تحت الشمس طول ايام باطلك لان ذلك نصيبك فى الحيوة وفى تعبك الذى تتعبه تحت الشمس – ١٠ كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لانه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى انت ذاهب اليها

لقد غبط سليمان – في وقت انفعاله – الاموات الذين ماتوا اكثر من الاحياء ص ٤ : ٢ اما هنا فنراه يغير رأيه بعد ان تأمل في امتيازات الحياة وهى الاستعداد للموت والتأكد من الدخول في حياة افضل .

(اولا) انه يظهر امتيازات الاحياء على الاموات ع ٤–٦

(١) فطالما كانت الحياة فهنالك « يوجد رجاء » . وكما قال المثل اللاتيني : في كل نسمة اتنفسها يوجد لى رجاء

من ضمن امتيازات الاحياء انهم يكونون مرتبطين ببعضهم (نص « لكل الاحياء » هكذا : « لكل المرتبطين بالاحياء »)

فهم مرتبطون ببعضهم بصلة القرابة وفي التجارة وفي جميع المعاملات

الاخرى ، وطالما كانوا كذلك « فيوجد لهم رجاء » فان ساءت حالة شخص لاي سبب من الاسباب « فيوجد رجاء » لتحسينها وان كان « القلب ملآنا من الشر والحماقة فيه » ع ٣ « فيوجد رجاء » لتغييره بنعمة الله طالما بقيت الحياة فيه . ولكن بعد « ان يذهب بنو البشر الى الاموات » فالفرصة قد ضاعت وحينئذ يبقى الفاسد فاسداً الى الابد. وان كان هنالك شخص عديم المنفعة الا انه طالما كان حياً « فيوجد له رجاء » للاثمار لان الحي لا بد ان يكون ذا منفعة ولو قليلة اما الميت فلا فائدة منه ترجى. — من الوجهة العالمية . ولذلك « فان الكلب الحي خير من الاسد الميت » فاحقر انسان حي يتمتع بهذه الحياة ويستطيع ان يؤدي للعالم من الخدمات ما لا يستطيعه اعظم ملك ميت

(٢) وطالما كانت الحياة باقية فالفرصة باقية للاستعداد للموت : « لان الاحياء يعلمون » مالا يعلمه الاموات ، وبنوع خاص يعلمون « انهم سيموتون » ونتيجة هذه المعرفة هى انهم يستعدون ـ او على الاقل يفكرون في الاستعداد ـ لذلك التغيير العظيم الذى سيحل بهم فجأة

(ملاحظة) « ان الاحياء » لايمكن الا ان « يعلموا انهم سيموتون » وانهم لا بد ان يموتوا . انهم يعلمون انهم تحت حكم الموت. ويا لعظم فائدة تلك المعرفة، لانه ما هو عملنا فى هذه الحياة سوى الاستعداد للموت

« ان الاحياء يعلمون انهم سيموتون » اي ان الموت سيحدث مستقبلا ولذلك تحتم علينا ان نعد المؤونة اللازمة له فالاموات يعلمون انهم اموات ولكن فرصة الاستعداد للموت قد مضت

(٣) واذا انتهت الحياة انتهى معها كل ما نملك فى هذا العالم

١ . — اى انتهت كل معرفة لنا عن هذا العالم وكل ما فيه : « الموتى لا يعلمون شيئاً » مما كانوا يعلمونه وهم احياء . ومن ذلك يظهر انهم لا يعرفون شيئاً عما يفعله خلفاؤهم لانهم ينتقلون الى « ارض ظلمة » اى ١٠ : ٢١ و ٢٢

٢ : — وانتهت كل مسراتنا فى هذا العالم : « ليس لهم اجر بعد » لكل ما تكبدوه من المتاعب في هذه الحياة بل يتركون كل ما حصلوا عليه منها للآخرين . صحيح ان لهم اجراً على اعمالهم المقدسة الروحية اما اعمالهم العالمية فليس لهم اجر عليها. فالاطعمة والجوف سيبيدان كلاهما يو ٦ : ٢٧ ، ١ كو ٦ :١٣

وفي ع ٦ نرى تفسيراً لهذه العبارة : « ولا نصيب لهم بعد الى الأبد في كل ما عمل تحت الشمس » ان امور هذا العالم لا يمكن ان تكون نصيباً للنفس لانها ليست « نصيباً الى الابد» والذين يختارونها لانفسهم لا يحصلون الا على « نصيبهم في حياتهم » فقط مز ١٧ : ١٤ . فالعالم لا يمكن للانسان التمتع به الا فى حياته لانه ليس « نصيبا الى الابد »

٣ . — وانتهى ذكرنا . انه لا يوجد الا القليلون الذين يبقى ذكرهم طويلا اذ القبر هو ارض النسيان « لان ذكرهم — اي ذكر الذين ضموا الى القبر — نسى » سريعا ، « وموضعهم لا يعرفهم بعد » مز ١٠٣ : ١٦ ولا الاراضى والممتلكات التي اطلق عليها اسمهم .

٤ . — وانتهت محبتنا ، صداقتنا وعداوتنا : « ومحبتهم وبغضتهم وحسدهم هلكت منذ زمان » لانه قد هلك الذين يحبونهم والذين يبغضونهم وانتهى نجاح الآخرين الذين يحسدونهم . ان الموت يفصل بين المحبين ويضع حداً لمحبتهم وبين الاعداء ويضع حداً لعداوتهم . وكما يقول المثل اللاتيني : ان الانسان ان مات يموت معه عمله . في الحياة الاخرى لا تنفعنا صداقة الآخرين ولا تؤذينا عداوتهم وحسدهم . « هناك يكف المنافقون عن الشغب » اى ٣ : ١٧ . هناك لا يعود يبقى اثر لافراحنا او اتراحنا

(ثانيا) ومن ذلك يستنتج سليمان انه من الحكمة ان ننتفع من الحياة بقدر استطاعتنا طالما بقيت وان نحسن التصرف فيما بقى منها .

(١) فلنتمتع بمسرات الحياة طالما كنا أحياء ولننل نصيباً من ملذاتها بفرح وابتهاج قلب . بعد أن وقع سليمان فى فخاخ الملذات الجسدية نراه يحذر الآخرين من اخطارها لا بالامتناع

عنها مطلقا بل بالتعقل والاعتدال في استعمالها ، لأننا لنا الحق في استعمال العالم ولكن ليس لنا الحق فى اساءة استعماله ، لنا أن نحصل على ما يمكن الحصول عليه ولا ننتظر شيئاً اكثر.

فى هذه الاعداد نرى . —

١ . ان سليمان يذكر لنا تفاصيل ذلك الفرح وابتهاج القلب . ان كنت خائر القوى وحزينا « فاذهب » فى طريقك واسع في اصلاح حالك

ا . — ارح روحك وابهج قلبك وكن في « فرح وقلب طيب » يستطيع التمييز بين الافراح العالمية والمسرات الروحية . يجب ان نسر انفسنا ونسر مع اصدقائنا ومع اهلنا ولكن يجب فى الوقت نفسه ان نحرص اشد الحرص على ان لا يحدث ما يكدر صفونا في هذه المسرات . يجب ان نشكر الله ونسبحه ونحن ننتفع بخيراته التي يجزلها علينا ، ونوزع منها على الآخرين بكرم وسخاء كى لا يثقل كاهلنا بكثرة الاهتمام بالامور العالمية . يجب ان نأكل خبزنا كالاسرائيليين « ليس فى حزننا » تث ٢٦ : ١٤ وكمسيحيين « بابتهاج ونشاط قلب » اع ٢ : ٤٦ انظر ايضاً تث ٢٨ : ٤٧

ب . — وتمتع بما يعطيك الله من مسرات وخيرات « كل خبزك واشرب خمرك » لاخبز وخمر غيرك ؛ ولا « خبز الكذب والشر وخمر الظلم » ام ٢٦ : ١٧ ، ٤ : ١٧ بل ما تحصل عليه بنزاهة وشرف والا فلا تستطيع ان تأكله بلذة وفرح او

تنتظر بركة عليه : « كل خبزك واشرب خمرك » اللائقين بك وبمركزك ، فلا تأكل او تشرب باسراف اكثر مما يليق بك او ببخل اقل مما يناسبك . انفق ما قد اعطاك الله في الاغراض التي لاجلها قد اؤتمنت عليه عالماً انك لست الا وكيلا عليه .

ج . — اظهر فرحك وبهجة قلبك ع ٨ : « لتكن ثيابك في كل حين بيضاء » ليكن هنالك تناسب في نفقاتك ، فلا تقلل من طعامك او لباسك بل كن نظيفاً ورشيقاً ولا تكن متهاملا في لباسك .

او بمعنى آخر « لتكن ثيابك بيضاء » علامة على الفرح والابتهاج اللذين قد عبر عنهما الكتاب « بثياب بيض » رؤ ٣ : ٤ . ولزيادة ايضاح فرحك « لا يعوز رأسك الدهن » اي دعها ملائمة للدهن . ولقد قبل مخلصنا علامة الفرح هذه في وليمة مت ٢٦ : ٧ وداود يذكر بأن هذه كانت من ضمن الخيرات التي اجزلها الله عليه : «مسحت بالدهن رأسي» مز ٢٣ : ٥

وليس هذا معناه ان نحصر كل سعادتنا في المسرات العقلية او الجسدية أو نضع عليها قلوبنا بل نتمتع بكل ما يعطينا الله بفرح في حدود التعقل والحكمة والعفة غير ناسين الفقراء

د . — وكن على وفاق مع اقاربك : « التذ عيشا مع المرأة التي احببتها » لا تحتكر كل المسرات لنفسك دون أن تهتم بمن هم حولك بل دعهم يقتسمونها معك . لتكن لك امرأة لانه

حتى في الجنة « لم يكن جيداً ان يكون الانسان وحده » تك ٢ : ١٨ . التصق بامرأتك ، بامرأة واحدة ولا تعدد الزوجات لأن سليمان قد رأى شر ذلك . التصق بها وحدها ولا تكن لك صلة بامرأة اخرى . فكيف يعيش الانسان بسعادة مع شخص لم يخلص له ؟ احب زوجتك، لأن « المرأة التي احببتها » تستطيع ان « تلتذ عيشاً معها » . وأن ادينا الواجب مع اقاربنا حق لنا ان ننتظر منهم المنفعة . انظر ام ٥ : ١٩ . عش مع امرأتك والتذ بعشرتها . التذ عيشاً معها وكن باشاً طالما كنت معها . عش سعيداً مع عائلتك التي شبهها داود « بالكرمة وغروس الزيتون » مز ١٢٨ : ٣

٢ . — بعد ذلك يذكر لنا الصفات اللازمة لذلك الفرح وابتهاج القلب : افرح وكن ذا قلب طيب ان كان « الله قد رضى عملك » . فان كنت متصالحاً مع الله وان كانت كل اعمالك مقبولة امامه حق لك ان تفرح وتبتهج والا فلا يحق لك . « لا تفرح يا اسرائيل طرباً كالشعوب لانك قد زنيت عن الهك » هو ٩ : ١ . يجب ان يكون اول ما تهتم به هو ان تكون في سلام مع الله وتنال رضاه وتعمل كل ما يرتضيه وبعد ذلك « اذهب كل خبزك بفرح »

(ملاحظة) ان الذين قد قبل الله عملهم يحق لهم بل يجب ان يفرحوا ويبتهجوا، فان كنت تأكل خبزك بفرح وتشرب خمرك بقلب طيب فاعلم بأن « الله قد رضي عملك » . وان كنت

تؤدي خدماتك الدينية بفرح فهي ترضى الله لانه يحب ان يرى خدامه يغنون ويتهللون وهم يؤدون عملهم لانه هو « المعلم الصالح »

٣ . — اما الاسباب التي تحتم علينا ان نعيش بفرح فاثنان

ا . — لان ذلك مما يسهل عليك عبور برية هذا العالم : ان « كل ايام حياتك » ليست الا « ايام باطلك » فليس في الحياة هنا سوى التعب والشقاء . فان كانت هموم واحزان الحياة لا حصر لها فبقدر الامكان « التذ عيشاً » ولا تربك نفسك بالاهتمام بالغد لانه « يكفى اليوم شره » تغلب على بطلان هذا العالم برزانتك وتعقلك .

ب . — ولان هذا هو كل ما تستطيع الحصول عليه من هذا العالم : « ذلك نصيبك فى الحياة » اما فى الله وفى الحياة الاخرى فستنال نصيباً افضل وجزاء اعظم لكل اتعابك التي تعانيها في الامور الروحية ، واما عن « تعبك الذى تتعبه تحت الشمس » فى الامور العالمية فهذا كل ما يمكنك ان تنتظره ولذلك فلا تحرم نفسك منه

(٢) ولنواظب على اعمال الحياة طالما بقيت لنا الحياة وننتفع بمسراتها لكى تؤهلنا لهذه الاعمال : لذلك فكل خبزك بفرح وقلب طيب لا لكى تستريح نفسك كما ظن ذلك الغبى لو ١٢ : ١٩ بل لكى تزداد نفسك تعبا فيكون فرح الرب قوتها وعضدها ع ١٠ : « كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك »

لاحظ هنا : -

١ . - ليس في هذه الحياة ما يجب ان نحصل عليه فقط بل ما يجب ان « نفعله » ايضا ، وان الخير الرئيسى الذى يجب ان نسعى نحوه هو الخير الذى يجب ان نفعله ص٢ : ٣٠ . فهذه الحياة حياة العمل اما الحياة الاخرى فحياة المجازاة ، وهذه الحياة حياة الاستعداد للابدية ، فيتحتم علينا ان نعمل طالما كنا فيها .

٢ . - ان الظروف تعين العمل . فما يجب ان يفعل هو « ما تجده يدنا لتفعله » وما تدعو اليه الحاجة . واليد العاملة لا بد ان تجد فى كل حين ما تفعله ، وهذا يأتي بالخير الجزيل . ان ما يجب عمله وما تدعونا اليه الحاجة لا بد ان تنال ايدينا اجرتها فى اتمامه ام ١٧ : ١٦

٣ . - يجب ان نتمم هذا الذى تدعونا اليه الحاجة طالما بقيت لنا الفرصة ، « ونفعله بقوتنا » بعناية زائدة وشدة قوية وعزم ثابت مهما عظمت الصعوبات ومثبطات العزائم التي تصادفنا . ان وقت الحصاد وقت جد وعمل . ان عبادة الله واتمام خلاصنا يجب ان يؤديان بكل ما في استطاعتنا .

٤ . - وهنالك سبب معقول جدا يدعونا « ان نعمل اعمال الذى ارسلنا ما دام نهار لانه يأتي ليل حين لا يستطيع احد ان يعمل » يو ٩ : ٤ . يجب ان نتمم اعمالنا بغاية الجد والنشاط لان ايام العمل ستنتهى قريبا ولا نعلم متى تنتهى . ولكننا نعلم هذا انه ان انتهت ايام حياتنا ولم ينته فيها عملنا هلكنا الى

الابد : « ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاويه التى انت ذاهب اليها » كلنا ذاهبون الى الهاويه وكل يوم ينقضي يقرب اقدامنا اليها ، وعندما نصل اليها لا تبقى هنالك فرصة لاصلاح غلطاتنا او للتوبة وايجاد السلام بيننا وبين الله او للادخار للابدية ، فان لم نتمم ذلك الان لن نتممه الى الابد. ان الهاوية (القبر) هى ارض الظلام والسكون ولذلك فلا يمكننا تأدية اى عمل فيها لانفسنا يو ١٢ : ٣٥

○○○○○○

١١ - فعدت ورأيت تحت الشمس ان السعى ليس للخفيف ولا الحرب للاقوياء ولا الخبز للحكماء ولا الغنى للفهماء ولا النعمة لذوي المعرفة لان الوقت والعرض يلاقيانهم كافة - ٢٠ لان الانسان ايضا لا يعرف وقته كالاسماك التى تؤخذ بشبكة مهلكة وكالعصافير التى تؤخذ بالشرك كذلك تقتنص بنو البشر فى وقت شر اذ يقع عليهم بغتة

لزيادة البرهان على بطلان العالم ولاقناعنا بان كل « اعمالنا فى يد الله » ع ١ وليست فى ايدينا نرى سليمان يبين هنا عدم امكان التثبت من حوادث المستقبل وكيف انها طالما اتت بعكس ما كنا ننتظر . انه قد نصحنا فى ع ١٠ ان « تفعل بقوتنا كل ما

تجده ايدينا لتفعله » اما هنا فيذكرنا باننا عندما نفعل كل شيء يجب ان نترك النتيجة في يد الله ولا نتوهم بان النجاح مؤكد .

(اولا) فانه طالما خابت آمالنا فيما كنا ننتظره من الخير

ع ١١ . فسليمان نفسه و كثيرون غيره قد لاحظ بأن الحوادث — سواء فى المصالح الخاصة أو العامة — لا تأتي دائما حسب آمالنا او وفق المعقول . وكما قال سنيكا « ان المستقبل لا يخضع نفسه لاحد للتأكد منه مهما اشتد حرصه » . ان نتائج الامور طالما اتت بعكس انتظارات البشر وما ذلك الا لكى لا يفتخر العظيم او ييأس الصغير بل لكى يعيش الجميع عيشة الاتكال التام والخضوع الكامل لله الذي منه تخرج كل قضايا الانسان

(١) وهو يعطينا هنا امثلة من الفشل وخيبة الآمال حتى في الظروف التى كانت توجد فيها وسائط مشجعة ومبشرة بالنجاح

١ . — فالانسان يظن ان خفيف القدم هو الذي يحرز قصب السبق ولكن رغماً من ذلك « فالسعى ليس للخفيف » دائماً فقد تحدث له حادثة تعطله ، او قد يكون شديد الثقة بنفسه فيتهاون فى السعى الى ان يسبقه من هو ابطأ منه

٢ . — ويظن الانسان ان الجيش الاكثر عدداً والاقوى عدة هو الذي يفوز بالغلبة في الحرب ، وان البطل الصنديد هو الذى ينال اكليل الظفر ، ولكن « الحرب ليست للاقوياء »

دائماً ، فقد رأينا ان جيش الفلسطينيين الذى كانت ترهب منه كل الشعوب قد هرب امام يوناثان وغلامه ، « رجل واحد منكم يطرد الفا » يش ٢٣ : ١٠ . فلاغراض حسنة قد يسمح الله بأن يكون النصر حليف الضعيف

٣ . — ويظن الانسان ايضا بأن ذوى العقول المفكرة هم اكثر الناس حصولا على الماديات ، وبأن الذين يعرفون كيف يعيشون فى هذا العالم تعظم ثروتهم وتتسع ممتلكاتهم ، وعلى انه ليس هذا هو الحال دائماً « فان الخبز ليس للحكماء ولا الغنى للفهماء » . فكم من الاذكياء والمجدين والمجتهدين الذين كان من المنتظر ان يفلحوا ويعظم قدرهم وجاههم رأيناهم معدمين فى هذه الحياة .

٤ . — ويظن الانسان أن اولئك الذين قد اوتوا معرفة افكار البشر وتدبير الامور وسياستها يفضلون عن غيرهم وينالون رضى العظماء ولكن كم من الاذكياء رأيناهم يطرحون في زوايا النسيان ، بل كم منهم خربوا أنفسهم بنفس تلك الوسائط التى كانوا يظنون ان فيها رفعتهم ، ذلك لأن « النعمة ليست لذوى المعرفة » فطالما كان الاغنياء هم المرضي عنهم والحكماء هم المغضوب عليهم

(٢) وهو يعزى كل تلك التصرفات لقوة حاكمة عالية وعناية فائقة ، فانها ولو ظهرت لنا انها «عرضية» الا انها في الواقع مبنية

على مشورة الله وعلمه السابق اللذين عبر عنهما هنا « بالوقت » حسب اصطلاح هذا السفر ص ٨ : ٦ ، مز ٣١ : ١٥ « الوقت والعرض يلاقيانهم كافة » . ان العناية الالهية تهدم آمال البشر وتخيب ظنونهم وتعلمهم بان طرقهم ليست في ايديهم بل خاضعة لارادة الله . صحيح انه يجب علينا ان نستخدم الوسائط التي توصلنا لاغراضنا ولكن يجب ان لا نثق فيها او نتكل عليها ، وان نجحنا فلنقدم الحمد لله مز ٤٤ : ٣ وان فشلنا فلنخضع لارادته

(ثانيا) وطالما عجبنا ودهشنا مما حل بنا من الشرور التي لم نكن نعمل لها حسابا ع ١٢ : « لان الانسان ايضاً لا يعرف وقته » ى وقت مصيبته او وقت سقوطه او وقت موته الذى يعبر عنه في الكتاب المقدس « يومنا وساعتنا » .

(١) نحن لا نعرف ما ينتظرنا من المتاعب التى تفصلنا عن عملنا أو عن العالم ، لا نعرف ماذا « يلاقينا من الوقت والعرض » ؛ ولا نعرف ماذا يلده لنا اليوم او الليلة . « ليس لنا ان نعرف الاوقات » حتى ولا وقتنا ، ليس لنا ان نعرف متى او كيف نموت . فالله بحكمته قد حفظنا فى ظلام من نحو هذا الامر لكى نكون على استعداد في كل حين .

(٢) وقد تقابلنا متاعب في نفس الامور التي كنا نظن ان فيها راحتنا ومنفعتنا ، فكما ان « الاسماك تؤخذ بشبكة مهلكة والعصافير تؤخذ بالشرك » بواسطة الطعم الذي يوضع لغوايتها

فتلهمه بشراهة « كذلك تقتنص بنو البشر في وقت شر اذ يقع

عليهم بغتة » قبل ان يستعدوا له. وهذه الامور تحدث للجميع

ع ٢. فالبشر طالما وجدوا السم الزعاف فيما كانوا يتطلبون منه البركة ، وطالما وجدوا الموت فيما ظنوا ان لهم فيه ربحاً عظيما.

فلا يليق بنا حينئذ ان نأمن للدهر بل لنستعد دائماً للطوارىء حتى ان اتتنا بغتة لا نجد فيها دهشة او رعباً

○○○○○○

١٣ هـذه الحكمة رأيتها ايضاً تحت الشمس وهي عظيمة عندي ـ ١٤ مدينة صغيرة فيها اناس قليلون فجاء عليها ملك عظيم وحاصرها وبنى عليها ابراجا عظيمة ـ ١٥ ووجد فيها رجل مسكين حكيم فنجى هو المدينة بحكمته . وما احد ذكر ذلك الرجل المسكين ـ ١٦ فقلت الحكمة خير من القوة أما حكمة المسكين فمحتقرة وكلامه لا يسمع ١٧ كلمات الحكماء تسمع في الهدوء اكثر من صراخ المتسلط بين الجهال ـ ١٨ الحكمة خير من أدوات الحرب . أما خاطيء واحد فيفسد خيراً جزيلا

لا يزال سليمان يمدح لنا الحكمة ويبين لنا ضرورتها لحفظ

سلامنا واتمام اعمالنا وواجباتنا بالرغم من الاباطيل والتجارب التي تعرض لها مصالح البشر . لقد قرر في ع ١١ ان «الخبز ليس للحكماء» ولكنه لا يريد من ذلك ان يساء الظن فيه بانه يحتقر الحكمة او يشجبها ، كلا : فهو لا يزال حافظاً لمبدئه الاول وهو «ان للحكمة منفعة اكثر من الجهل كما ان للنور منفعة اكثر من الظلمة» ص ٢ : ١٣ واننا يجب ان نحبها و نعتنقها و نسترشد بها لما فيها من نفع عظيم ولما تكسبنا اياه من ان نكون نافعين للاخرين ولو لم نستطع نحن انفسنا ان ننال منها غنى او عظمة .

ان «هذه الحكمة» ، اي الحكمة التي يصفها هنا ، الحكمة التي تمكن الانسان من خدمة بلاده حباً في مصلحتها ولو لم ينل منها لنفسه منفعة او شكراً على اتعابه ، هذه هي الحكمة التي يقول عنها سليمان « عظيمة عندي » ع ١٣

(اولا) ان سليمان يعطينا هنا مثلا — من المحتمل جداً انه كان حادثة وقعت في بلد مجاور — عن « رجل مسكين » اتى عملا عظيماً وخدمة جليلة بحكمته في وقت عصيب ع ١٤ : « مدينة صغيرة » ، اي ليست غنيمة عظيمة يطمع فيها ، « فيها اناس قليلون » للدفاع عنها ، والاناس ان كانوا ذوي بأس صاروا اعظم حصن للمدينة ، اما أناس هذه المدينة ففضلا عن انهم كانوا

قليلين فقد كانوا ضعفاء وشديدي الخوف والجزع ومستعدين لتسليم مدينتهم لعدم استطاعتهم الدفاع عنها

فجاء عليها ملك عظيم » بجيش عظيم « وحاصرها » اما حباً في الافتخار او طمعاً في امتلاكها او انتقاماً منها وتعذيباً لها بسبب اهانة لحقته منها. وظناً منه بانها اقوى مما هي عليه « بنى عليها ابراجاً عظيمة » لتخريبها منها، وبذلك تأكد من امتلاكها في وقت قصير. فيا للمتاعب والخسائر العظمى التي يسببها الملوك الطامعون لما جاورهم من الممالك الضعيفة بلا مسوغ. لم يكن هذا الملك ليتخوف من هذه المدينة الصغيرة فلماذا ازعجها كل هذا الازعاج؟ وهي لم تكن لتغنه كثيراً فلماذا كلف نفسه كل تلك المشقات والنفقات لامتلاكها؟ على انه كما ان بعض الافراد يسعون بلا وجه حق بسبب اطماعهم وجشعهم في ان « يصلوا بيتاً ببيت ويقرنوا حقلاً بحقل » كذلك طالما سعى بعض الملوك في ان يصلوا مدينة بمدينة ويقرنوا ولاية بولاية لكي « يسكنوا وحدهم في وسط الارض » اش ٥ : ٨

ولكن هل كان النصر والنجاح حليف ذلك القوي؟ كلا! فقد وجد في تلك المدينة من بين أناسها القليلين « رجل مسكين حكيم » حكيم ولكنه مع ذلك فقير وليس له مركز أو مقام ممتاز في المدينة، فالمراكز الهامة والخطيرة لم توزع على الناس بحسب جدارتهم واستحقاقهم والا لما كان هذا الحكيم قد بقي فقيراً.

والآن لنلاحظ عن هذا الرجل بانه

(١) لكونه حكيما قد خدم المدينة ولو كان فقيراً . انهم في ضيقة بهم وجدوه أمامهم (قض ١١ : ٧) فطلبوا مشورته ومساعدته، « فنجى هو المدينة بحكمته » اما بتعليمات رشيدة أصدرها الى بنى وطنه المحاصرين وارشادهم الى طريقة لم تخطر لهم على بال لنجاتهم، أو بمحالفة قوية ابرمها مع اعدائهم المحاصرين كما فعلت المرأة التى في آبل ٢ صم ٢٠ : ١٦ . انه لم يوبخهم أو يعتب عليهم لاحتقارهم اياه وازدرائهم به باقصائه من المراكز التي يليق لها، ولم يخبرهم بانه فقير وليس له ما يخشى ضياعه ولذلك فلا يهمه ما يحل بالمدينة ، ولكنه فعل كل ما فى استطاعته لنجاتها فكلل عمله بالنجاح .

(ملاحظة) ان المصالح الخصوصية والاحقاد الشخصية يجب ان تضحى في سبيل المصلحة العامة وتنسى عندما يقتضي الخير العام ذلك

(٢) ولكونه فقيرا فكان محتقرا من اهل مدينته مع انه كان حكيما وكان واسطة فى خلاصهم جميعا من الهلاك « وما احد ذكر ذلك الرجل المسكين » لخدماته الجليلة قد اغفل عنها ولم يعط جائزة او علامة من علامات الشرف من اجلها ، ولكنه عاش فى الفقر وفي زوايا النسيان كما كان سابقا . « فالغنى لم يعط لذلك الرجل الفهيم ولا النعمة لهذا الرجل ذى المعرفة » ع ١١. فيا له من عالم متقلب ناكر للجميل ذلك العالم الذى نعيش فيه . على انه خير للرجال النافعين ان لهم الهاً يثقون فيه ويكون

لهم احسن مجاز ، اما بين البشر فكثيراً ما قوبلت الاعمال العظيمة والخدمات الجليلة بالحسد وكثيراً ما جوزي الخير بالشر

(ثانيا) ومن هذا المثل يستنتج بعض استنتاجات نافعة ويلاحظ بعض تعاليم هامة

(١) فيلاحظ اولا شدة منفعة الحكمة وعظيم قيمتها وكيف انها تصير الانسان بركة عظمى لبلاده : « الحكمة خير من القوة » ع ١٦ . فالعقل الحكيم الذى هو موضوع شرف الانسان وكرامته افضل بكثير من الجسم القوى الذي به يمتاز كثير من الحيوانات الغير الناطقة عن الانسان . قد يستطيع الانسان ان يعمل بحكمته ما لا يستطيع اتمامه بقوته ، وقد يستطيع بحكمته ان ينتصر على من هم اقوى منه . نعم « فالحكمة خير من ادوات الحرب » سواء المدفاع او للهجوم ع ١٨ . « الحكمة » اي التقوى والصلاح (لان سليمان يقارن الحكيم هنا بالخاطىء) خير من كل القوات والالات الحربية لاننا بها نضمن وجود الله فى صفنا وبذلك نكون فى مأمن من كل الاخطار وفي نجاح في كل الخطط لانه « ان كان الله معنا فمن علينا » او من يستطيع الوقوف امامنا ؟

(٢) ثم يلاحظ قوة الحكمة وسلطانها ولو عاكستها بعض المظاهر الخارجية ع ١٧ : « كلمات الحكماء تسمع فى الهدوء » فما يتكلمون به لا بد ان يحترم ويصغى اليه لانه سديد وفي الموضوع

ولم ينطقوا به الا بعد ترو وامعان وبكل هدوء وتؤدة ولو انهم لا يجرأون على التكلم بصوت عال او بسلطان بالنسبة لفقرهم ومسكنتهم ، وليس ذلك فقط بل ان كلماتهم تنال الغرض المطلوب ايضا وتسود على البشر اكثر من اوامر « وصراخ المتسلط بين الجهال » الذين لجهلهم اختاروه ليتسلط عليهم بسبب صراخ وصوته العالي ، والذين يظنون انه بذلك ترهب منه كل البشر. ان كلمات قليلة حسن صوغها لأفضل من كلمات كثيرة ضخمة ، ومن الجهل ان نجاوب من يتكلمون بحسب جهلهم وحماقتهم « ما اشد الكلام المستقيم » اى ٦ : ٢٥ . ان كلام الحكمة يجب ان ينطق به « بهدوء » وبذلك يسمع فى هدوء ويتأمل فيه فى هدوء . اما الحدة فتقلل حتى قوة العقل .

(٣) ويلاحظ ايضا ان الحكماء والصالحين يجب ان يقنعوا انفسهم — رغما من كل ذلك ـ بانهم قد فعلوا الخير او على الاقل قد حاولوا فعل الخير عندما لا يستطيعون فعل ما يبتغون فعله من الخير او عندما لا يحمدون على ما فعلوه من الخير . ان الحكمة تمكن الانسان من خدمة البشرية . ولكنه مع شديد الاسف ان كان فقيرا تحتقر حكمته « حكمة المسكين محتقرة وكلامه لا يسمع » ع ١٦ . فكم من الناس يدفنون وهم احياء في الفقر ويتركون فى زوايا النسيان مع انهم لو نالوا قليلا من المساعدة لكانوا اعظم بركة للعالم. على انه يأتي يوم فيه تكرم الحكمة ويمجد

الصلاح ، فيه « يضيء الابرار كالشمس » مت ١٣ : ٤٣

(٤) ومما لاحظه من مقدار الخير العظيم الذي يستطيع فعله الرجل الحكيم والصالح يستنتج مقدار عظم الشر الذي يستطيع فعله الشرير ومقدار عظم الخير الذي يستطيع منعه « اما خاطيء واحد فيفسد خيرا جزيلا »

---

١ . — فمن جهة نفسه ان حالة الخطية حالة مضيعة ومفسدة لخيرات كثيرة فكم من المواهب الصالحة — سواء كانت مواهب الطبيعة ام مواهب العناية الالهيه — يبددها الخاطيء . فالعقل الراجح والعلم النافع وقوة الادراك والتمييز والثروة والطعام والشراب وكل مخلوقات الله النافعة — هذه كلها يستخدمها الخاطيء في اتمام خطيته فيفسدها ويضيعها ويعكس الغرض الاصلي من وضعها . فحقا ان من يفسد نفسه « يفسد خيراً جزيلا »

٢ . ـ واما من جهة الآخرين فيا لعظم الشر الذي يستطيع ان يجلبه خاطيء واحد في مدينة او مملكة . فالخاطيء الواحد الذي لا يهتم الا بافساد الآخرين قد يفسد كثيراً من القوانين الصالحة والمواعظ والارشادات النافعة ويجذب الكثيرين الى طرقه الفاسدة .قد يكون خاطيء واحد سبباً في خراب مدينة باكلها كما كان عاخان سبباً في تكدير صفاء محلة اسرائيل وكسرهم امام اعدائهم . ان الحكيم الذي خلص المدينة بحكمته كان يستحق الاكرام والمكافأة . اما ذلك الخاطيء فهو الذي منع

عنه ما يستحقه وحقر الخدمة الجليلة التي قام بها . وكم من مشروعات نافعة كانت تعود على البشرية بالخير الجزيل لاقت من المفسدين من عطلها بشره وخبثه وفساده . كان يكفي لاصلاح العالم وشفائه من ادوائه قليلون من الحكماء لو لم يكن في العالم الكثيرون من الخطاة المفسدين . فان كان القديس يفعل خيراً جزيلا والشرير يفسد خيراً جزيلا عرفنا من ذلك من هم احباء الملكوت ومن هم اعداؤه



الاصحاح العاشر

ان هذا الاصحاح يشبه امثال سليمان لانه جمع كثيراً من الحكم والمشاهدات خلافاً لما مر بنا في الاصحاحات الماضية التي يتكلم في كل منها تقريباً عن امر خاص . على ان المحور الذي تدور حوله كل ملاحظاته التي دونها في هذا الاصحاح هو ان يمدح لنا الحكمة ووصاياها وقواعدها ويبين لنا شدة لزومها لاستقامة سيرنا في هذه الحياة ويحذرنا من الجهل والغباوة

(اولا) انه يمدح الحكمة لاناس مخصوصين في مراكز حقيرة.

(١) فمن الحكمة ان نحفظ صيتنا وذلك بادارة اعمالنا بحذق ومهارة ع ١-٣ (٢) وان نخضع لرؤسائنا ان كنا قد أسأنا اليهم ع ٤ (٣) وان نحيا حياة هادئة ولا نتداخل او نختلط مع أولئك المشاغبين ومحبي الفتن والقلاقل الذين يسعون دائماً لقلب نظام الحكومات واقلاق راحة الجمهور . ويبين سليمان هنا غباوتهم والاخطار التي تنجم عن اعمالهم ع ٨ - ١١ (٤) وان نضبط ألسنتنا جيداً ع ١٢-١٥ (٥) وان نكون مجدين في اعمالنا وفي اعالة عائلاتنا ع ١٨ و١٩ (٦) وان لا نتكلم بشر عن رؤسائنا وحكامنا حتى ولا في السر ع ٢٠

(ثانياً) ثم يمدح الحكمة للحكام. مبيناً لهم انه ان كان رعاياهم هادئين وخاضعين لهم فلا يصح بان يظنوا انهم بسبب ذلك يستطيعون ان يفعلوا ما يشاءون بل (١) ليحرصوا أشد الحرص في اشغال المراكز العالية والوظائف ذات المسئولية ع ٥ - ٧ (٢) وليسلكوا بحكمة وعفة ويكونوا كرماء واشراف لا طفيليين ، ومعتدلين لا مترفهين ع ١٦ و١٧

فيا لسعادة تلك الامة التي يؤدي رؤساؤها ورعيتها واجباتهم بحسب هذه القوانين والمبادىء.



١ الذباب الميت ينتن ويخمر طيب العطار . جهالة قليلة اثقل من الحكمة ومن الكرامة ـ ٢ قلب الحكيم عن يمينه وقلب الجاهل عن يساره ـ ٣ ايضاً اذا مشى الجاهل في الطريق ينقص فهمه ويقول لكل واحد انه جاهل

في هذه الاعداد يبين لنا سليمان

(اولا) ان الحكماء يجب ان يحرصوا اشد الحرص لئلا يرتكبوا اي خطأ بسبب الجهل ، لان « جهالة قليلة » عيب فاضح لمن اشتهر « بالحكمة والكرامة[1] » وتضر بصيته الحسن كما يفعل « الذباب الميت » بعطر زكي الرائحة « طيب العطار » فانه لا يضيع رائحته فقط بل « ينتنه ويخمره » (يجعله ذا رائحة كريهة)

ملاحظتان — (١) ان « الحكمة » الحقيقية تكسب الانسان « كرامة » حقيقية فيصير كصندوق روائح عطرية

(٢) ان الصيت الذي يكتسب بمشقة وبحكمة فائقة قد يفقد بسرعة « وبجهالة قليلة » لان الحسد لا ينشب اظفاره الا في من سمت مراكزهم وعلا شأنهم ، ويشنع في غلطات من اشتهروا بالحكمة ، ولانهم ينتقدون اشد الانتقاد على ما يبدو منهم من

(١) ترجمة النص الانكليزي للجزء الاخير من العدد الاول هو « هكذا تفعل جهالة قليلة بمن اشتهر بالحكمة والكرامة »

جهالة بينما ان نفس هـذه الجهالة لا تلاحظ فى الآخرين . فعلى الذين ينتمون للمسيحية ان يسلكوا بحرص وتدقيق «ويمتنعوا عن كل شبه شر» ١تس٥ : ٢٢ او ما يوصل الى الشر لان اعين الجميع متجهة نحوهم تترقب سـقوطهم، وبذلك ينثلم صيتهم فى الحال .

(ثانيا) وان بين الحـكيم والجاهل فرقاً شاسعاً في ادارة الاعمال ع ٢ : « قلب الحـكيم عن يمينه » وبذلك فهو يسير فى أعماله بحذق ورشاقة ويمد اليه يمينه بسرعة ويؤديه بنشاط ؛ اما « قلب الجاهل فمن يساره » فهو لا يفكر الا ان جـد أمر هام ولذلك فهو يقضي حياته في ارتباكات شديدة كمن قد فرغت جعبته وفقدت حيلته ويشبه رجلا مقطوع اليمين . وما أصدق ذلك القول « ان لسان العاقل وراء قلبه وقلب الجاهل وراء لسانه » فهو يتمشى مع تلك الحقيقة جنباً الى جنب

(ثالثا) وان الجاهل يعلن جهله للجميع في كل فرصة . فالجاهل أو الشرير ان ترك لنفسه ولم يجد أي رادع « بل مشى فى الطريق » يبين حقيقة حالته لان « فهمه ينقص » ، وبغير مناسـبة « يقول لـكل واحد انه جاهل » ع ٣ أي يعلن جهله كما لو كان قد نطق به بلسانه . انه لا يقدر ان يخفيه ولا يخجل من اظهاره . ان الخطية عار الخطاة أينما حلوا

٤ ان صعدت عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك لان الهدوء يسكن خطايا عظيمة ـ ٥ يوجد شر رأيته تحت الشمس كسهو صادر من قبل المتسلط ـ ٦ الجهالة جعلت فى معالى كثيرة والاغنياء يجلسون فى السافل ـ ٧ قد رأيت عبيداً على الخيل ورؤساء ماشين على الارض كالعبيد ـ ٨ من يحفر هوة يقع فيها ومن ينقض جداراً تلدغه حية ـ ٩ من يقلع حجارة يوجع بها . من يشق حطباً يكون في خطر منه ـ ١٠ ان كل الحديد ولم يسنن هو حده فليزد القوة . أما الحكمة فنافعة للانجاح ـ ١١ ان لدغت الحية بلا رقية فلا منفعة للراقي

ان الغرض من هذه الاعداد هو ارشاد الرعية ليكونوا أمناء ومخلصين لحكومتهم . كان الناس في عصر سليمان أغنياء جداً وعائشين فى رخاء وقد يكون ذلك أثر في اخلاقهم فجعلهم متكبرين ومشاكسين ، ويظهر انه عند ما ارتفعت الضرائب سلك البعض بوقاحة ضد الحكومة وهددوها بالتمرد والعصيان ولو انه كان لديهم ما يكفى لتسديد هذه الضرائب . وهنا نرى سليمان يعطى بعض التحذيرات لامثال هؤلاء .

(اولا) لا يليق بالرعية ان يتشاحنوا مع ولاتهم بسبب أى ضغينة شخصية ع ٤ « ان صعدت عليك روح للتسلط » ان غضب عليك وهددك بسبب أى وشاية بلغت اليه فى حقك أو بسبب سوء تصرفك « فلا تترك مكانك » لا تنس واجبك كأحد رعيته ولا تهمل ان تؤدى طاعتك وولاءك ، لا تتعجل ـ وأنت في حدتك وسورة غضبك ـ في ترك خدمته والتخلي عن عملك كانك تظن انك لن تنال رضاه ثانية . كلا! انتظر قليلا فتجده ليس كما توهمت فيه من انه لا يكظم غيظه ، بل اعلم « ان الهدوء يسكن خطايا عظيمة »

ان سليمان يتكلم هنا عن نفسه وعن كل رجل حكيم صالح اسند اليه مركز الحكم والسيادة لكى يصفح عن كل من غضب عليهم لاى سبب من الاسباب . انه افضل واسلم عاقبة ان نهدأ امام الولاة الثائرين من ان نتشاحن معهم

(ثانيا) ولا يليق بهم ان يتشاحنوا مع ولاتهم ولو لم تكن اداراتهم كما يهوون فى كل شىء : انه يصرح بانه « يوجد شر رآه تحت الشمس » او بالحرى طالما رؤى تحت الشمس ، وهذا الشر هو شر الملك ، هو شر لا يمكن لغير الملك اصلاحه ، لانه « سهو صادر من قبل المتسلط » ع ٥ ، هو خطأ طالما ارتكبه الملوك لانهم يشغلون المراكز والمناصب لا بحسب كفاءات الناس وبحسب ما تقتضيه المصلحة العامة بل بحسب شهواتهم الخاصة ،

ولذلك كثيرا ما رأيت « الجهالة جعلت في معالي كثيرة » كثيرا ما وضع قصيرو الفهم وقليلو الادراك في مراكز خطيرة ومناصب رفيعة بينما ان الاغنياء ذوى العقول الراجحة والثروة الطائلة الذين تضطرهم مصالحهم ليكونوا امناء للجمهور والذين بسبب غناهم لا يعرضون للسقوط في تجربة الارتشاء — هؤلاء يبقون فى مراكز وضيعة « يجلسون في السافل » ع ٦ اما لأن الحكام لا يقدرونهم حق قدرهم او لأن شروط الترقى لا تتوفر فيهم. فيا لتعاسة تلك الأمة التي يسمو فيها الاشرار ويكبل فيها النافعون بقيود قوية .

وهذا يوضحه باكثر جلاء في ع ٧ : « قد رأيت عبيداً على الخيل » اى رجالا ليسوا فقط من أصل حقير وعديمى العلم (لانه لو كان هذا هو غاية الامر لالتمس لهم بعض العذر فكم من « عبد تسلط على ابن مخز بفطنته » ام ١٧ : ٢) بل ايضا من اصل خسيس وذوى اخلاق فاسدة . هؤلاء رأيتهم على الخيل يسيرون في مظاهر العظمة والأبهة كأنهم رؤساء ، بينما « الرؤساء » الشريفو الاصل وذوو الكفاءات النادرة الذين يستحقون ان يولوا زمام امور المملكة باكملها يضطرون ان « يمشوا على الارض كالعبيد » مساكين ومحتقرين . هكذا يعاقب الله الشعوب الشريرة ، ولكن ان كان العمل عمل الملوك والولاة فالخطأ خطأهم ، ويالعظم ذلك الشر لانه يضايق الرعية ويؤلم نفوسهم ، على انه « شر تحت

الشمس » لا بد ان يصلح فوق الشمس لان الحكمة والقداسة هما اللذان يسودان في السماء .

على انه ان كان الرئيس آثما في هذا الشر فلا يليق بالرعية ان « يتركوا مكانهم » او يثوروا ضد الحكومة او يسعوا في قلب نظامها : كذلك لا يليق بالرئيس ان يركب متن الشطط في هذا الامر ويضع مثل هؤلاء العبيد على الخيل لئلا يعيثوا في الارض فسادا ويهددوا سلامة البلاد

(١) يجب على كل من الرؤساء والشعب ان لا يحاولوا اى تغيير او تعديل في نظام البلاد بعجلة لانهم سيرون بعد حين نتائج ذلك الوخيمة واخطاره وهو يوضح هذا باربعة امثلة الغرض منها عدم التداخل فيما يضرنا. يجب على الرؤساء ان لا يحجروا على حرية رعاياهم او يسلبوهم حقوقهم ، ويجب على الرعية ان لا يتمردوا على رؤسائهم لان : —

١ . — « من يحفر هوة » لغيره لا بد ان « يقع فيها » هو نفسه وترجع اليه عواقب عمله الوخيمة. فان كان الملوك ظالمين او الرعية متمردين فليسألوا المؤرخين ينبئوهم بمصيرهم وبما لا بد ان يحل بهم من الاخطار والمصائب، وانه كان خيراً لهم لو قنع كل من الطرفين بما اعطى له

٢ . — « ومن ينقض جداراً » جداراً قديماً باقياً منذ القدم كملامة او أثر فليتوقع بان يجد « حية » او افعى — التى تأوي عادة الخرب القديمة — « تلدغه » ، بان « تنشب في يده

افمى »او حشرة سامة اع ٢٨ : ٣ . لقد سيج الله حول مواهب وقوات الملوك ووضع اشخاصهم تحت حمايته وعنايته الخاصة ، لذلك فمن دبر منهم اى مكيدة لتقويض اركان سلامتهم وعظمتهم ومراكزهم كانوا هم الجناة على انفسهم

٣ . — « ومن يقلع حجارة » لاسقاط حائط او بناء لا بد ان تقع على رأسه « ويوجع بها » فيتمنى بعد ذلك لو كان قد تركها فى موضعها . ان الذين يسعون فى تغيير نظام حكومة حسنة الادارة ادعاء منهم باصلاح بعض الغلطات لا بد ان يتبين لهم حالا ان الاصلاح ليس بالامر الهين كالانتقاد ، وان ادخال الانظمة الاكثر صلاحية ليس من المستطاع كما كان يظن ، وانهم بهذا العمل يضعون اصبعهم في النار ويجرون على انفسهم الهلاك الذي يسببونه بعملهم هذا

٤ . — « ومن يشق حطباً » خصوصاً ان كانت لديه اسلحة كالة ع ١٠ « يكون في خطر منه » لانه قد تؤذيه شظاياه او قد تفلت منه الآلة التى يشقه بها فتسقط على يده او وجهه . فأن صادفتنا عقد خشبية ، اى اشخاص ذوي ضمائر فاسدة ونفوس لا يكبح جماحها ، وظننا اننا نستطيع التغلب عليها بالقوة والعنف فاننا لا نجدها اصعب من ان نقوى عليها فقط بل قد تكون محاولة التغلب عليها ضارة ومؤذية لنا ايضا

(٢) بل ليتصرف كل من الرئيس والشعب نحو الآخر بحكمة واعتدال وخلق حسن : « الحكمة نافعة للانجاح »

(او للارشاد) نافعة لارشاد الحاكم الى حسن ادارة الشعب الذي يميل الى المشاغبة ، وذلك بعدم الاغفال عنهم لئلا يزيدوا فى مشاغباتهم ، وبعدم استعمال القسوة والعنف معهم لئلا يجمحوا الى ما هو أشر من المشاغبة

وهى نافعة أيضاً لارشاد الشعب الى حسن معاملة حاكمهم ان كان يميل للشدة من نحوهم ، وذلك بعدم التمرد عليه بل بعرض مظلماتهم بكل أدب واحترام (وليس بتقديم مطالب سخيفة ووقحة كما فعل الشعب مع رحبعام) وبالخضوع له بالصبر والاحتمال وباستعمال الطرق السلمية المشروعة

وهذا القانون يجب تطبيقه بين كل الافراد لانه يؤدي الى حفظ السلام بينهم . لتكن الحكمة مرشدة لهم الى الرقة واللطف ومعينة لهم على احتمال الشدة والعنف

١ . — الحكمة تعلمنا ان نحدد الآلة التى نستعملها لئلا نضطر ان « نزيد القوة » ان تركناها كالة ع ١٠ . اننا نوفر على أنفسنا متاعب جمة وندرأ عنا اخطاراً عديدة ان كنا نحدد الآلة قبل القطع بها ، أى ان كنا نتأمل ونمعن النظر فيما يجب ويحق قوله وفعله فى كل الظروف الصعبة ، وبذلك نتمم كل أعمالنا بسهولة ونريح أنفسنا والآخرين . فالحكمة تعلمنا ان نحدد انفسنا لنعمل لا بالغش مز ٥٢ : ٢ بل بنزاهة ونشاط . ان الحاصد ان كان يحدد آلته لا يضيع منه اى وقت سدى

٢. ـ والحكمة تعلمنا ان نرقي ونسحر الحية التى لا بد لنا من النزاع معها بدلا من الاستخفاف بها ع ١١ : فهى لا بد من ان تلدغ ان لم تسحر ويستوقف اسماعها بصوت الغناء مز ٥٨ : ٤ و ٥ . ان فصيح اللسان الذى يستطيع التعبير عما يكنه ضميره باية صيغة شاء تكون معاملته كمعاملة « حية بلا رقية » ، ولكنك ان رقيته بكلمات لطيفة عذبة وبالخضوع له قليلا امنت شره وخطره . وهنا نجد الحكمة ـ بما فيها من دعة ولطف وتواضع ـ « نافعة للانجاح » . « ببطء الغضب يقنع الرئيس » ام ٢٥ : ١٥ . فيعقوب سحر عيسو بهدية ؛ وابيجايل سحرت داود . فالسكوت خير لنا والزم من النطق بكلمات موجعة

oooo○○○oooo

١٢ كلمات فم الحكيم نعمة وشفتا الجاهل تبتلعانه ـ ١٣ ابتداء كلام فمه جهالة وآخر فمه جنون ردىء ـ ١٤ والجاهل يكثر الكلام . لا يعلم انسان ما يكون ، وماذا يصير بعده من يخبره ـ ١٥ تعب الجهلاء يعييهم لانه لا يعلم كيف يذهب الى المدينة

لقد ابان سليمان فيما مر فوائد الحكمة وضرورتها لحسن ادارة اعمالنا وهنا يبين اضرار الجهل ومقدار ما يعرض اصحابه

اليه من الاخطار . وقد تكون هذه الملاحظات مستخلصة من تأملاته فى اولئك الحكام الذين « جعلوا الجهالة فى معالي كثيرة » ع ٦ .

(اولا) فالجهلاء يتكلمون كثيراً بدون جدوى وبغير سبب ويظهرون غباوتهم بكثرة كلماتهم ووقاحتها وفسادها بينما ان « كلمات فم الحكيم نعمة » تبين النعمة التى فى قلوبهم ، وتعطى نعمة للسامعين . انها صالحة وتناسب حكمته وتنفع كل من حوله . اما « شفتا الجاهل » فلا تعرضانه فقط للهزء والسخرية بل هما « تبتلعانه » ايضاً وتجلبان عليه الهلاك ، لانهما يعطيان الحكومة فرصة لمراقبة كلماته المفسدة ومؤاخذته عليها. « فادونيا تكلم ضد نفسه » بجهله وغباوته ١مل ٢ : ٢٣ . وكم من الناس «يوقعون السنتهم على انفسهم» فيبتلعوا في هاوية الهلاك مز ٦٤: ٨.
والان لنلاحظ عن كلام الجاهل :—

(١) انه ينشأ من ضعفه وشره : « ابتداء كلام فمه جهالة » فالجهالة ملازمة لقلبه ، اى ان الينبوع الذي تخرج منه كل المجاري قد تنجس ، وكنز القلب قد فسد فتخرج منه الشرور . فحالما يتكلم تلاحظ جهالته ، لان ابتداء كلامه يخرج بكسل وبشر وبجهل مثله

(٢) وانه ينتهي بالغضب وضرر الآخرين . « وآخر فمه »

اى الغاية التى يصل اليها، « جنون ردىء » . انه ان بدأ يتكلم ينفجر كالبركان وتخرج من فمه مقذوفات نارية حتى تظهر عليه علامات الجنون . ان الغاية التى يرمى اليها هى الشر ، فكما انه ظهر عليه اولا عدم استطاعته على ضبط نفسه هكذا يظهر عليه في النهاية مقدار الشر الذي يكنه للآخرين .

(ملاحظة) ليس من الغريب ان ينتهى بالجنون من يبدأ بالجهالة ، لان اللسان ان لم يكبح جماحه ازداد شراً وفساداً .

(٣) وانه يكرر باطلاع ١٤ : « الجاهل يكثر الكلام » خصوصا ان كان غضوباً ، فهو يحوم حول الكلمات ولا يعرف متى وكيف ينتهى . وعند ما ينتهى حديثه ترى ان آخر كلامه كأوله . انه يظن ويحاول ان يستعيض عما ينقص كلامه من القوة والمنفعة بتكريره ، لانه فعلاً ان لم يكرر لما وجد فيه ما يستحق التأمل والاعتبار

(ملاحظة) ان اغلب الذين خلت عقولهم « يكثرون الكلام » ، واقل الناس ثباتا اكثرهم جلبة وضوضاء

اما الكلمات التالية . فقد يكون المقصود منها : —

١ . — صد الجاهل عن فخره الباطل بكثرة كلامه، وتوجيه نظره الى تلك الحقيقة التى لا يجهلها احد وهى انه « لا يعلم انسان ما يكون » فى عصره وهو حي ام ٢٧ : ١ او بالحرى « ماذا يصير بعده » بعد وفاته ومغادرته هذه الحياة . فان كنا حقاً

نتأمل و نتحقق من جهلنا التام وعدم تأكدنا من حوادث المستقبل. لامتنعنا عن النطق بالكلمات الكثيرة البطالة .

٢ . — أو قد تكون للهزء به بسبب تكراره لكلماته . انه « يكثر الكلام » لانه ان كان لا ينطق سوى بما تعود الناس سماعه منه لما استطاع « الانسان ان يعلم ما يكون » لانه يكرر ما سبق قوله ولما استطاع احد ان يعلم «ماذا يصير بعده». ولهذا فالمسيح نهانا عن « تكرار الكلام باطلا » مت ٦ : ٧

(ثانيا) والجهلاء يتعبون كثيراً بدون جدوى و بغير سبب ع ١٥: «تعب الجهلاء » الذي يتكبدونه لاتمام مقاصدهم «يتعبهم»

(١) انهم يتعبون انفسهم في اعمالهم السخيفة والغبية .ان كل اتعابهم للعالم وللجسد وللطعام البائد ، فهم يستنفدون في هذا التعب كل قوتهم ويضعفون روحهم « وللباطل يعيون » حب ٢ : ١٣ ، اش ٥٥ : ٢ . انهم يفضلون العمل الذي يلاقون فيه العبودية التامة عن ذلك الذي يقضونه في حرية كاملة

(٢) وذلك التعب (او العمل) الضروري والنافع والذي يتحمله الانسان بكل سهولة وارتياح « يتعبهم » لانهم يقضونه بجهل وغباوة و بذلك تصير كل أعمالهم عبئاً عليهم ، بينما انهم لو ادوه بشيء من الحكمة لصار لهم موضوع سعادة وسرور . يتذمر الكثيرون من أعمال (أو اتعاب) التقوى كأنها حمل ثقيل على

انهم لو مارسوها بشيء من الحكمة لما كان هنالك مايدعو للتذمر

ان الجاهل يتعب نفسه لانه يريد السعي وراء اغراض لا طائل تحتها ولانه لا يستطيع ان يكمل أمراً واحداً « لانه لا يعلم كيف يذهب الى المدينة » اي لا قدرة له على تفهم أبسط الامور كالدخول الى مدينة كبيرة الامر الذي لا يعقل مطلقاً ان يجهله أي انسان. ان اتمام الانسان اعماله بعدم الحزم يضيع عليه فائدته ولذته . على انه من امتيازات طريق المدينة السماوية انه طريق سلطاني لا يضل عنه حتى الجهال . اش ٣٥ : ٨ ولكن جهل الخطية يضل الناس عنه .

---

١٦ ويل لك أيتها الارض اذا كان ملكك ولداً ورؤساؤك يأكلون في الصباح - ١٧ طوبى لك أيتها الارض اذا كان ملكك ابن شرفاء ورؤساؤك يأكلون في الوقت للقوة لا للسكر

١٨ بالكسل الكثير يهبط السقف وبتدلي اليدين يكف البيت - ١٩ للضحك يعملون وليمة والخمر تفرح العيش أما الفضة فتحصل الكل - ٢٠ لا تسب الملك ولا

في فكرك. ولا تسب الغني في مضجعك. لان طير السماء ينقل الصوت وذو الجناح يخبر بالامر .

في هذه الاعداد يلاحظ سليمان

(اولا) كيف ان سعادة المملكة تتوقف على أخلاق حكامها، وان شر أو خير الشعوب يتوقف على فساد أو صلاح رؤسائهم

(١) فالشعب لا يمكن ان يكون سعيداً ان كان حكامه طفيليين ومترفهين ع ١٦ : « ويل لك ايتها الارض » حتى ارض كنعان نفسها ولو كانت مجد كل الاراضي « اذا كان ملكك ولداً » ليس في السن (فان سليمان نفسه كان حدثاً عند ما كانت مملكته سعيدة) بل في العقل والادراك، اذا كان الحاكم ضعيفاً وجاهلا كالطفل، أو كان متقلباً وغير ثابت في الرأي، او كان نكداً وشرس الطبع، او كان سهل التأثير عليه، او يصعب تكليفه بأي عمل. فويل لذلك الشعب ان كانت هذه هي أخلاق حاكمه. ان الرأس ان كان سقيما اعتل كل الجسد.

قد يكون سليمان راعى سوء أخلاق ابنه رحبعام عند كتابة هذا ٢ اي ١٣ : ٧ فانه كان ولداً كل أيام حياته ولذلك قاست عائلته ومملكته الأمرين

كذلك يكون حال الشعب ان كان «رؤساؤه يأكلون في الصباح» اى يعبدون بطونهم ويستعبدون للذاتهم. فان كان الملك نفسه ولداً ولكن كان الرؤساء والمشيرون حكماء وامناء وأدوا اعمالهم

بنزاهة واخلاص استراحت الارض ، ولـكن ان ساروا وراء شهواتهم وملاذهم وفضلوا اتمام شهواتهم عن خدمة المصلحة العامة بأكلهم وشربهم « في الصباح » لانهم شهوانيين ونهمين ولا يأكلون ليعيشوا بل يعيشون ليأكلوا فأى خير يرجى منهم لأمتهم

(٢) والشعب لا يمكن الا ان يكون سعيداً ان كان حكامه كرماء وشريفي الاخلاق ونشيطين ونزيهين ومعتدلين ورجال عمل ع ١٧ . فالارض اذاً تسعد : —

١ . — ان كان الحاكم يسير بحسب مبادىء الشرف : « طوبى لك ايتها الارض اذا كان ملكك ابن شرفاء » يسير ويحيا بروح شريفة تحتقر ان تأتي اى عمل دنىء لا يتفق مع مبادئها السامية واخلاقها الرفيعة ، وتهتم بالصالح العام وتفضله على مصلحتها الخاصة. ان الحكمة والفضيلة ومخافة الله والميل لخدمة البشرية هذه كلها تشرف الملوك والحكام

٢ . — وان كان الولاة « والرؤساء » (الذين هم دون الحاكم) يؤثرون اداء ما اؤتمنوا عليه عن اتمام شهواتهم ، ان كانوا « يأكلون في الوقت » اى بعد الانتهاء من اعمالهم وحلول وقت الأكل. ان الله يعطى كل الخليقة « طعامها فى حينه » مز ١٤٥ : ١٥ فلا يليق بنا ان ننال طعامنا فى غير وقته لئلا نفقد لذة رؤية اعطاء الله اياه لنا .

يجب ان يأكل الرؤساء « للقوة » لـكى تتهيأ اجسادهم لاعانة

ارواحهم على خدمة الله وبلادهم « لا للسكر » لانهم بذلك لا يصلحون لخدمة الله او الانسان ولا يصلحون بنوع اخص للجلوس « في القضاء . . . لانهم يضلون بالخمر » اش ٢٨ : ٧ ولانهم ان «شربوا ينسوا المفروض » ام ٣١ : ٥. انه خير للشعب ان يكون رؤساؤه امثلة صالحة فى الاعتدال ، وان يكون اولئك الذين يعيشون فى سعة ولديهم ما ينفقون على لذاتهم منكرين لذواتهم وكابحين جماح شهواتهم .

(ثانيا) مقدار النتائج السيئة التي يجرها الكسل والاهمال على المصالح الخاصة والعامة ع ١٨ : « بالكسل الكثير وبتدلى اليدين » اى بالاهمال فيما يناط بنا من الاعمال وبحب الراحة واللهو « يهبط السقف ويكف البيت » اي يتساقط شيئا فشيئا حتى ينهار عن آخره. فان لم يعن بالبيت عناية مستمرة ولم تطل جدارانه جيداً ولم تجر فيه الاصلاحات الضرورية لدى حصول اي اتلاف تساقط بناؤه شيئا فشيئا ونخر السوس فى اخشابه ولم يبق بعد صالحاً للسكنى

هكذا يكون الحال ايضاً في العائلات وشئونها ، فان لم يجد الاشخاص فى داخلهم ما يدفعهم للجد والاجتهاد في اعمالهم تكدست عليهم الديون في الحال وتبددت ثروتهم بدلا من انمائها لاولادهم

وهكذا يكون الحال أيضاً في الشعوب ، فان كان الملك «ولداً»

ولم يهتم بشئون رعيته ، وان كان « الرؤساء يأكلون في الصباح » ولم يجهدوا انفسهم في اعمالهم تعطلت مصالح الأمـة وصارت عرضة للخسارة والضياع ، وفقد شرفها وضعفت قوتها واغار الاعداء على تخومها وتعوج طريق الحق وتفدت ثروتها وانهار كيانها ـ كل هذا يحصل بسبب تراخي وتواني اولئك الذين كان يجب ان يكونوا « مرمى الثغرة ومرجعى المسالك للسكنى » اش ٥٨ : ١٢

(ثالثا) وكيف ان جميع البشر سـواء فى ذلك الرؤساء ام الشعب يجدّون فى الحصول على المال لانه يوصل لـكل الاغراض ع ١٩ . الظاهر ان سليمان كان يفضل المال على الافراح والمسرات « للضحك يعملون وليمة » (او الوليمة تعمل للضحك) فالولائم

لا تعمل للأكل فقط بل لاجتماع الاخوان اجتماعاً حبياً يتسامرون فيه ويتجاذبون اطراف الحديث . انها لا تعمل لضحك الجهال الذي ينتهي بالجنون بل لضحك الحكماء الذي به يهيئون انفسهم لاعمالهم الشاقة ومباحثهم المعيية . كذلك الحال في امر الولائم الروحية فانها تعمل للضحك الروحى ، للفرح المقدس فى الله.

« الخمر تفرح العيش » تفرح الحياة « اما الفضة فتحصل الكل »

هى مقياس كل شيء . وبها نحصل على كل شيء . وكما قال المثل اللاتيني : كل شيء في يد المال . ان الخمر ولو كانت تفرح الا انها لاتستطيع ان تبني لنا بيوتاً او تشتري فراشاً او ملابساً ، ولا هى بثروة تخلف للابناء ، اما الفضة فان حصل منها الانسان على

مقدار وافر استطاع ان يعمل كل ذلك بها . ان الوليمة لا يمكن ان تتم الا بالمال . والناس ولو كان لديهم « خمر » الا انهم لا يجدون فيها لذة او سروراً ان لم يكن لديهم المال الذي به يحصلون على ضروريات الحياة

ان المال في حد ذاته — اي مادته — لا يفي بشيء لانه ليس طعاماً او لباساً، ولكنه هو الواسطة التي بها نحصل على كل لوازم الحياة الحاضرة . فكل ما نريد الحصول عليه لا نحصل عليه الا بالمال ، على انه من الوجهة الاخرى لا يفيد النفس بشيء فهو لا «يحصل» غفران الخطايا او محبة الله او سلام الضمير ، لانه كما ان النفس لم «تفتد باشياء تفنى بفضة او ذهب» ١بط١ :١٨ كذلك هي لا تعيش بتلك الاشياء الفانية .

(رابعا) وكيف يجب على الرعايا ان يحذروا من ان تعشش المقاصد السيئة في ادمغتهم او التدابير الشريرة ضد حكومتهم لانه لا بد ان تكتشف هذه المقاصد والتدابير السيئة وتتضح للجميع ع ٢٠. فان ارتكب الحكام بعض الغلطات لا تحاول انتقادهم على كل غلطة او اتهامهم بسوء الادارة بل انظر الى محاسنهم وسر بموجبها قبل ان تنظر الى مساوئهم. وهنا نرى : —

(١) ان سليمان يعلمنا واجبنا «لا تسب الملك ولا في فكرك» لا تشته شراً للحكومة في فكرك. ان كل خطية تبتدىء في الفكر ولذلك يجب مطاردتها من الفكر —من بداءتها— وبنوع اخص خطايا التمرد والمشاغبة، «لا تسب الغني» الولاة والحكام «في مضجعك»

في اي مجتمع او ناد اجتمع فيه اشخاص يحقدون على الحكومة ، لا تشترك مع قوم كهؤلاء ، ولا تجلس في مؤامراتهم .

(٢) والعقل يلزمنا بمراعاة نجاتنا. فاننا مهما احترسنا في اخفاء مقاصدنا الا « ان طير السماء ينقل الصوت » الى الملك الذى له جواسيس ورقباء اكثر مما تظن . « وذو الجناح يخبر بالامر » لهلاككَ. ان الله يرى ما يفعله البشر في الخفاء ويسمع ما ينطقون به في السر ، وهو متى شاء يذيعه بطرق لم تكن لتخطر لنا على بال . « أ فتريد ان لا تخاف السلطان وان لا يؤذيك ؟ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه . ولكن ان فعلت الشر فخف » رو ١٣ : ٣ و٤



الاصحاح الحادي عشر

في هذا الاصحاح نرى (١) ان سليمان يحضنا على أعمال الرحمة والصدقة على الفقراء مبيناً لنا ان هذا هو أفضل علاج لما تعرض له ثروتنا المالية من البطلان والطريق الوحيد الذي به نجعلها تأتي بالخير الجزيل ع ١ — ٦ (٢) وينصحنا للاستعداد للموت والدينونة ، والبدء بهذا الاستعداد في الوقت المناسب وهو وقت الشباب ع ٧ — ١٠

---

١ ارم خبزك على وجه المياه فانك تجده بعد أيام كثيرة ـ ٢ . أعط نصيباً لسبعة ولثمانية أيضا لانك لست تعلم أي شر يكون على الارض ـ ٣ اذا امتلأت السحب مطراً تريقه على الارض . واذا وقعت الشجرة نحو الجنوب أو نحو الشمال ففي الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون ـ ٤ من يرصد الريح لا يزرع ومن يراقب السحب لا يحصد ـ ٥ كما أنك لست تعلم ما هي طريق الريح ولا كيف العظام في بطن الحبلى كذلك لا تعلم أعمال الله الذي يصنع الجميع ـ ٦ في الصباح ازرع زرعك وفي المساء لا ترخ يدك لانك لا تعلم أيهما ينمو هذا أو ذاك أو ان يكون كلاهما جيدين سواء

لقد نصح سليمان - في عدة مواضع من هذا السفر - للاغنياء ان ينتفعوا هم انفسهم بثروتهم ، اما هنا فنراه ينصح لهم بان يصنعوا بها الخير للآخرين ايضاً وان يزدادوا سخاء للفقراء لان ذلك سينفعهم يوما من الايام . لاحظ هنا :—

(اولا) كيف يصف لنا هذا الواجب ع ١

(١) « ارم خبزك على وجه المياه » او حنطة خبزك على الاراضى الواطئة كما يؤولها البعض مشيرين الى الزارع « الذاهب ذهاباً حاملا مبذر الزرع » مز ١٢٦ : ٦ ومقتصداً هذا البذار من مؤونة عائلته عالماً انه بغير ذلك لا يستطيع الحصول على حصاد فى العام القادم . فمحب الخير يأخذ من حنطة خبزه حنطة للبذار ، يحرم نفسه لأطعام الفقراء لانه « يزرع على كل المياه » اش ٣٢ : ٢٠ . وكما يزرع لا بد ان يحصد غل ٦ : ٧

تستعمل « المياه » فى الكتاب المقدس للدلالة على الكثرة رؤ ١٦ : ٥ ، وما اكثر الفقراء الذين يعيشون معنا فاننا ان اردنا التصدق على فقير لا يحتاج الامر للبحث عنه . وتستعمل ايضا للدلالة على الحزانى ، وحقا ان الفقراء رجال احزان . يجب عليك ان تعطى الفقراء «خبزاً» وهو قوام الحياة ، فلا تقدم لهم كلمات طيبة فقط بل اشياء طيبة ايضاً

ويجب ان يكون الخبز الذى تقدمه للفقير « خبزك » الذى تحصل عليه بامانة ، فان قدمنا ما لا نملكه نكون قد اتيناه شراً لاخيراً . فلنتعلم الحق اولا ثم الرحمة . دع الفقراء يشاركونك

في « خبزك » الذى خصصته لنفسك كما شاركوا ايوب ص ٣١ : ١٧ .

اعط بسخاء للفقير ولو ظهر لك او للآخرين ان ما تعطيه قد ذهب ادراج الرياح كأنه قد ألقى « على وجه الماء » ارمه على وجه الماء ودعه يسبح كما يشاء كما يفعل التاجر ببضاعته عندما يلقيها في عرض البحر . ارمه على وجه الماء وثق انه لا يغرق

(٢) « أعط نصيباً لسبعة ولثمانية أيضا » أى كن سخياً في أعمال الرحمة

١ . — أعط كثيراً ان كان لديك كثير لتعطيه ، اعط لا جزءاً زهيداً بل « نصيباً » ، اعط « كيلا جيداً » لو ٦:٣٨ ، كن سخياً وكريماً فى التوزيع كما فعل اولئك الذين في يوم الوليمة « بعثوا انصبة لمن لم يعد له » نح ٨ : ١٠

٢ . — اعط لكثيرين « لسبعة ولثمانية » . ان التقيت بسبعة فقراء فاعطهم جميعاً ، وان التقيت بثامن فاعطه ، وان التقيت بثمانية آخرين فاعطهم جميعاً أيضا . لا تعتذر عن عمل الخير بما قد عملته في الماضي بل استمر فيه ، وفي أوقات الشدة عند ما يزداد عدد الفقراء ليزدد احسانك بنسبة تلك الزيادة . فالله كريم في احسانه على الجميع وعلينا ولو لم نستحق شيئاً من حسناته ، انه « يعطى بسخاء ولا يعير » ولذلك يجب علينا ان نكون رحماء واسخياء كأبينا السماوي .

(ثانيا) الاسباب التي من أجلها يحضنا على القيام بهذا الواجب.

(١) لان جزاءنا عن فعل الخير مؤكد . فانك ولو « رميته على وجه الماء » وظهر بانه قد ذهب ادراج الرياح وسوف لا تسمع عنه مطلقاً الا انك « تجده بعد أيام كثيرة » كما يجد الزارع بذاره يأتي بمحصول كثير بعد ايام كثيرة وكما يجد التاجر ان تجارته قد أتت اليه بربح عظيم . انه لا يضيع بل يحفظ في أمان. وهو يأتي بخيرات الله الارضية وتعزيات ونعم روحه القدوس . انه محفوظ في السماء لأننا قد « اقرضناه للرب » ام ١٩ : ١٧ . ان سينكا نفسه وهو وثني استطاع ان يقول « انى لا أملك شيئاً واثق من امتلاكه الا ما وزعته وتصدقت به » وفي موضع آخر يقول " ان ما قد تصدقت به لا ازال أملكه . وكل هذه الاموال تبقى معى فى كل أطوار الحياة وتقلباتها "

« تجده » قد لا تجده سريعاً بل « بعد ايام كثيرة » . فالجزاء قد يبطيء ولكنه مؤكد وفى هذه الحالة يزداد ويتضاعف. فالقمح وهو أهم الحبوب يبقى في الارض مدة أطول . والرحلات الطويلة تأتي بفوائد أعظم .

(٢) ولان الفرصة لفعل الخير غير مؤكدة : « لانك لست تعلم اي شر يكون على الارض » الذى قد يحرمك من ثروتك فلا تجد فرصة لفعل الخير . ولذلك فان كان لديك اى ثروة انتهز الفرصة لتتصدق منها كما يلقى الزارع بذاره في الارض فى الفصول المناسبة

قبل ان تأتي عوائق الفصول الاخرى . اننا يجب ان ننتظر «الشر على الارض» لاننا قد ولدنا للتعب . ونحن « لا نعلم اى شر يكون » على اننا لكى نستعد له مهما كان نوعه فمن الحكمة ان نكون في خير وان نفعل الخير فى ايام الرخاء والنجاح .

يتخذ الكثيرون هذه الكلمة حجة في عدم التصدق على الفقراء مدعين بانه بسبب انهم «لا يعلمون اى شر يكون على الارض» لذلك يجب ان يكنزوا ما عندهم ليوم الشر . ولكن الامر بعكس ذلك فاننا بسبب ذلك يجب ان نزداد تصدقاً على الآخرين حتى ان أتى يوم الشر ننتفع بما نكون قد تصدقنا به فى ايام رخائنا ، ويكون لنا رجاء فى رحمة الله والانسان ، ولذلك فيجب ان نظهر الرحمة الان . فان كنا فى فعل الخير نوقن باننا نقرض الله ونثق في امانته فاننا نحفظه في يد أمينة ليوم الشر

(ثالثاً) كيف يوضح الاعتراضات التى قد تقام ضد هذا الواجب واعتراضات الذين لا يميلون لفعل الخير .

(١) فالبعض يقولون ان ما يملكونه ملك شخصى لهم للانتفاع به شخصياً ، ولذلك يتساءلون قائلين لماذا نرميه هكذا على وجه الماء ؟ ويقولون كما قال نابال « أآخذ خبزى ومائى واعطيه لقوم لا اعلم من اين هم ؟ » اصم ٢٥ : ١١ . تطلع الى فوق ايها الانسان وتأمل كيف كنت تهلك جوعا لو كانت السحب تقول قولك بان ما تحمله من الماء هو لنفسها . ولكنك تراها « اذا امتلأت مطراً تريقه على الارض » لترويها

حتى تفنى وتنعدم اى ٣٧ : ١١ . فان كانت السماء تغدق من خيراتها على الارض المسكينة التي هي دونها واسفلها بكثير فكيف تتجاسر انت بان تمنع خيرك عن اخيك المسكين الذي هو عظم من عظامك .

او بمعنى آخر : ان كان البعض يقولون اننا ولو اعطينا للفقراء قليلا الا ان قلبنا مملوء شفقة وحناناً لهم فلينظروا الى السحب فانها «اذا امتلأت مطراً تريقه على الارض» فان كان فى قلوبكم شيء من الشفقة والرحمة ومحبة الخير فانها لا بد ان تظهر عملياً يع ٢:١٥ و١٦. ان من ينفق نفسه للجائع اش ٥٨ : ١٠ يمد يده اليه بكل ما في استطاعته

(٢) والبعض يقولون ان دائرة عملهم ضيقة وانهم لا يستطيعون ان يعملوا ما يعمله الآخرون من الخير الذين تساعدهم ظروفهم ومراكزهم على ذلك اكثر منهم ، ولهذا فهم يمتنعون مطلقاً عن عمل الخير. على ان سليمان يرد عليهم قائلا انه «اذا وقعت الشجرة نحو الجنوب أو نحو الشمال ففي الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون» لفائدة اصحابها . فكل شخص يجب ان يعمل لبركة وفائدة المكان الذى تطرحه اليه العناية الالهية مهما كان ذلك المكان . فاينما حللنا نستطيع ان نجد عملا صالحاً لنعمله ان كان في قلوبنا ميل لفعل الخير

او بمعنى اخر : ان كان البعض يقولون ان الكثيرين يطلبون

الاحسان وهم لا يستحقونه ولذلك فلسنا نعلم على من يجب التصدق فسليمان يرد عليهم قائلا لا تربكوا انفسكم في هذا الامر بل استعملوا الفطنة في فعل الخير ثم ثقوا بانكم تنالون جزاءكم عنه ولو كان الذى تصنعون معه الخير لا يستحقه طالما كنتم تفعلونه بقلب طاهر ونية سليمة ، وحيثما اتجه خيركم « نحو الجنوب او نحو الشمال » فستنالون جزاءه .

وهذه تطبق عادة على الموت ، فانه ان كان الموت سيأتي سريعاً ويقطعنا كما تقطع الشجرة فنأتى الى ابدية سعيدة او تعسة بحسب ما قدمناه فى الجسد وجب علينا ان نفعل اثمار البر كالشجرة الجيدة التى تعطى ثمراً جيداً . وكما ان الشجرة ان وقعت لا تعود تقوم الى الابد هكذا نحن ان وقعنا ندخل الابدية التي لا نهاية لها

(٣) والبعض قد يعترضون على ما لاقوه في سبيلهم من الصعوبات ومثبطات العزائم فى عمل الخير . انهم قد عيروا واهينوا بسبب ما اتوه من الخير كمتكبرين وفريسيين ، وانهم لا يستطيعون ان يتصدقوا بمقدار ما يتصدق به الآخرون بسبب ضيق ذات يدهم ولهذا فصدقاتهم قد تكون محتقرة في اعين الكثيرين ، وانهم يرون ان الافضل ان يكنزوا شيئا من اموالهم لاولادهم بدل التصدق به ، وان لديهم ضرائب لابد من رفعها ولوازم لابد من قضائها ، وانهم لا يعلمون الوجوه التى ستنفق فيها صدقاتهم . اما سليمان فيرد على كل هذه الاعتراضات وامثالها بكلمة واحدة ع ٤ : « من يرصد الريح لا يزرع » اي لا يصنع خيرا « ومن

يراقب السحب لا يحصد » اى لا يحصل على خير . فان وقفنا نكبر كل صعوبة صغيرة ونجبن امامها ونقيم الصعوبات والعراقيل في سبيلنا ونتوهم الاخطار حيث لا توجد يستحيل علينا التقدم في أعمالنا او بالحرى السير فيها او اتمام اى شيء منها . فان كان الزارع يكف عن الزرع بسبب السحب او يمتنع عن الحصاد بسبب هبوب الرياح لما جنى سوي شر اعماله فى نهاية السنة . وان الفروض الدينية لا تقل اهمية عن الزرع والحصد ، وما يجرى على هذين يجرى عليها ايضاً فكل ما نلاقيه من الصعوبات ومثبطات العزائم ليست الا كالرياح والسحب ولا تضرنا بشيء ، وكل من سار في طريقه بشيء من الشجاعة والعزم لا بد ان يستهين بها ويدوسها تحت قدميه .

(ملاحظة) ان الذين تزعزعهم اقل الصعوبات وتعطل سيرهم فى اعمالهم الدينية لن يتمموا اي امر لان الزوابع تهب باستمرار والسحب تملأ الجو من حين لآخر . ان الرياح والسحب في يد الله ، وهو يسمح بها لامتحاننا ، ومسيحيتنا تلزمنا بتحمل الصعوبات

(٤) والبعض يقولون اننا لا نعلم كيف يعود علينا بالربح الجزيل ما ننفقه في اعمال الرحمة والصدقة ، فاننا لا نرى انفسنا نزداد غنى ، فلماذا نتكل على مجرد مواعيد لم نختبرها فعلياً . اما سليمان فيرد على ذلك بالقول « انك لا تعلم اعمال الله » كما انه لا يليق بان تعلمها . ولكن يجب ان تثق بامانة الله لوعده ولو لم يخبرك كيف يتممه او اى طريق يسلكه ، ولو انه يعمل بحسب

مشورته وحده المؤسسة على حكمته التى لا تحصى . انه ان فعل لا يقف معارض ، وان دبر امراً لا ينتظر مشورة او نصيحة . فبركاته لا بد ان تتم رغماً من كل الصعوبات والمعطلات . واعماله لا بد ان تتفق مع كلماته ومواعيده ، سواء رأينا ذلك او لم نره

اما جهلنا باعمال الله فيبينه سليمان في امرين : —

١ . — اننا « لسنا نعلم طريق الريح » (او الروح) « لا نعلم من اين تأتي ولا الى اين تذهب » يو ٣ : ٨ او متى تعود ، على ان البحارة يتوقعونها في كل وقت حتى تعود فى مصلحتهم ، كذلك يجب علينا نحن ايضاً ان نتمم واجبنا منتظرين الوقت المعين للبركة .

او قد يكون المقصود بها « الروح » البشرية ، فنحن نعلم ان الله خلقنا واعطانا هذه الارواح ولـكننا لا نعلم كيف دخلت اجسادنا واتحدت معها وكيف تحييها وتؤثر عليها . فان كانت الروح سراً اخفى عن نفسها فلا غرابة ان كانت « اعمال الله » سراً قد اخفى عنا

٢ . — ولسنا نعلم « كيف العظام في بطن الحبلى » لا نستطيع وصف كيفية تكوين الجسم ولا كيفية اتحاد الروح به . صحيح اننا نعلم ان هذا هو عمل الله ونسلم به ولـكننا لا نستطيع ان نتبع اثار اتمام هذا العمل . نحن لا نشك في اتمام ولادة الطفل الذي يحبل به ولو اننا لا نعلم كيفية تكوينه ، كذلك يجب ان لا

نشك فى اتمام مواعيد الله ولو اننا لا نرى كيف تسير الامور لاتمامها .

فان كنا قد علمنا ان اجسادنا خلقت هذه الخلقة العجيبة في الخفاء بدون علم منا او مجهود بذلناه وان ارواحنا قد دخلت الاجساد بهذه الطريقة وجب علينا ان نثق بان الله يعد لنا كل ما فيه راحتنا بدون بذل اى مجهود او مسعى من جهتنا ويجازينا على اعمال الخير التي نفعلها . ولقد استعمل مخلصنا نفس هذ التعليل لنفس هذا الغرض عند ما قال ان « الحياة (اى النفس الحية التى اعطاها لنا الله) افضل من الطعام . والجسد (الذي خلقه لنا الله) افضل من اللباس » مت ٦ : ٢٥ . فمن اعطانا البركات العظمى يجب ان نثق في انه يعطينا الصغرى .

(٥) والبعض يقولون اننا قد تصدقنا كثيراً واحسنا الى فقراء كثيرين ولكننا لم نر جزاء لكل ذلك . لقد انقضت أيام كثيرة ولم نجد شيئاً . اما سليمان فيرد على ذلك بقوله ع ٦ : استمر فى عمل الخير ولا تدع فرصة تمر دون ان تنتهزها لذلك . « في الصباح ازرع زرعك » اى تمم مايطلب منك اداؤه من اعمال الخير التي تجدها في وقت مبكر . « وفى المساء لا ترخ يدك » ادعاء بانك مضنى من التعب . اعمل الخير كلما سنحت لك الظروف واستمر فى عمل الخير في كل وقت وبأى طريقة ممكنة وطول اليوم كما يباشر الزارع زرعه من الصباح الى المساء .

« في صباح » شبابك اوقف نفسك لعمل الخير ، اعط من القليل الذى عندك الذى بدأت به مركزك المالي . « وفي مساء » الشيخوخة لا تستسلم للتجربة التى يعرض اليها الشيوخ دائماً ، بل حتى في هذه الحلقة الاخيرة من الحياة « لا ترخ يدك » ولا تعتذر عن عمل الخير لأي سبب من الاسباب بل افعله الى النهاية « لانك لا تعلم أيهما ينمو » اى لا تعلم أي عمل من أعمال الرحمة والتقوى ينجح ويأتي بالفائدة لك وللآخرين ، بل يجب ان ترجو « ان يكون كلاهما جيدين سواء » « لا تفشل فى عمل الخير لانك ستحصد في وقته » اى في الوقت الذى عينه الله وهو انسب الاوقات غل ٦ : ٩

وهذه تنطبق ايضا على اعمال الخير في الامور الروحية اى في المجهودات التى نبذلها لخير نفوس الآخرين ، فاننا يجب ان نستمر فيها لانه ان ظهر لنا بان اتعابنا الكثيرة قد ذهبت ادراج الرياح الا أننا قد نرى نجاحها أخيراً . فعلى خدام الله ان يزرعوا فى الصباح والمساء لانه من يعلم ايهما ينجح ؟

oooo○○○oooo

٧ - النور حلو وخير للعينين ان تنظرا الشمس - ٢ لانه ان عاش الانسان سنين كثيرة فليفرح فيها كلها وليتذكر أيام الظلمة لانها تكون كثيرة . كل ما يأتى باطل - ٩ افرح

أيها الشاب فى حداثتك وليسرك قلبك في أيام شبابك واسلك فى طرق قلبك وبمرأى عينيك واعلم انه على هذه الامور كلها يأتي بك الله الى الدينونة ـ ١٠ فانزع الغم من قلبك وابعد الشر عن لحمك لان الحداثة والشباب باطلان .

هنا نرى سليمان ينصح كلا من الشبان والشيوخ بالافتكار في الموت والاستعداد له . فهو بعد ان علمنا بتعاليمه السامية ـ التى مرت بنا ـ كيف نعيش حسناً نراه في اواخر هذا السفر يعلمنا كيف نموت حسناً ويذكرنا بآخرتنا

(اولا) انه يوجه حديثه للشيوخ اولا ويكتب اليهم كآباء ليوقظهم للافتكار فى الموت ع ٧ و ٨ . وهنا نرى

(١) تسليما معقولا بلذة الحياة التى يجدها الشيوخ بالاختبار « النور حلو » نور « الشمس » حلو « وخير للعينين ان تنظراه » .

لقد كان النور أول شيء خلق في العالم ، كذلك اول ما يخلق في الجسد — وهو ذلك العالم الصغير — العينان . انه جميل جداً ان نرى النور ، فالوثنيون لشدة اعجابهم وافتتانهم بجماله عبدوا الشمس . وأجمل ما فيه ايضا اننا نرى به باقى الاشياء

هكذا ايضا الحال في نور الحياة . فالنور يعبر به في بعض الاحيان عن الحياة (انظر اى ٣ : ٢٠). ولا ينكر احد ان الحياة حلوة : فهى حلوة للاشرار لانهم ينالون « نصيبهم في هذه

الحياة » ص ٩ : ٩ ، وهى حلوة للصالحين لانهم فيها يستعدون لحياة افضل ، وبالجملة فهى حلوة للجميع ، فالطبيعة نفسها تقرر ذلك ، اذ ليس احد يبتغى الموت حباً فى الموت اللهم الا لانهم به يستريحون من أتعاب الحياة الحاضرة ويستقبلون سعادة عتيدة . ان الحياة حلوة ، ولذلك وجب علينا ان نزداد حذراً لئلا نحبها اكثر من اللازم .

(٢) تحذيراً للافتكار فى الموت حتى فى وسط الحياة خصوصاً عند ما تكون حلوة فيأعيننا لا نناوقتئذ نعرض لنسيان كل شيء عن الموت « ان عاش انسان سنين كثيرة فليتذكر أيام الظلمة » انها آتية . وهنا نرى :

١ . ـ يوماً صافياً مفروض ان يتمتع به الانسان ـ وهو ان الحياةقد تطول « سنين كثيرة » وانها قد تكون مريحة وسعيدة بنعمةالله « فيفرح فيها كلها » . يوجداشخاص كثيرون « يعيشون سنين كثيرة » ويأمنون من اخطار كثيرة ، وينالون مراحم كثيرة ، ولذلك فيتوهمون انه لا يعوزهم شيء من الخير ولا يصيبهم شيء من الشر وانهم لن تصيبهم في المستقبل تلك الاخطار التى نجوا منها فى الماضي . ولكن من هم اولئك الذين « يعيشون سنين كثيرة ويفرحون فيها كلها » ؟ بكل اسف لا يوجد شخص واحد ، فنحن ان فرحنا ساعة نحزن شهوراً . على انه قد يفرح البعض في سني حياتهم ، في سنيهم الكثيرة ، اكثر من البعض الآخر .

انه ان اجتمع هـذان الامران وهما حالة النجاح والرخاء والروح المبتهجة ساعدا الانسان كثيراً على ان « يفرح في سنيه كلها ». على انه مهما كان ناجحاً فلا بدمن ان يصادف كثيراً من المكدرات ، ومهما كانت روحه مبتهجة فلا بد من مقابلة المحزنات. فالخطاة الفرحون لهم ما يكدر صفاءهم ويقلق راحتهم ، والقديسون المبتهجون لهم احزانهم المقـدسة . ولذلك فان قلنا ان الانسان « يفرح في سنيه كلها » فليس هذا الا فرضاً لانه لا يمكن ان يوجد شخص واحد كذلك .

٢ . ــ على انه لا بد ان يعقب هذا اليوم الصافي ليل مظلم متلبد سماؤه بالغيوم . «ليتذكر (ذلك الانسان الهرم ذو السنين الكثيرة) ايام الظلمة لانها تكون كثيرة »

ملاحظات ــ (الاولى) انه لا بد ان تأتي « ايام مظلمة » ، ايام نرقد فيها فى القبر ، هنالك ترقد اجسادنا فى الظلام ، هنالك لا ترى العينان ، والشمس لا تنير . فظلام الموت هو بعكس نور الحياة ، والقبر هو « ارض الظلمة » اي ١٠ : ٢١

(الثانية) ان « ايام الظلمة هذه تكون كثيرة » فأيام رقادنا تحت الارض ستكون اكثر من ايام حياتنا فوق الارض . انها كثيرة ولكنها غير محدودة ، ولكنها مهما كانت كثيرة فانها ستنتهي عند ما « لا تبقى السماوات » اش ١٤ : ١٢ . فكما ان اطول يوم لا بد ان يعقبه ليل كذلك لا بد ان يعقب اطول ليل نهار .

(الثالثة) وخير لنا ان « نتذكر ايام الظلمة » هذه فى كل وقت حتى لا نرتفع بالكبرياء او نستغرق فى سبات عميق بسبب اطمئناننا وعدم تذكرنا الموت او نحمل بشرور كثيرة بسبب افراحنا الباطلة

(الرابعة) ورغماً عن طول الحياه ومسراتها الكثيرة فعلينا ان « نتذكر ايام الظلمة » لانها لا بد ان تأتي ، فان افتكرنا فيها قبل أن تأتى لم نقابلها بمقدار ذلك الخوف والجزع الذى يقابلها به من لم يفكروا فيها مطلقاً

(ثانيا) وبعد ذلك يوجه حديثه للشبان ويكتب اليهم كأبناء ليوقظ فيهم الافتكار فى الموت ع ٩ و ١٠ . وهنا نرى :

(١) تسليما تهكمياً بمسرات الشباب واباطيله : « افرح ايها الشاب فى حداثتك » . يظن البعض ان هذه نصيحة الملحدين والشهوانيين للشاب ، ولكن سليمان يقدم فى اخر هذا العدد الدواء الناجع لهذا السم القتال . على ان الارجح جداً ان هذا هو كلام سليمان نفسه ولكن بلهجة التهكم كلهجة ايليا عندما كان يخاطب كهنة البعل « ادعوا بصوت عال لانه آله » ١ مل ١٨ : ٢٧ وكلهجة ميخا فى خطابه لآخاب « اصعد الى راموت جلعاد وافلح » ١ مل ٢٢ : ١٥ وكلهجة المسيح عندما قال لتلاميذه « ناموا الآن واستريحوا » . بنفس تلك اللهجة يخاطب سليمان الشاب قائلا « افرح ايها الشاب فى حداثتك » اقض حياتك فى الافراح

والملذات واللهو واللعب « وليسرك قلبك فى ايام شبابك ». ليسرك

قلبك باوهامه الكاذبة وآماله الباطلة ؛ ابهج نفسك باحلامك المدمرة

« واسلك فى طرق قلبك » افعل كل ما تشتهيه ويصبو اليه قلبك

وكما يقول المثل اللاتيني اجعل ارادتك ناموساً لك . « اسلك فى

طرق قلبك » واجعل قلبك يسلك « بمرأى عينيك » افعل كل ما

يحسن فى عينيك سواء حسن فى عيني الله او قبح .

بهذه اللهجة يتكلم سليمان للشبان لكي يبين ضمناً : —

١ . — ان هذا هو ما يميل بطبيعته الى فعله وما يتوهم انه

مصرح له فعله لأن فيه سعادته ؛ ولذلك فهو يوجه نحوه

قلبه

٢ . — وانه يود لو نصحه كل من حوله بهذه النصيحة

وحببوا اليه هذه الملذات ولم ينفروه منها ، وان كل من نصحه

بوجوب التعقل والتقوى لهو العدو المبين

٣ . — شدة غباوته وجنونه بسلوكه فى هذا الطريق الفاسد

فكل من نظر الى الامور كما هى وحكم عليها بدون محاباة قرر فى

الحال ان من يعيشون فى حياة كهذه هم خارجون عن صوابهم .

وهذا أمر لا يحتاج الى زيادة البرهان .

٤ . — ولكي يبين اخيراً انه ان سلم الانسان لنفسه لهذا

الطريق الفاسد لكان من العدل ان يسلمه الله اليه ويتركه لشهوات

قلبه لكى يسلك بحسب ارادته الفاسدة .

(٢) اما الدواء الناجع الذي يصفه لنا ازاء سموم هذه الاباطيل والملذات فهو « اعلم انه على هذه الامور كلها يأتي بك الله الى الدينونة » تأمل ذلك جيداً وضعه نصب عينيك وبعد ذلك ان كنت تستطيع او تجسر ان تعيش حياة الترف والتنعم فعش . بهذه العبارة يصحح ما قبلها ويكبح جماح الشاب بعد ان اطلق له العنان فى العبارة السابقة . « اعلم » وتأكد انك ان اطلقت لنفسك العنان هكذا سعيت نحو هلاكك الابدى فان الملك لا يتركك بدون قصاص

ملاحظات — ١ . — انه توجد دينونة لابد ان تأتى

٢ . — اننا جميعا لا بد ان نأتي امام تلك الدينونة مهما نسينا ذلك اليوم ونحن فى حياتنا هذه

٣ . — اننا فى ذلك اليوم سنحاسب عن افراحنا العالمية وملذاتنا الجسدية

٤ . — انه خير للجميع ـ وللشبان بنوع اخص ـ ان يعرفوا ذلك ويتأملوا فيه حتى لا يتمادوا في شهواتهم الشبابية « ويذخروا لانفسهم غضبا في يوم الغضب » رو ٢ : ٥

(٣) ومن كل ذلك يستنتج كلمة تحذير ونصح ع ١٠ . لينظر الشبان الى انفسهم وليسلكوا بحكمة ازاء نفوسهم واجسادهم ، قلوبهم ولحمهم .

١ . ـ ليحذروا من ان يرتفعوا بالكبرياء أو يفسدوا

بالغضب أو بأى عاطفة شريرة: «انزع الغم من قلبك» او الغضب وكلمة «غم» تدل في معناها الاصلي على تشويش واضطراب الفكر. ان الشبان يجزعون ويتذمرون من كل من يحاول صدهم عن شرهم ويستشيطون غيظاً من كل مايقصد به كبح جماحهم واماتة شهواتهم، وقلوبهم الشريرة المتصلفة تقاوم كل ما خالفها. انهم لا يحصرون مجهوداتهم وافكارهم الا في الملذات والمسرات ولذلك فهم لا يحتملون اي شيء مغضب او مؤلم لانه يسبب لهم «الغم في قلوبهم» ولذلك فسليمان ينصحهم قائلا تنحوا عن ذلك واتركوا محبة العالم ولا تضعوا اتكالكم على البشر او أى خليقة أخرى وبعد ذلك لا تجدون اى غم او حزن فيما يصادفكم من الفشل ومثبطات العزائم

يظن البعض ان المقصود «بالغم» هنا ذلك الحزن وتلك المرارة اللتان تنتهى بهما تلك الافراح العالمية والمسرات الجسدية التى ذكرها في ع ٩، فلنبتعد عن كل ما ينتهى بالحزن والغم

٢ . - وليحذروا من ان تتدنس اجسادهم بالنجاسة او الشهوات الجسدية «ابعد الشر عن لحمك» ولا تدع اعضاء جسدك آلات للاثم. ان ما تشتهيه الآن وتظن انه صالح للجسد سيظهر لك بعد انه ضار له، ولذلك فابتعد منه بقدر استطاعتك

(ثالثاً) واخيراً نرى سليمان لكى يقوي ويعزز نصائحه للشيوخ والشبان يقرر تلك الحقيقة التى طالما ذكرها في هذا السفر وهى بطلان كل الامور الحاضرة وعدم ثباتها وعدم كفايتها لاسعاد الانسان.

(١) انه يذكر الشيوخ بهذه الحقيقة ع ٨ «كل ما يأتي باطل»

نعم ولو «عاش الانسان سنين كثيرة وفرح فيها كلها» . كل ما قد اتى وكل ما سيأتي مهما كان كثيراً بحسب رجاء الناس واستنتاجهم من الظروف المحيطة ـ كل هذا باطل . «كل ما يأتى» لا يمكن ان يزيد الناس سعادة عما فعله ما قد اتى . «كل ما يأتي» فى هذا العالم باطل لان العالم نفسه باطل

(٢) وهو يذكر الشبان بها ايضا «الحداثة والشباب باطلان»

كل احوال واعمال الحداثة والشباب تتخللها الطياشة والاثم والبطلان الشرير ، الامور التي يجب على الشبان الحذر منها . ان مسرات ومواهب الحداثة والشباب غير ثابتة وغير مريحة وغير دائمة . فهى زائلة ، وان بدت لنا الان زاهرة الا انها ستذبل سريعاً وتسقط .



الاصحاح الثاني عشر

في هذا الاصحاح نرى سليمان الحكيم الجامعة يختم عظته ، وهو لا يختمها كخطيب فصيح فقط بل كواعظ مقتدر أيضاً ، فهو يختمها بما كان يثق أن له أحسن تأثير وابقى اثر في نفوس سامعيه . هنا نرى (١) نصيحة للشبان ليبدأوا التدين في الوقت المناسب ولا يؤجلوه لوقت الشيخوخة ع ١ ويعزز ذلك ببعض البراهين التي يستنتجها من مصائب الشيخوخة ع ١ ــ ٥ وبالتغيير العظيم الذي سيحدثه فينا الموت ع ٦ و٧ (٢) تكرار الحقيقة التي أخذ على عاتقه اقامة الادلة والبراهين عليها في هذا السفر ألا وهى بطلان العالم ع ٨ (٣) تأييداً لما قد دونه فى هذا السفر وفى أسفاره الاخرى ، وهو حرى بتأملنا الدقيق ع ٩ ــ ١٢ (٤) ختام وتلخيص الامر كله مع وصية الجميع بضرورة التقوى الحقيقية مراعاة للديونة العتيدة ع ١٣ و ١٤

ooooOOOoooo

١ . اذكر خالقك في أيام شبابك قبل ان تأتي أيام الشر او تجيء السنون اذ تقول ليس لى فيها سرور ــ ٢ قبل ما تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم وترجع السحب بعد المطر ــ ٣ في يوم يتزعزع فيه حفظة البيت وتتلوى رجال القوة وتبطل الطواحن لانها قلت وتظلم النواظر من الشبابيك ــ ٤ وتغلق الابواب في السوق . حين ينخفض صوت المطحنة ويقوم لصوت العصفور وتحط كل بنات

الغناء — ٥ وايضا يخافون من العالى وفى الطريق اهوال واللوز يزهر والجندب يستثقل والشهوة تبطل لان الانسان ذاهب الى بيته الابدى والنادبون يطوفون فى السوق — ٦ قبل ما ينفصم حبل الفضة او ينسحق كوز الذهب او تنكسر الجرة على العين او تنقصف البكرة عند البئر — ٧ فيرجع التراب الى الارض كما كان وترجع الروح الى الله الذى اعطاها

فى هذه الاعداد نرى :—

(اولا) دعوة للشبان للافتكار في الله وتأدية واجباتهم من نحوه في ايام شبابهم : « اذكر خالقك في ايام شبابك »

(١) هذه هى كلمات سليمان الذهبية التي يختم بها تعليمه ببطلان العالم وكل ما فيه . ايها الشاب اسمع نصيحة من قد عاركوا الدهر وخبروا العالم قبلك ، اعلم بأن العالم لا يمكن ان يقدم راحة للنفس ، ولذلك فلكى لا تنخدع باباطيله او ترتبك باعماله « اذكر خالقك » وبذلك تقيم لنفسك حارسا ضد ما ينشأ من اباطيل الخليقة من الشرور .

(٢) وهى الدواء الناجع لامراض الشباب الخاصة الا وهى محبة الافراح العالمية والانغماس في الملذات الجسدية والبطلان الذى تعرض عليه الحداثة والشباب .

فلكي تدرأ عن نفسك اخطار كل هذه الادواء ولكي تشفى منها « اذكر خالقك »[1]. وهنا نرى : —

١ . — ان سليمان يحضنا على واجب عظيم هو ان نذكر الله كخالق لنا ، ليس فقط ان نتذكر بان الله خالقنا وبانه هو الذى صنعنا وليس نحن ولذلك فهو ربنا بحق ونحن ملك له ولكن لنؤدي له أيضا ما يستحق من الاكرام والعبادة والواجبات الأخرى كخالقنا .

وردت لفظة « خالق » في النص الأصلي بصيغة الجمع كما وردت أيضاً كلمة «صانع» في اى ٣٥ : ١٠ بصيغة الجمع ؛ذلك لان الله عند خلقة الانسان قال «نعمل الانسان» تك ١ : ٢٦. « نعمل» أي الآب والابن والروح القدس

٢.— اما الوقت المناسب لهذا الواجب فهو « في أيام شبابك». ابدأ في أول أيامك بذكر ذاك الذي كان مصدر وجودك وحياتك ، وسر بحسب هذه البداءة الصالحة . اذكره في عقلك وانت شاب وابقه في عقلك طول أيام شبابك ولا تنسه أبداً . وبذلك تدفع عن نفسك غوائل تجارب الشباب

(ثانيا) أما السبب الذى يعزز به هذا الأمر فهو « قبل ان تأتي ايام الشر أو تجيء السنون اذ تقول ليس لي فيها سرور »

---

(١) تممه بسرعة

(١) قبل ان يأتي المرض والموت . تممه طالما كنت حياً لان

الفرصة تكون قد ضاعت عند ما يأتي الموت وينقلك من حياة الجهاد الى حياة المجازاة . ان ايام المرض والموت هي « ايام الشر » لان الطبيعة ترهبها ولانها حقاً شر للذين نسوا خالقهم. ان « ايام الشر » هذه « ستأتي » عاجلا أو آجلا ، اما المدة التي تنقضي « قبل ان تأتي » ففيها يتأنى الله علينـا « ويعطينا زماناً لـكي نتوب » رؤ ٢ : ٢١ ، فاستمرار الحياة ليس الا تأجيلا في اجل الموت ، ولذا فطالما بقينا في الحيـاة وابطأ الموت وجب علينا الاستعداد للموت حتى ان أتى لا نلتقيه برعبة أو ذعر .

(٢) وقبل ان تأتي الشيخوخة التي ان لم يمنع الموت مجيئها ستأتي فنراها انها هي « السنون التي نقول ليس لنا فيها سرور » لاننا فيها لا نجد لذة في الملذات الجسدية أو العقليـة كبرزلاي ٢ صم ١٩ :٣٥ ، وفيهاسيثقل كاهلنا بمصائب الشيخوخة وضعفاتها كضعف البصر وضعف القوى وضعف باقي الاعضاء ، وفيها لا تبقى فينا منفعة ، وفيها نفترق عن كل أصدقائنا وأقاربنا لان الموت يفصلنا عنهم او لانهم يعيون منا ، وفيها نرى انه بيننا وبين الموت قاب قوسين . ان كل ما يجيء من هذه السنين باطل وكل ما هو باق منها باطل أيضا ، ولن نجد فيها اي سرور سوى في الحياة الصالحة على الارض وانتظار حياة أفضل في السماء .

(٢) وفي الاعداد التاليـة نراه يتوسع في شرح هذين السببين ، انما يعكس الترتيب، ويبين : ـ

(١) كيف ان مصائب الشيخوخة كثيرة ، واننا ان عشنا

حتى الشيخوخة سوف لا نرى سروراً في هذه الايام . ومن اجل ذلك يجب ان نقترب من الله ونعيش معه و سلام « في أيام شبابنا » ولا نؤجل الى الشيخوخة ، لانه لا يكون هنالك فضل لنا ان تركنا ملذات الخطيه عند ما تتركنا هي وان حاولنا الاقتراب من الله عند ما تضطرنا الحاجة لذلك انه من الجنون الفاضح ونكران الجميل الذى لا يتصور ان نعطى زهرة حياتنا للشيطان وبعد ذلك نقدم ثمالتها وادراسها لله ، فهذا هو تقديم الاعرج والاعمى ذبيحة للرب الامر الذي نهى عنه تث ١٥: ٢١

وفضلا عن ذلك فانه من الغباوة والجنون ان نؤجل لوقت الشيخوخة التي تعتريها الامراض والضعف ذلك العمل الجليل الضرورى الذى يتطلب كل قوتنا وافضل مواهبنا . ولا يغرب عن البال ايضا اننا باستمرارنا فى الخطية وتدنيس ضمائرنا بالاثم حتى وقت الشيخوخه يستحيل علينا القيام بذلك العمل الجليل بل نحن نزيد اثقال كاهلنا ونجعل مصائب الشيخوخة اثقل حملا واصعب من أن نحتمل فان كانت مصائب الشيخوخة ثقيلة الحمل كما يصفها سليمان هنا لاحتجنا الى ما يقوينا على احتمالها ويعزينا وسط همومها واحزانها ، ولن يستطيع اى امر آخر تأدية ذلك سوى شهادة ضمائرنا لنا باننا قد بدأنا ذكر خالقنا في الوقت المناسب ولم يبرح عن بالنا ذكره كل تلك السنوات الماضيات لانه كيف ننتظر مساعدة الله لنا في ايام الشيخوخة ان كنا قد تركنا عبادته في أيام الشباب ؟ انظر مز ٧١ : ١٧ و ١٨

(اولا) وهنا نرى سليمان يصف مصائب الشيخوخة وضعفاتها وصفا بليغاً بامثلة كثيرة قد يصعب علينا فهمها الآن لعدم المامنا بالتشبيهات والاستعارات والعبارات التي كانت تستعمل في عصر ولغة سليمان على ان الغرض منها على وجه العموم واضح وهو ايضاح متاعب الشيخوخة .

١ . — فى تلك الايام — ايام الشيخوخة — «تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم» . انها تبدو مظلمة للشيوخ بسبب ضعف نظرهم . انها تبدو اليهم كأنها قد سدل عليها ستار السحب . فضلا عن انهم لا يرون فيها شيئاً من الجمال والبهجة . وان قواهم العقلية ومواهبهم — التى هى بمثابة الانوار للنفس — تضعف . فقوة ادراكهم تضعف وذاكرتهم تخونهم وذهنهم لا يحضرهم بتلك السرعة الاولى وذكاؤهم يذبل . وان ايام افراحهم قد مضت (فالنور طالما استعمل ليعبر عن الافراح والمسرات) لانهم لا يجدون سروراً في اعمال النهار او في راحة الليل لان «الشمس والقمر» قد اظلما لديهم

٢ . — وفيها «ترجع السحب بعد المطر» فكما ان السحب يتلو بعضها بعضاً عند ما يكون الجو مشبعاً بالرطوبة كذلك الحال مع الشيوخ فانهم ان تخلصوا من ألم او مرض اصابهم مرض آخر لان امراضهم تكون «كالوكف المتتابع فى يوم ممطر» ام ٢٧ : ١٥ : ان ناموس هذا العالم هو انه ان ولت مصيبة اقبلت مصيبة اخرى .

خان « غمراً ينادي غمراً » . وبسبب كل تلك الامراض والمصائب التي تنهال عليهم ينحل جسمهم شيئاً فشيئاً .

٣ . — « وفيه يتزعزع حفظة للبيت » . فالرأس التى هى كالبرج او المرصد تتزعزع ، والاذرع والايدى التي تعمل لحفظ الجسد تتزعزع ايضاً وتضعف كلما دنت منها الاخطار او هاجمتها . فتلك القوى النفسية والجسدية التى كانت تستخدم للدفاع عن الانسان تضعف ولا تستطيع تأدية عملها ، فلاقل الاسباب توهن قوى الشيوخ وتخور نفوسهم في داخلهم .

٤ . — وفيه « تتلوى رجال القوة » فالسيقان والارجل التى كانت دعامة الجسم تتلوى وتنحني ولا تستطيع السير كما كانت اولا — بل تظهر عليها علامات التعب والتأثر فى اسرع وقت فالشيوخ الذين كانوا فى جيلهم « رجال القوة » يضعفون وتنحنى ظهورهم من كثرة الايام زك ٨ : ٤ . ان الله « لا يرضى بساقي الرجل » مز ١٤٧ : ١٠ لان قواهما تضعف في الحال ، اما « في ياه الرب فصخر (او قوة) الدهور » اش ٢٦ : ٤ ، وذراعه ابدية

٥ . — وفيه « تبطل الطواحن لانها قلت » أي الاسنان التى بها نمضغ او نطحن الطعام ونهيئه للهضم تكف عن تادية عملها « لانها قلت » . ان السوس ينخر في عظامها فتتساقط شيئاً فشيئاً . ان بعض الشيوخ يفقدون كل اسنانهم والبعض يفقدون اغلبها . ان هذا المرض أشد الامراض وطأة على الانسان لان

الطعام لا يهضم جيداً لسبب عدم مضغه جيداً ، ولذلك تنحل قوى الشيوخ .

٦ . — وفيه « تظلم النواظر من الشبابيك » اى ان الاعين تظلم كاسحق تك ٢٧ : ١ واخيا ١ مل ١٤ : ٤ . لقد شذ موسى عن هذه القاعدة ، فانه عندما بلغ من العمر ١٢٠ سنة كان لا يزال نظره قويا ، على ان القاعدة العامة هى ان نظر الشيوخ يضعف كباقى القوى والمواهب الاخرى . ويالهمن بركة عظمى ان نرى العلم يكمل بعض ما تنقصه الطبيعة فان الشيوخ — وضعيفو الابصار — يستطيعون استعمال النظارات . انه من الزم الواجبات علينا ان نعنى عناية فائقة بقوة ابصارنا طالما بقيت لنا تلك القوة ، لانه قد يزول نور العين قبل ان يزول نور الحياة

٧ . — « وتغلق الأبواب فى السوق » فالشيوخ يجلسون في عقر دارهم ويقفلون الابواب ، ولا يبالون بالذهاب الى الخارج للتريض أو التسلية . والشفاه — وهى ابواب الفم — تغلق وقت الأكل لان اسنانهم قد تكسرت « فينخفض صوت المطحنة » ولذلك فهم لا يستطيعون اجادة هضم الطعام .

٨ . — والشيوخ « تقوم لصوت العصفور » انهم لا ينامون نوماً عميقاً كالاحداث فاقل صوت يزعجهم حتى « صوت العصفور » وهم بوجه العموم يعتريهم السعال في هذا الدور من السن ولذلك فلا يشعرون براحة في النوم بل يستيقظون وقت صياح الديك قبل ان يستيقظ اي حي . او انهم لكثرة اهتماماتهم

وأفكارهم يستيقظون مبكراً جداً . او انهم لكثرة هواجسهم وتشاؤمهم يستيقظون لصوت العصفور ظانين انه غراب او بومة لان الكثيرين من تابعي الخرافات يظنون انهما منذرين بالسوء

٩ . — ومعهم « تحط كل بنات الغناء » فهم ليس لهم صوت رخيم او أذن تعشق الغناء ، لا يستطيعون ان يغنوا ولا يجدون لذة في الغناء كما كان يجد سليمان في ايام شبابه لذة في « المغنيين والمغنيات » ص ٢ : ٨ . فالشيوخ كلما زادوا في السن زادت اسماعهم ثقلا واصبحوا عديمي التمييز بين الاصوات والنغمات

١٠ — وهم « يخافون من العالي » يخافون الصعود الى مكان عال اما لعدم استطاعتهم الوصول اليه لضيق تنفسهم او لضعف أقدامهم او خوفا من ان يعتريهم الدوار ، او لانهم يخشون ان يسقط عليهم ذلك « العالي » . « وفي الطريق أهوال » انهم لا يستطيعون الركوب او السير بشجاعتهم الاولى ، بل يخافون من كل ما يلتقون به في الطريق لئلا يضرهم

١١ . — « واللوز يزهر » ان رأس الشيخ عندما يبيض شعرها تظهر كأنها شجرة لوز وقت الازهار . ان شجرة اللوز تزهر قبل اي شجرة اخرى ، ولذلك فهي انسب ما يعبر عن سرعة مجيء الشيخوخة الى الانسان ، فهي توقف آمالهم عند حدها وتسرع اليهم في وقت لم ينتظروه . فشعور رؤوسهم تبيض من وقت لآخر وهم لا يدرون

١٢ . — « والجندب يستثقل والشهوة تبطل » . ان

الشيوخ لا يحتملون شيئاً، فاقل الاشياء يثقل كاهلهم سواء من وجهة الجسد او العقل . قد يكون « الجندب » طعاما خفيفاً جداً وسهل الهضم فقد كان طعام يوحنا المعمدان « جراداً » . ولكن حتى هذا الطعام الخفيف تستثقله معدة الشيوخ ولذلك « فالشهوة تبطل » فان قدم اليهم طعام لا يجدون شهوة لتناوله . ومن الوجهة الاخرى ايضا ان شهوتهم تبطل « فلا يبالون بشهوة النساء » كذلك الملك الذي ذكر في دا ١١ : ٣٧ .

فالشيوخ لا يبالون بالشهوات الجسدية او العقلية ولا يجدون فيها اى لذة او سرور

(ثانيا) من المحتمل جداً ان يكون سليمان قد كتب هذا عندما كان هو نفسه شيخا فكتبه وهو متأثر بضعفات الشيخوخة وعارفاً بحقيقتها خصوصا وانه لابد أن وطأتها كانت أشد على نفسه لانه كان قد انغمس في الملذات الجسدية فى ايامه الاولى. صحيح ان بعض الشيوخ يتحملون في شيخوختهم ما لا يستطيع الآخرون تحمله ولكن ايام الشيخوخة بوجه العموم كانت ولا تزال وستستمر « ايام الشر » وقليلة السرور . لذلك كان من الواجب علينا احترام الشيوخ واكرامهم حتى بذلك تخف وطأة متاعبهم

كل ذلك لو وضع معاً لكوّن لنا أكبر سبب عن ضرورة « ذكر خالقنا في ايام شبابنا » لكي يذكرنا هو برحمته عندما « تاتي ايام الشر » هذه ولكي نلتذ بتعزياته عند ما تبلى بل تفنى لذاتنا الجسدية والعقلية

(٢) وهو يبين مقدار التغيير العظيم الذى سيحدثه معنا الموت . لانه هو الذي يضع الحد الفاصل لاتعاب الشيخوخة ومصائبها فلا شيء غيره يستطيع ان يريحنا منها أو يبعدها عنا. فان كان الموت أمامك ولا محالة من اجتيازك له « فاذكر خالقك في ايام شبابك» لانه قد يكون بينك وبين الموت قاب قوسين ، ولان ساعة الموت رهيبة ، ولانه يجب عليك بذل قصارى الجهد فى الاستعداد له

١ . — فالموت يأتى بنا الى حالة دائمة لا تتغير : « لان الانسان ذاهب الى بيته الابدى » فليست ضعفات الشيخوخة وانحلالها سوى مقدمات ونذير لذلك الانتقال المريع . في ساعة الموت « يذهب الانسان » من هذه الحياة ويغادر كل اعمالها ومسراتها . في ساعة الموت يودع الانسان هذه الحياة وداعاً لا لقاء بعده . انه يذهب « الى بيته » لانه ليس هنا سوى نزيلا وغريبا، فكلا الروح والجسد يذهبان الى حيث خرجا ع ٧ . انه يذهب الى « موضع راحته » ، الى الموضع الذى سيستقر فيه. انه يذهب « الى بيت عالمه » (كما يقرأها البعض) لان هذا العالم ليس عالمه . انه يذهب الى « بيته الابدي » (أو بيته الطويل الاقامة) لان ايام رقاده فى القبر طويلة . انه «ذاهب الى بيته الابدي » ليس فقط الى بيته الذى لا يعود منه الى هذا العالم بل الى بيته الذى يبقى فيه الى الابد. وهذا مما يحببنا فى الموت اننا «ذاهبون الى بيتنا» لانه لماذا لا نشتاق الذهاب الي بيت أبينا ؟ وهذا مما يبعثنا على

الاستعداد للموت اننا ذاهبون الى بيتنا الابدى ، الى مقامنا الابدى .

٢ـ والموت سيسبب حزن احبائنا : فعند ما يذهب الانسان الى بيته الأبدي «يطوف النادبون في السوق» (أوفي الطرقات) اى الحزانى الحقيقيين والمعزين الذين يطوفون معهم الطرقات بحسب عادة تلك الايام . فعند ما نموت نخلف من بعدنا من يحزنون علينا ويتوجعون من اجلنا . ان الدموع فرض لا بد من تأديته ودين لا بد من ايفائه للموتى ، وهذا من ضمن الامور التى تجعل الموت رهيبا ومؤلماً . على اننا ان كنا « نذهب الى بيت النوح » ونشهد « النادبين يطوفون في السوق » دون ان يؤثر فينا ذلك ويقتادنا الى حياة البر والتقوى والحزن الروحى المقدس فلا فائدة منه

٣ . ـ والموت سيحل هيكل اجسادنا وينقض بيت خيمتنا الأرضى الذي يصفه هنا بوصف بليغ في ع ٦ . في ساعة الموت « ينفصم حبل الفضة » الذى به ترتبط النفس والجسد ذلك الارتباط العجيب ، وتلك الرابطة المقدسة تنحل . وفيها «ينسحق كوز الذهب » الذى كان يحمل لنا ماء الحياة « وتنكسر الجرة» التى اعتدنا استعمالها فى الحصول على المياه لاعالتنا ، بل تنكسر « على العين » فلا تعود تصلح للاستعمال ، « وتنقصف البكرة » أى ان سائر الاعضاء التى تستخدم لتحصيل وتوزيع الغذاء

تتقصف ولا تستطيع تأدية وظيفتها بعد . ان الجسد كالساعة التي ان كسر الزمبلك فيها تعطلت سائر الاجزاء، كذلك الحال في الجسم فانه عند الموت يقف القلب فيقف الدم في سائر العروق والاعضاء .

يطبق البعض هذه الكلمات على الحلى والاواني التي تستعمل في هذه الحياة ، فالاغنياء يجب ان يتركوا وراءهم عند الموت اواني « الفضة والذهب » والفقراء يجب ان يتركوا « جرأتهم » الخزفية .

٤ . ـ والموت يعيدنا الى اصلنا ع ٧ . ان الانسان هو من أغرب المخلوقات ، فانه مكون من شعاعة من السماء اتحدت بكتلة طين من الارض . ففي وقت الموت يعود كل من هذين النوعين الى المكان الذي خرج منه .

(ا) فالجسد ، وهو تلك الكتلة الطينية ، « يرجع الى الارض » .

انه مصنوع من الطين ، فجسد آدم خلق من الطين ونحن ذريته . عند الموت يوضع الجسد في الارض ، وبعد قليل يتحلل فيصير ترابا لا يمتاز عن تراب الارض العادية حسب الحكم الذي نطق به الله « انك تراب والى تراب تعود » تك ٣ : ١٩ . ولذلك يجب علينا ان لا نغمس في شهوات الجسد او نطلق له العنان لنعطيه كل ما يطلب من شراب وطعام لانه بعد قليل سيكون طعاما للدود ، ولا « تملكن الخطية في جسدنا المائت » رو ٦ : ١٢ لانه مائت وفان

(ب) والروح ، وهي تلك الشعاعة من النور ، « ترجع الى الله »

الذي عند ما « جبله ترابا من الارض نفخ في انفه نسمة حيوة

ليصير نفساً حية » تك ٢ : ٧ والذى يصور نفس كل انسان فى داخله. عند ما تشتعل النار فى الخشب يرجع الرماد « الى الارض » التى نشأ منها الخشب . والروح لا تموت بموت الجسد بل « تفدى من يد الهاوية » مز ٤٩ : ١٥ ، فهى بدون الجسد تستطيع الحياة بل ما هو اكثر من الحياة كالشمعة التى تستطيع الاضاءة بشكل أوضح ان خرجت من مصباحها المظلم . انها تنتقل الى عالم الارواح الذى تنتسب اليه . انها تذهب « الى الله » الديان لتقدم عن نفسها حساباً وتسكن اما مع « الارواح التى فى السجن » ١ بط ٣ : ١٩ او مع الارواح التى « فى الفردوس » لو ٢٣ : ٤٣ بحسب ما فعلته فى الجسد . وهذا ما يجعل الموت مخيفاً للاشرار لان ارواحهم تذهب لله كمنتقم ، ومعزياً للقديسين لان ارواحهم تذهب لله كآب حيث اودعوها فى يديه بكل اغتباط وسرور .

ooooOOOoooo

٨ باطل الاباطيل قال الجامعة الكل باطل — ٩ بقى ان الجامعة كان حكيما وأيضاً علم الشعب علماً ووزن وبحث واتقن امثالا كثيرة — ١٠ الجامعة طلب ان يجد كلمات مسرة مكتوبة بالاستقامة كلمات حق — ١١ كلام الحكماء كالمناسيس وكاوتاد منغرزة ارباب الجماعات قد أعطيت من

راع واحد — ١٢ وبقى فن هذا يا ابنى تحذر لعمل كتب كثيرة لا نهاية. والدرس الكثير تعب للجسد.

هنا نرى سليمان يبدأ انهاء حديثه ، ولكنه لا يريد ان ينتهى منه حتى يتأكد من انه قد اصاب الغرض واثر فى نفوس سامعيه وقارئيه ليتطلبوا الراحة في الله فقط وفى تأدية واجباتهم من نحوه لانهم لا يستطيعون ان يجدوها فى اى خليقة اخرى .

(اولا) انه يكرر الآية التي ذكرها مراراً ع ٨

« باطل الاباطيل الكل باطل »

(١) فانه بعد ان اقام على هذه الحقيقة الأدلة والبراهين الكثيرة وبعد ان وضحها بامثلة عديدة نراه يكررها هنا ليزيدها تأكيداً

(٢) واراد ان يقررها فى ذهن الآخرين وذهنه هو نفسه لكي يطبقوها فى كل الظروف . فان كنا نراها امامنا كل يوم بشكل اوضح فيجب ان لا ندعها تمر دون ان ننتفع منها .

(ثانيا) وهو يزيد تأكيداً ما كتبه فى هذا الموضوع بارشاد الهى . ان كلمات هذا السفر صادقة وحقيقية وحرية بتأملاتنا العميقة وتطبيقها على حياتنا :—

(١) لانها كلمات تائب قد تجددت حياته يستطيع ان يتكلم باختبار ودفع فيه ثمنا غالياً عن بطلان العالم وغباوة من ينتظر منه اموراً عظيمة . لقد كان يسمى « الجامعة » لانه قد جمع من

ضلاله ورد الى الله الذى تمرد عليه وخرج عن طاعته . « باطل الاباطيل قال الجامعة » . فكل التائبين الحقيقيين مقتنعون ببطلان العالم لانهم قد عرفوا ويعرفون انه لا يستطيع ان يعمل لهم شيئاً ليريحهم من ثقل الخطية الذى يئنون منه

(٢) ولأنها كلمات شخص « كان حكيما » احكم من اى شخص، اعطى مقداراً وافراً من الحكمة اكثر مما اعطى او يعطى لاى شخص عادى ، واشتهر بها بين جيرانه الذين كانوا يسعون للمثول بين يديه « ليسمعوا حكمته » . ولذلك فحكمه في هذا الامر هو الحكم الفصل ، لانه لم يكن حكيما كملك فقط بل كان حكيما كواعظ ايضاً . فما اشد حاجة الوعاظ الى الحكمة لربح النفوس

(٣) ولانه كان شخصا قد جعل شغله الشاغل عمل الخير واستخدام الحكمة فى طريقها الحقيقى . انه لما « كان حكيما » لم ير ان حكمته لنفسه بل « علم الشعب علما » علمهم ذلك العلم الذي وجده نافعا لنفسه وكان يرجو ان يكون نافعا لهم ايضا . انه من مصلحة الملوك والحكام ان يكون رعاياهم متفقهين في الدين ، وليس من العيب او ذلة النفس ان يعلموهم هم بانفسهم معرفة الرب ، وعليهم فوق ذلك ان يشجعوا اولئك الذين يقومون بتعليمهم ٢ اى ٣٠ : ٢٢ . يجب على الحكماء والعلماء ان لا يحتقروا عامة الشعب او يظنوا انهم لا يستحقون التعليم اولا يستطيعون قبوله ، وان لا يتغافلوا حتى عن تعليم العلماء منهم لانهم لا يزالون في حاجة الى التعليم لكى يزدادوا علماً

(٤) ولانه قد اجهد نفسه كثيرا في فعل الخير رغبة منه في ان « يعلم الشعب علما » . انه لم يحتقرهم ولم يتهاون بامر تعليمهم لانهم كانوا من عامة الشعب الجهلاء بينما كان هو حكيما جداً ، ولكنه اذ كان يشعر بقيمة النفس التي يعلمها وبقيمة التعاليم التي يعلمها « وزن وبحث » وزن ما كان يقرأه ويسمعه من الآخرين لكي بعد ان يزود نفسه بمعلومات كثيرة « يخرج من كنزه جدداً وعتقاء » . انه « وزن » ما كان ينطق به هو نفسه ويكتبه ، ولذلك فقد « اتقن » كل ما خرج من فمه او قلمه

١ . — انه توخّى انسب الطرق للتعليم والكرازة ، بامثال وعبارات قصيرة يمكن تعليقها في الذهن بسهولة اكثر من العبارات والجمل الطويلة

٢ . — وهو لم يكتف بامثال او حكم قليلة ويكررها من وقت لآخر ولكنه نطق « بامثال كثيرة » تبحث في مختلف الشئون لكي يستطيع ان يجد ما ينطق به في كل فرصة

٣ . — وهو لم يدون في هذه الامثال ملاحظات عامة ظاهرة وواضحة ولكنه «بحث» وتعمق فى البحث في اعماق العلم والمعرفة لكي يخرج الاسرار والمكنونات .

٤ . — وهو لم يدون في هذه الامثال ما كان يخطر بباله فقط او ما كان يصادفه منها عرضاً ولكنه بعد البحث الدقيق « اتقنها » لكي لا تنقصها قوة او جمال

(٥) وهو قد البس اقواله ثوبا يحبب فيها الجميع فهو

« طلب ان يجد كلمات مسرة ». انه كان يحرص لئلا تصاغ هذه المادة البليغة فى اسلوب ردىء فيشوهها. فعلى خدام الله ان يسعوا لا وراء الكلمات الضخمة او المنمقة بل وراء « الكلمات المسرة » التى يسر منها الناس ويجدون فيها خيرهم وبنيانهم ١ كو ١٠ : ٣٣. وعلى الذين يريدون ربح النفوس ان يسعوا لكي تكون كلماتهم « مقولة فى محلها » ام ٢٥ : ١١

(٦) وان ما كتبه لتعليمنا لاشك في حقيقته وحري بكل تأملنا فكل كلماته « مكتوبة بالاستقامة » وباخلاص ومن كل قلبه. « وكلمات حق » اى تمثل تماما ما كتبت عنه. فليتأكد كل من يسترشدون بهذه الكلمات انهم لا يضلون السبيل. فماذا تنفعنا « الكلمات المسرة » ان لم تكن « مكتوبة بالاستقامة وكلمات حق » ؟ ان أغلب الناس يميلون لسماع الكلمات الناعمة التي تقال لتملقهم اكثر من سماع « كلمات الحق » التى تقال لارشادهم اش ٣٠ : ١٠ اما الذين يعرفون أنفسهم جيد المعرفة ويقدرون مصالحهم حق التقدير فيرون دائما ان « كلمات الحق هى كلمات مسرة ».

(٧) وان ما كتبه هو والقديسون الآخرون نافع لنا جداً لاحظ هنا:—

١ . — ان الحقائق الالهية لو فسرت تفسيراً حقيقيا وطبقت واستعملت في مناسباتها اتت لنا بفوائد مضاعفة، فهى « نافعة للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر » ٢ تي ٣ : ١٦. انها نافعة لنا :—

أولا . — لاحياء الرغبة فينا وتحريضنا على اتمام واجبنا . انها ضرورية لنا « كالمناسيس (١) » للثور الذي يجر المحراث فانها تدفعه الى الامام وتنشطه ان لحقه توان او كسل . ان الحقائق الالهية « تنخس الناس في قلوبهم » اع ٢ : ٣٧ ، وتبعثهم على فحص انفسهم والتأمل في حالتهم عند ما يرتكبون الشر ، وتنشطهم في عملهم . فطالما كانت محبتنا عرضة للبرودة والفتور فنحن في حاجة مستمرة لهذه « المناسيس » (أو المناخس)

ثانياً . — لتبعثنا على الاستمرار في أداء واجبنا . فهي « كاوتاد » لاولئك المتزعزعين وغير الثابتين لتربطهم بكل ما هو صالح . انها « كالمناسيس » للاغبياء والوجميين « وكاوتاد » للمتسرعين وغير الثابتين ، انها وسائط لبنيان القلب وتثبيت المبادىء الصالحة والعزائم القوية فيه لكى لا نهمل في واجباتنا أو نتشاغل عنها .

٢ . — وانه توجد طريقتان للحصول على هذه الحقائق الالهية والانتفاع بها

أولا . — بواسطة الكتب المقدسة التى عبر عنها هنا بانها « كلام الحكماء » أى كلام الانبياء الذين دعاهم المسيح « حكماء » مت ٢٣ : ٤٣ . وهذه مكتوبة أمامنا بحبر وورق يمكننا الحصول عليها والرجوع اليها في كل وقت واستعمالها كالمناسيس والاوتاد .

(١) « المناسيس » مفردها معناه منخاس

بها نستطيع ان نعلم أنفسنا ، فان افسحنا لها المجال لتدخل النفس بقوتها استطاعت « ان تحكمنا للخلاص » ٢ تى ٣ : ١٥

ثانياً . — بالخدمة والـكرازة . فلكي تكون « كلمات الحكماء » اكثر نفعاً لنا يجب ان تكون مرتبطة « بأرباب الجماعات » (أو رؤساء الاجتماعات). ان عقد الاجتماعات الخشوعية للعبادة ترتيب الهى قديم الغرض منه تمجيد الله وبنيان كنيسته . وهى لا تنفع لهذا الغرض فقط بل هى لازمة له ولا يمكن الاستغناء عنها.

ويجب ان يكون لهذه الجماعات « أرباب » الذين هم خدام المسيح ، وهؤلاء يجب ان يرأسوها ، ليكونوا فماً لله لدى الشعب وفماً للشعب لدى الله . وخدمتهم هى ان يربطوا « كلام الحكماء » ويدقوه « كالاوتاد » ، وفي هذا السبيل نجد كلمة الله « كمطرقة » ار ٢٣ : ٢٩

(٨) وان ما قد كتب انما هو من أصل الهى ، فلو انه قد وصل الينا بواسطة أيد كثيرة ، بواسطة « حكماء » كثيرين « وأرباب جماعات » كثيرين ، الا انه « قد اعطى من راع واحد » من « راعى اسرائيل الذى يقود يوسف كالضأن » مز ٨٠ : ١ . ان الله هو ذلك « الراعى الواحد » الذى بوحى روحه القدوس قد كتبت الـكتب المقدسة وبارشاده يفتح « ارباب الجماعات » شفاههم وينطقون . ان « كلام الحكماء » هذا هو أقوال الله الحقيقية التى فيها يجب ان تجد النفس راحتها . فمن هذا الراعى الواحد يجب على كل الخدام ان يأخذوا رسالتهم التي يوصلونها

لشعبهم وبنور كلمته يجب ان يتكلموا

(٩) وان هذه الكلمات المقدسة التي قد كتبت بالهام روح الله القدوس لو استعملناها لكانت كافية ان توصلنا الي طريق السعادة الحقيقية ولما احتجنا لاجهاد النفس للتفتيش في كتب أو كتابات أخرى ع ١٢ : « وبقى » لم يبق لي ان أخبرك به سوى انه « لعمل كتب كثيرة لا نهاية »

١ . — اى لكتابة كتب كثيرة . فان كان ما قد كتبته لا يكفي لاقناعك ببطلان العالم وبضرورة التدين والتقوى فلن تقتنع لو كتبت كتباً كثيرة . فان كانت تلك الكتب المقدسة التى قد انعم بها الله علينا لا تفى بالغرض فلن يفى بهذا الغرض اضعاف تلك الكتب بل اضعاف اضعافها مما لا « يسعه العالم نفسه » يو ٢١ : ٢٥ ، « والدرس الكثير » فيها لا يزيدنا الا اضطرابا وارتباكا، بل هو « تعب للجسد » فضلا عن انه لا يفيد الروح . لقد اعطانا الله من هذه الكتب المقدسة ما رآه مناسبا ليعطينا وما رآه مناسبا لنا وما رآنا أهلا له . هذا فضلا عن ان من لا « يتحذر » بهذه لا يتحذر باى كتب او كتابات اخرى . فمها كتب الناس من الكتب الكثيرة لفائدة وارشاد البشرية ومهما كتبوا حتى اتعبوا انفسهم بالدرس الكثير فلن يستطيعوا ان يخرجوا تعاليما اسمى من تلك التى نجدها في كلمة الله .

٢ . — او لشراء كتب كثيرة لكى نلم بها الماماً كافياً وبكل ما جاء فيها بالدرس الكثير . ولكننا حتى بذلك لا نسد اطماعنا

فى كثرة الدرس وحب الاطلاع . صحيح ان قراءة الكتب الكثيرة فيها تسلية عظيمة وفائدة اعظم ـ من الوجهة العالمية — ولكن ان كنا لا « نتحذر » بهذه الكتب من بطلان العالم ومن العلوم البشرية وان كانت لا تكفى لتمنحنا السعادة الحقيقية بدون التقوى « فلا نهاية » ولا منفعة حقيقية فيها بل هى « تعب للجسد » ولا تعطى النفس راحة حقيقية . ولقد أيد هذه الحقيقة ذلك الرجل العظيم المستر سلدن (Mr Selden) عندما اعترف بانه لم يجد من بين الكتب الكثيرة التي قرأها ما تجد نفسه راحتها فيه سوى الكتاب المقدس وبنوع اخص ما جاء في تيطس ٢ : ١١ و ١٢ .

فمن هذه ينبغى لنا ان « نتحذر »

٠٠٠٠٠OOO٠٠٠٠٠

١٣ فلنسمع ختام الامر كله : إتق الله واحفظ وصاياه لان هذا هو الانسان كله — ١٤ لان الله يحضر كل عمل الى الدينونة على كل خفى ان كان خيراً أو شراً

لقد كان غرض سليمان الوحيد من هذا السفر هو الجواب على ذلك السؤال الهام الذى عرضه على بساط البحث فى ص ٢ : ٣ « ما هو الخير لبنى البشر حتى يفعلوه ؟ » ، ماهو الطريق الحقيقى للسعادة الحقيقية ، وما هى انسب الطرق للوصول الى غايتنا العظمى؟ لقد جد فى البحث عن هذا الجواب بين تلك الامور التي يعشقها

اغلب البشر ، ولـكن ذهبت كل ابحاثه ومساعيه ادراج الرياح. على اننا نراه هنا انه قد توصل اليه اخيراً بعد الاسترشاد بذلك السر الذي كشفه الله للانسان قديما (اى ٢٨ : ٢٨) ، وهو ان التقوى الحقيقية هى الطريق الوحيد للسعادة الحقيقية : «فلنسمع

ختام الامر كله » اسمعوا نتيجة ذلك البحث الدقيق فسألخص لـكم كل ما كنت اصبو نحوه فى كلمتين .

انه لم يقل « اسمعوا » بل « لنسمع » لان الوعاظ يجب ان يستمعوا للكلمة التى يكرزون بها للاخرين ، يجب ان يستمعو اليها كما من الله ، فالذين يعلمون الآخرين دون ان يعلمـوا انفسهم يكونون قد اتموا نصف مأمورية التعليم رو ٢ : ٢١ .

ان كل كلام الله نقى وعظيم الأهمية ، على انه توجد بعض كلمات تستدعى اهتماما والتفاتا خاصاً كهذه الـكلمات ، ولذلك نرى سليمان يضع لها مقدمة كانه يأمرنا عن طرف خفى بزيادة الالتفات اليها قائلا « فلنسمع ختام الامر كله » . لاحظ هنا

(١) ملخص الديانة . فلكى تكون متدينا ابتعد من كل المناقشات والمباحثات « واتق الله واحفظ وصاياه »

١ . ـ ان اصل التدين هو ان يملك على القـلب خوف الله والاحترام لعظمته والخضوع لسلطته والخوف من غضبه . «اتق الله » اى اعبده وقدم له الاكرام اللائق لاسمه فى كل ظروف عبادتك الداخلية والخارجية . انظر رؤ ١٤ : ٧

٢ . ـ وقانون التدين هو ناموس الله المعلن لنا في الكتاب

المقدس . فخوفنا (او تقوانا) لله يجب ان نتعلمه من وصاياه إش ٢٩ : ١٣ وهذه يجب ان نحفظها و ندقق في السير بموجبها . فطالما كان خوف الله مالكاً في القلب ملأه الاحترام لوصاياه . وباطلا ندعى باننا نتقى الله ونخشاه ان كنا لا نبالي بتأدية واجبنا من نحوه

(٢) اهميتها العظمى : « هذا هو الانسان كله » هذا هو كل عمله وهذا هو كل بركته . فيها ينحصر كل واجبنا وعليها تتوقف كل عزيمتنا . هذه هي مصلحة كل انسان ويجب ان تكون موضوع اهتمامه الوحيد . هذه هي مصلحة كل البشر ويجب ان يقضوا كل وقتهم فيها . انه لا يهم مطلقاً ان يكون الانسان غنياً او فقيراً ، من اصل رفيع أو وضيع ، ولكن كل ما يهمه ان يتقى الله ويفعل كما يأمره

(٣) ومن اقوى ما يعزز ذلك ما ذكره في ع ١٤ . اننا لو تأملنا في الحساب الذي سيقدمه كل واحد منا لله عن نفسه قريبا لعرفنا اهمية التدين ونتيجته . لقد استعمل سليمان تلك الحجة في ص ١١ : ٩ للبرهان على ضرورة ترك حياة الشر والفساد ، وهنا يستعملها للبرهان على ضرورة التمسك بحياة التقوى : « لان الله يحضر كل عمل الى الدينونة »

ملاحظات . ١ . ـ توجد دينونة عتيدة ان تأتى ، فيها سيحدد مصير كل انسان الابدى

٢ . ـ والله نفسه سيكون هو الديان ، الله الانسان ،

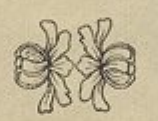
لا لانه له حق الدينونة فقط بل لانه اهل لها فان حكمته لاتحد وعدله لا يحصى

٣. _ في ذلك اليوم «يحضر كل عمل الى الدينونة» سيناقش فيه الانسان الحساب . في ذلك اليوم سيذكر كل ما صنع فى الجسد

٤. _ والامر الذى سيدان عليه «كل عمل» هو هل «كان خيراً او شراً» ، وهل هو مطابق لارادة الله ام مخالف لها

٥. _ وحتى «كل خفى» _ ان كان خيراً او شراً — سيتوضح بالنور ونحاسب عنه فى ذلك اليوم المظيم رو ٢ : ١٦ فلا يوجد عمل صالح او شرير قد أخفى الا ويظهر في ذلك اليوم.

٦. _ وازاء هذه الدينونة العتيدة وصرامتها يجب علينا ان ندقق كل التدقيق في السير مع الله لكى نؤدى حسابنا بفرح.





مؤلفات

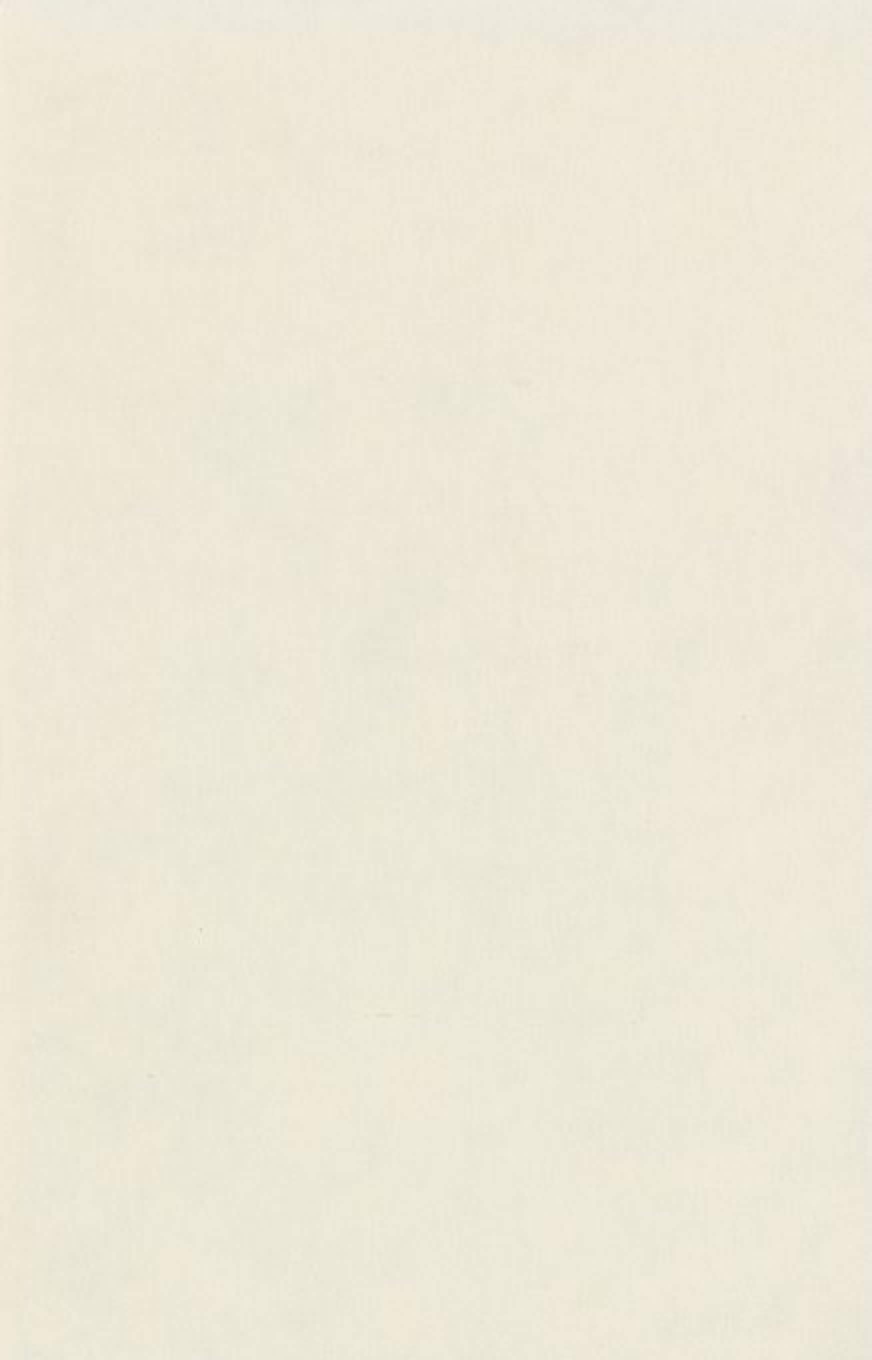
معرب الكتاب

ص	
٢٠	تفسير رسالة رومية
٣٠	« « « (تجليد افرنكي وورق اجود)
١٠	« نشيد الانشاد
٢٠	« سفر الجامعة
٢٠	الاشتراك السنوي في تفسير الكتاب المقدس
١٢	الدسقولية او تعاليم الرسل
١٥	« « « مجلدة
٥	تفسير قداس الكنيسة القبطية

●●●●○○○●●●●

تطلب هذه الكتب من المؤلف بعنوانه ـ صندوق بوستة الفجالة نمرة ٤٤ ـ او من مطبعة اليقظة بشارع الفجالة نمرة ٤٨ او من مكتبة مصر بشارع الفجالة .






Princeton University Library
32101 058321835